

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

شعبة الأنثروبولوجيا

قسم الثقافة الشعبية

الموضوع

الممارسات الثقافية في الوسط الحضري

- دراسة أنثروبولوجية لأقصى مدن الساحل الغربي الجزائري -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا

إشرافه:

أ.د. شايف عكاشة أ.د. رمضان محمد

إعداد الطالبة الباحثة:

آمال يوسف

لجنة المناقشة

رئيساً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. مصطفى أوشاطر
مشرفاً ومقرراً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. عكاشة شايف
مشرفاً مساعداً	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالي	أ.د. محمد رمضان
مناقشاً	جامعة وهران	أستاذ محاضر (أ)	د. جنيد حجيج
مناقشاً	جامعة سعيدة	أستاذ محاضر (أ)	د. محمد حفيان
مناقشاً	جامعة وهران	أستاذ محاضر (أ)	د. مولاي الحاج مراد

السنة الجامعية : 2011-2012

الإلهام

إلى من أدين لهما بكل حياتي بعد الله ...

أبي وأمي

إلى من وفر لي راحة النفس ...

زوجي

إلى قرة عيني وفلذات كبدي ...

ولدي وابنتي

إلى أخواتي حفظهم الله.

كلمة شكر وتقدير

أتقدم بتشكراتي لكل من علمني حرفا، من معلم المدرسة الابتدائية إلى أستاذ الجامعة.

كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر إلى الأستاذين المشرفين، الدكتور شايف عكاشة و الدكتور رمضان محمد اللذين أفاداني بالعناية والتشجيع والتوجيه طيلة مدة البحث فلهما، أقدم آيات التقدير والثناء.

كما أتفضل بخاص شكري لأساتذتي الأفاضل أعضاء لجنة المناقشة، على تفضلهم بقبول الاطلاع على هذا الجهد المتواضع وإبداء ملاحظاتهم العلمية عليه وتصويباتهم له لأنال بذلك شرف التلمذة على أيديهم.

وأخيرا أوجه شكري للسيد الرئيس المدير العام لميناء الغزوات ولكل من ساعدني من قريب أو من بعيد في إنجاز البحث وأعداد الرسالة على هذا النحو.

وبالله توفيقى، فهو نعم المولى ونعم النصير

أمال يوسفى

تلمسان 2011

مقدمة

تتميز حياة المدينة بتنظيم مجتمعي معقد بعكس الريف أو القرية، وما يميز هذا التعقيد هو بروزها على مستوى الثقافة الحضرية والمتمثلة في السلوك الاجتماعي والنشاط الاقتصادي والبنية العمرانية والديمغرافية.

و قد عرفت المدن الجزائرية تحولات اجتماعية و ثقافية مند فحر الاستقلال و سارت على طريق تنفيذ المشاريع التنموية التي أنتهجتها مند 1967، فكانت من نتائج تنفيذها، هو احتكاك سكان المدن بمكان الريف، اللذين عرفوا عملية النزوح الريفي إلى جانب جلب هذه المناطق لسكان قادمين من مراكز حضرية أخرى . و بالتالي احتكاك ثقافات مختلفة و تحول ذلك المجتمع التقليدي إلى آخر عصري حديث.

هذا التحول الذي فرضته المشاريع التنموية، كان له هدف معين، وهو تثقيف و تحضير الجزائري في الفترة التي تلت استقلال مباشرة، الذي كان في الأصل مكونا من معظم الشرائح الاجتماعية المقتصرة أساسا على بعض الزراعات الاستهلاكية ناهيك عن تلك كانت تسكن المدن.

تظهر الممارسات اليومية في طبيعة الحياة البسيطة التي كان يعيشها الجزائريون و هي واضحة من خلال التصورات و المعتقدات و العادات و يضيف مصطفى الخشاب⁽¹⁾ قائلا:..وزد على ذلك انعدام الفرص المواتية للعمل المستمر في الريف و الانتظام في التشغيل و عدم الرضا عن الحياة في القرية و إهمال شؤونها و نقص فرص العمل و تخلفها و انخفاض مستوى الأجور .و تعدد فترات البطالة بحسب و مقتضيات العمل الزراعي ، قد تسببت في زيادة هجرة الريفيين

¹ مصطفى الخشاب ، "الاجتماع الحضري" ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة 1976 ص 248.

ووقعهم طعمه الوسائل للجذب الحضري طمعا في الحصول على فرص مواتية .."

أصبحت الحضرية كمعطى مورفولوجي و كنمط حياة تفرض نفسها اليوم و تجسد مظاهر الحداثة إلى درجة بدأت ملامح الحياة الريفية تتدثر في عدة مناطق من العالم .

و من هذا المنطق أصبحت المدينة و الحياة الحضرية مجالا لعدة دراسات لهدف تحقيق نموذج حضري. و قد تقف مثل هذه الدراسات (أي الاجتماعية و الأنثروبولوجية) على أساسها لما تحمله المدينة من تفاصيل مادية و فيزيقية و نماذج لعلاقات اجتماعية و طبقية⁽²⁾.

تعتبر المدينة ظاهرة عمرانية تاريخية كونية ، و هي محصلة التحولات التي عرفتتها البشرية في الميدان التقني و الفكري ، و تكشف عن مراحل تاريخية ارقى من سابقتها الريفية و البدوية ، لقد نشأت المدن الأولى في الشرق الأوسط وبالتحديد مصر و العراق و باكستان⁽³⁾ و هي المناطق عرفت ميلاد حضارات البشرية الأولى ، كالحضارة الفرعونية و اليابانية و الهندية .

تعتبر دراسة المدن من أهم الدراسات الحديثة رغم وجود مؤلفات ودراسات تتعلق بنشأة المدن وتطورها و تصنيفها حسب وظائفها.

⁽²⁾ احمد كمال وآخرون ، "علم اجتماع -دراسة بنائية وظيفية للمجتمع حضري"- دار الجيل للطباعة القاهرة 1976 ص ص 101-102

⁽³⁾ د.دفتحي ابو عيانة ، "دراسات في الجغرافيا البشرية" ،دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1987-ص 110.

إلا أن مجالات الدراسات المدنية لم تتوسع إلا في الآونة الأخيرة ، حيث تحولت الدراسات المدنية من منهج نظري إلى آخر تطبيقي على اثر عمليات البناء و التخطيطات الكبرى للمدن .

تعتبر المدينة ظاهرة جغرافية تشغل بقعة مساحة من الأرض نشأت من تكاثف المجتمعات العمرانية التي أقامها الإنسان لتكون واطنا له في شكل علاقة متبادلة بينه وبين البيئة التي اختارها مكانا له، حتى أصبحت كائنا حيا يخضع للعديد من العوامل الطبيعية و البشرية التي رفضت نفسها عليه و على سكانها حتى أدت إلى نمو بمعدل سريع (4) .

إن الدراسات المدنية حديثة جدا في دولة الجزائر ، حيث أولت الجامعات اهتماما خاصا لمثل هذه الدراسات خاصة في اختيار المناهج و المقررات السنوية.

و لقد أثبتت الدراسات التي أقيمت على المجتمعات سواء الريفية منها أو الحضرية، أن انتشار الحضرية في المدن لها علاقة وطيدة بالتغير الاجتماعي و الأسري الذي عرفه المجتمع من التغيرات عبر المسار التاريخي لتطور المجتمع البشري

ومن هذا المنطق فإن الكشف عن المظاهر الحضرية في مجتمع الدراسة على النحو الذي أخذت به الدراسة يعد خطوة ايجابية لاستجلاء الملامح و الخصائص الجديدة للمجتمع .

(4) البشير مقييس ، "مدينة وهران ، دراسة جغرافية العمران" المؤسسة الوطنية للكتاب -الجزائر

وقد حاولت الدراسة الميدانية البحث في التغيير الثقافي و الاجتماعي الذي مس بالموروث الثقافي للمجتمع الساحلي ، و قد تم اختيار مدينة الغزوات لتكون ميدانا للدراسة ذلك لعدة اعتبارات منها :

- أنه قد تطرقنا إلى هذا الموضوع من قبل ، و قمنا بدراسة (البناء الإجتماعي للأفراد النازحين من الريف او الوافدين من مناطق حضرية أخرى و فاستقرار بهذه المدينة و مدى تشبثهم بثقافتهم و الحفاظ عنها) .

في إطار نيل شهادة الماجستير ، إلا أنها تختلف في كثير من النقاط، حيث هذه المرة بنينا الموضوع على أساس أن الدراسة الميدانية تقام على فئة الشباب .

- كذلك معرفتنا للمدينة كمجال جغرافي و بشري و ما عرفته مند بداية السبعينيات من حركة تصنيع واسعة النطاق أدت إلى تغيير ايكولوجية المدينة مما يمكن أن يكون له أثر في حدوث تغيرات اجتماعية و ثقافية عديدة بالمدينة .

و على ذلك جاءت الدراسة في أربعة فصول ، مضاف إليها مقدمة و خاتمة، ذلك على النحو التالي:

- حاولت الدراسة في المقدمة أن تحدد الإطار العام للبحث، و أسباب اختيار الموضوع.

- أما الفصل الأول فقد خصص لتحديد إشكالية الدراسة مع إبراز الأهمية العلمية ، أهداف و حدود الدراسة الحالية . تحديد المفاهيم كان ضمن هذا الفصل كذلك إلى جانب إبراز أهم الدراسات السابقة ذات الصلة بموضوع البحث ، في محاولة لتحديد الصلات بين الدراسة الحالية وتلك الدراسات ، نظريا و منهجيا .

- هذا و قد خصص الفصل الثاني إلى دراسة التحضر و مجالات التغير في المجتمع من خلال تطور المجتمعات البشرية ، و التفسير العلمي للمدينة كمجال للدراسات الحضرية مع إبراز عوامل التحضر و التغير.
 - فقد خصص الفصل الثالث للثقافة الحضرية في المجتمع الجزائري و ذلك من خلال الاهتمامات العلمية لدراسة المجتمع الجزائري ، ابراز سمات التحضر في المجتمع ، ثم التعريف بالبناء الاجتماعي و الثقافي لمدينة الغزوات.
 - أما الفصل الرابع فقد خصص لاستعراض نتائج الدراسة الميدانية التي أجريت على فئة الشباب في مجتمع البحث، واستعراض التغيرات الحاصلة في بعض القيم و الأنساق.
- و قد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج تمت مناقشتها في الخاتمة.

الفصل الأول

موضوع الدراسة و إطارها

المفهومي

أولا: إشكالية الدراسة

تدخل هذه الدراسة في إطار البحوث الأنثروبولوجية التي تهتم بالبحث في طبيعة التجمعات البشرية وعلاقتها بالنظام العام وتنظيم الأفراد فيما بينهم. ولما كان موضوع دراستنا الحالية هي أنثروبولوجيا ميدانية لمظاهر الثقافة الحضرية في المجتمع الجزائري ، فهو يهدف إلى محاولة الكشف عن المظاهر الثقافية والتحولات الاجتماعية التي مست مجتمع الشباب.

إن الغرض الرئيسي الذي ينطلق منه البحث يرى في المظاهر الحضرية إضافة إلى الأحداث التاريخية عوامل قد أدت إلى إحداث تحول في بنية فئة الشباب، قد رافقه تغير في الممارسات الثقافية الأصلية. وبما أن التغير الاجتماعي ينصب على كل تغيير يلحق بالبناء الاجتماعي ونظمه وأنماط علاقاته الاجتماعية أو القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانهم⁽¹⁾. والممارسات الثقافية في مختلف التجمعات البشرية التي ينتمون إليها . فإن التساؤلات، بناء على هذا المفهوم، قد جاءت لتحديد ما يلي:

* فإلى أي مدى يمكننا تحديد مسألة الممارسة الثقافية لدى الشباب في الوسط الحضري في إطار التحولات العلمية والمعرفية الخارقة والتي تؤثر على مستوى العلاقات والثقافات بين الشباب ؟ وإلى أي مدى أثرت تكنولوجيات الاتصال الحديثة في تطوير الممارسات الثقافية لدى فئة الشباب وارتباطهم بنظام القيم؟

¹ (لوريس الراعي : التغير الاجتماعي والاقتصادي في مجتمع بدو . طرابلس ،لبنان ، دار جروس

* هل ان شيوع الثقافة الرقمية المرتبطة بتكنولوجيات الاتصال لها أثر على سلوكيات الشباب في ضل الممارسات الثقافية اليومية ؟
* ما هي أنواع الممارسات الثقافية التي سادت بين فئة الشباب في المجتمع الجزائري؟

* كيف تأثرت الممارسات الثقافية بالحياة الحضرية؟

ثانيا: أهمية الدراسة

تستوحي أهمية الدراسة الحالية من الأهمية العلمية للعناصر التالية :

1. المجتمع المحلي والدراسات الأنثربولوجية:

يميل العلماء لاعتبار "المجتمع" نظاما شبه مغلق semi-closed تشكله مجموعة من الناس، بحيث أن معظم التفاعلات والتأثيرات تأتي من أفراد من نفس المجموعة البشرية. وتذهب بعض العلوم أشواطاً أبعد في التجريد حين تعتبر المجتمع مجموعة علاقات بين كيانات اجتماعية. تبرز في الإنكليزية كلمة أخرى قريبة في المفهوم هي الجماعة المشتركة community التي يعتبرها البعض التجمع أو الجماعة بدون العلاقات المتداخلة بين أفراد الجماعة، فهو مصطلح يهتم بأن جماعة ما تشترك في الموطن والمأكل دون اهتمام بالعلاقات التي تربط بين أفراد الجماعة. بعض علماء الاجتماع مثل تونيز Ferdinand Tönnies يرى هنالك اختلافا عميقا بين الجماعة المشتركة والمجتمع ويعتبر أهم ما يميز المجتمع هو وجود بنية اجتماعية التي تتضمن عدة نواحي أهمها الحكم والسيطرة والتراتب الاجتماعي Social rank.

المجتمع المحلي في المفهوم السوسولوجي والأنثروبولوجي:

ارتبط مفهوم المجتمع المحلي شأنه في ذلك شأن معظم المفاهيم التي اشتقت منه لغة الحياة اليومية بمعاني كثيرة ومتعددة.

فعرفه روبرت ماكيفر : على أنه وحدة اجتماعية تجمع بين أعضائها مجموعة من المصالح المشتركة، وتسود بينهم قيم عامة وشعور بالانتماء، بالدرجة التي تمكنهم من المشاركة في الظروف الأساسية لحياة مشتركة¹.

أما روبرت بارك فيقول في أوسع معاني المفهوم يشير إلى دلالات وارتباطات مكانية جغرافية، وأن المدن الصغرى والكبرى والقرى بل والعالم بأسره تعتبر كلها رغم ما بينها من الاختلافات في الثقافة والتنظيم والمصالح.. الخ، مجتمعات محلية في المقام الأول.

فيثري لويس ويرث بقوله أن المجتمع المحلي يتميز بما له من أساس مكاني إقليمي يتوزع من خلاله الأفراد والجماعات والأنشطة، وبما يسوده من معيشة مشتركة تقوم على أساس الاعتماد المتبادل بين الأفراد، وبخاصة في مجال تبادل المصلحة.

أما أموس هاوليفيري أن التحديد المكاني للمجتمع باعتباره منطقة جغرافية أو مساحة مكانية يشغلها مجموعات من الأفراد محاولة تعسفية للتعريف، وإنه من الملائم أن ننظر إلى المشاركة في الإيقاع اليومي والمنتظم للحياة الجمعية على أنها عامل أساسي يميز المجتمع المحلي ويعطي لسكانه طابع الوحدة، إن المجتمع المحلي أكثر من مجرد تنظيم لعلاقات التكافل بين الأفراد، وأن الحياة الجمعية تشتمل على قدر من التكامل السيكولوجي والأخلاقي إلى جانب التكامل التكافلي أو المعيشي، وأنه يتعين على الباحث أن ينظر إلى الجوانب السيكولوجية والأخلاقية على أنها مظاهر متكاملة، وليست مختلفة أو متميزة لحياة المجتمع

¹- محمد الجوهري ، "الفلكلور و الدراسات علم الاجتماع الريفي" ، في دراسات علم الاجتماع الريفي و الحضري ، القاهرة ، دار الكتب الجامعية ، ص: 268 .

المحلي، خاصة وأن الأنشطة المعيشية وما يرتبط بها من علاقات تكافلية تتداخل وترتبط بمجموعة المشاعر والأحاسيس وأنساق القيم والمعايير الأخلاقية وغير ذلك من موجّهات السلوك والتفاعل اليومي¹.

تالكوت بارسونز يعرف المجتمع المحلي بأنه جمع أو حشد من أفراد يشتركون في شغل منطقة جغرافية أو مساحة مكانية واحدة كأساس لقيامهم بأنشطتهم اليومية. في نفس التصور للمفهوم يرى بلين ميرسر: المجتمع المحلي على أنه تجمع لأشخاص تنشأ بينهم صلات وظيفية، ويعيشون في منطقة جغرافية محلية خلال فترة محددة من الزمن، كما يشتركون في ثقافة عامة، وينتظمون في بناء اجتماعي محدد ويكشفون باستمرار عن وعي بتميزهم وكيانهم المستقل كجماعة.

قدم موريس شتاين عدداً من الانتقادات التي وجهها للتطور التقليدي للمفهوم "إن انتشار الحضرية أفقد الأفراد إحساسهم وشعورهم بالمجتمع المحلي كما أن مقومات التنظيم الاجتماعي التقليدي في كثير من المجتمعات المحلية الأمريكية قد تقوضت نتيجة لتعرضها للمؤثرات الخارجية التي أفقدت الأفراد شعورهم بالانتماء إلى مجتمعاتهم المحلية، والتي مكنت من إحلال الانقسامية والجزئية محل الشمولية فطورت مجتمعات محلية فرعية -معادية لبعضها البعض- بدلاً من الشعور التقليدي بالانتماء والتعاون المحلي، وباختصار فإن القومية والعالمية قد غدت سمة العصر التي تؤكد وباستمرار خاصية الاعتماد المتبادل بدلاً من خاصية الاستقلالية والاكتفاء الذاتي، التي كانت من أهم مقومات التصور التقليدي لمفهوم المجتمع المحلي إن تقدم وسائل النقل والاتصال وما

¹ - أحمد أبو زيد ، "عن الأنثروبولوجيا و الفلكلور" ، من مقدمة كتاب دراسات في الفلكلور ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة 1972 ص 17.

ترتب عليه من اعتماد متبادل بين المجتمعات المحلية ارتبط بالعديد من المصاحبات النفسية التي أدت إلى ضياع أو فقدان المجتمع المحلي السيكولوجي. ويشارك شتاين في تصوره السابق كل من ملفين فيبير ورونالد وارن فقد انتقد فيبير تصور أن المجتمع المحلي وحدة اجتماعية ذات ارتباط وتحديد مكاني، إن إنسان العصر الحديث، وبخاصة سكان الحضر يعيش في مجتمعات محلية عديدة كما أن هذه المجتمعات التي يرتبط بها وينتمي إليها لم تعد مجرد مكان محدد يلتزم به كأسلافهم بل أصبح أكثر ارتباطاً بمجتمعات المصلحة المتنوعة مهما اختلف أساس هذه المصلحة، ولم يعد الأفراد بحاجة إلى التركيز المكاني، ومن ثم لم تعد الحدود المكانية مؤشراً هاماً للعلاقات الوظيفية أو أساساً للنظام في المجتمع.

و بذلك يعتبر المجتمع المحلي "تجمع إنساني تقوم بين أعضائه روابط الاعتماد الوظيفي المتبادل ويشغل منطقة جغرافية محددة ويستمر خلال الزمن عن طريق ثقافية مشتركة تمكن الأفراد من تطوير أنساق محددة للاتصال والإجماع فيما بينهم كما تيسر لهم سبل التفاعل وتنظيم أوجه نشاطاتهم اليومية."

كثيراً ما يشار إلى بعض المؤسسات على أنها مجتمعات محلية مثل "السجون والمستشفيات العقلية والأديرة والملاجئ والثكنات العسكرية" ومن اللازم أن نطلق على هذه الكيانات اسم "المؤسسات الشمولية العامة" ففي مثل هذه التسمية ما يشير إلى أنه بإمكان الفرد أن يقضي حياته بأكملها بين جدرانها.

يشار في بعض الأحيان إلى بعض الوحدات الاجتماعية ذات الأساس المكاني الأكثر اتساعاً كالأقاليم والولايات والدول بل والعالم بأسره على أنها

مجتمعات محلية وكثيراً ما نقرأ أو نسمع عن "مجتمع الأطلنطي، أو عن المجتمع العالمي" وبعكس استخدام المصطلح بهذا المعنى نفس الفكرة المألوفة عن "مجتمع المصلحة"، أو "المشاركة في وجهات النظر والاهتمامات".

من أهم ما يميز المجتمع المحلي عن أشكال التنظيمات الاجتماعية الأخرى ما يسوده من أنساق خاصة للقيم والمعايير إذ عادة ما يعاد صياغة الكثير من القيم المطلقة في الثقافة الكبرى في ضوء الرموز والأحداث ذات الدلالة والمغزى في السياق المجتمعي المحلي.

إن المجتمعات التاريخية القديمة هي تلك المجتمعات التي خضعت للتطور الحضاري، وانتقلت في هذا السلم من حياة الترحال وعدم الاستقرار إلى حياة الاستقرار والتنظيم الاجتماعي، واستفادة من الخبرات الاجتماعية وتقدم النواحي التكنولوجية الفتية وخلفت آثاراً حضارية مادية وكانت لها فلسفة اجتماعية وكونية وعرفت تقسيم العمل والتخصص الاجتماعي، وظهور الوعي بالفكر السياسي ونشأة الوحدة الاجتماعية الكبيرة للمجتمع المحلي في صورة قرية أو مدينة ويمتاز البناء الاجتماعي في هذه المرحلة بوضوح نظام التدرج الطبقي واستناد النظام السياسي والاقتصادي على أساس ديني ويعتبر هذا البناء الاجتماعي في مستواه العام، مرآة للمثل الاجتماعية التي يرتضيها المجتمع كأهداف غائية في العلاقات الإنسانية.

وحسب تحليل كونت للمجتمع فيرى أن الفرد لا يعتبر عنصراً اجتماعياً ولا قيمة لقوته الطبيعية لأن القوة الاجتماعية مستمدة من تضامن الأفراد ومشاركتهم في العمل وتوزيع الوظائف بينهم ، كما أنه لا قيمة أيضاً لقوة الفرد العقلية إلا باتحادها مع غير من القوى . ولا قيمة أيضاً لقوة الفرد الأخلاقية وليدة الضمير الجمعي والتضامن الأخلاقي في المجتمع . وفي المحصلة فإن الفردية لا يتحقق

فيها أي شيء من المظاهر الجمعية دون امتزاج العقول وتفاعل وجدانيات الأفراد واختلاف وظائف وتنوع الأعمال ذات الأهداف الواحدة والغايات المشتركة.

أما الأسرة فتعتبر أول خلية في جسم التركيب الجمعي وهي أبسط وسط يتحقق فيه مظاهر الحياة الاجتماعية من امتزاج للعقول وتفاعل للوجدانيات واختلاف في الوظائف وتنوع في الأعمال وهي أيضا اتحاد له طبيعة أخلاقية لأن المبدأ الأساسي في تكوينها يرجع في نظر كونت إلى وظيفتها الجنسية والعاطفية ، إذ ثمة ميل متبادل بين الزوجين من جهة وعطف متبادل بينهم والأبناء من جهة أخرى . فالمشاركات الوجدانية موجودة بين أفراد هذا المجتمع الصغير وثمة واجبات على كل فرد في الأسرة ثمة وتربية ونزعة دينية يغرسها الوالدان في أولادهم. وحسب تحليله فالمجتمع هو وحدة حية ومركب ومعقد أهم مظاهره التعاون والتضامن لذا فهو من طبيعة عقلية ووظيفية أخلاقية تابعة لها ولاحقة ومترتبة عليها. أما مبدأ التعاون والتضامن فهو الذي يحكم المجتمع ويسيطر عليه . هذا المبدأ يسمى " تقسيم العمل وتوزيع الوظائف الاجتماعية " لدى المفكرين المحدثين .

أحدث ثورة المعلومات تغييرا كبيرا في حياة الإنسان، حيث أصبحت هذه المعلومات مورداً إستراتيجياً حيوياً لا يقل أهمية عن الموارد الأخرى حتى بات قطاع المعلومات يشكل مصدراً رئيساً للدخل القومي والعمل والتحول البنائي، أو فيما يلي ملامح التغيير التي أحدثتها ثورة المعلومات التي أفرزت خصائص اتسم بها المجتمع المعلوماتي. انفجار المعلومات . نمو المجتمعات والمنظمات المعتمدة على المعلومات . بزوغ تكنولوجيا المعلومات والنظم المتطورة له.. إلخ.

شهد العالم عبر تاريخه الطويل تطورات متلاحقة وتحولات كبيرة في طرق وأساليب الحياة والمعيشة وقد استجبت لديه احتياجات عديدة بعد أن كان يعتمد على الزراعة لمدة من الزمن حتى حدثت الثورة الصناعية لتلبي له احتياجاته المستجدة وتغير بشكل جوهري أنماط حياته، ثم ما لبثت المجتمعات وخاصة المتطورة اقتصادياً أن تطوى صفحة العصر الصناعي لتفتح صفحة جديدة لعصر المعلومات الذي تعيشه اليوم وقد أحدثت هذه الثورة نقلة هائلة في حياة الإنسان وغيرت الكثير من مفاهيمه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومازالت هذه الثورة منتشرة وقوية بعد أن أخذ المجتمع الصناعي يتخلى عن مكانه لمجتمع جديد يعمل غالبية أفرادها في المعلومات وليس في إنتاج السلع والضائع.

حدود المجتمع المحلي في الدراسات الأنثروبولوجية:

إذا اتفقنا أن الأنثروبولوجيا تتخذ من الثقافة موضوعاً لها، فمن الطبيعي أن يحاول الأنثروبولوجيون التماس مادة بحثهم على مستوى المجتمعات المحلية بالدرجة الأولى قد يعمقون فهمهم لأبعاد المادة التي يرونها في الحياة اليومية للمجتمع المحلي بالرجوع إلى السجلات التاريخية، أو الدراسات السابقة أو بحوث أخرى. وقد يحرصون على ربط الظواهر والجزئيات التي يرونها في تلك البقعة المحدودة زماناً ومكاناً، بما يدور على مستوى المجتمع الكبير الذي ينتمي إليه ذلك المجتمع المحلي.

لا يختلف في ذلك متخصص في الأنثروبولوجيا الريفية أو الأنثروبولوجيا الحضرية، فالجميع لا بد أن ينطلق من مجتمع محلي، قد يكون حياً في المدينة أو جيرة داخل حي في المدينة أو حارة⁽¹⁾.

¹ (محمد الجوهري، بعض قضايا المنهج الأنثروبولوجي، القاهرة 2007. ص 168.

المجتمع المحلي في الاستخدام السوسولوجي والانثروبولوجي الشاسع يشير إلى جماعة من الأفراد الذين تجمع بينهم روابط عديدة متنوعة ويشتركون في قدر من المصالح والاهتمامات .و هو يشير كذلك إلى ارتباط تلك الجماعات بحيز مكاني محدد ومحدود كالبلدة الصغيرة ،أو جزء من المدينة(الحي).

و المجتمع المحلي بالتعريف الذي اتفق عليه الجوهري يكون وحدة فرعية متناهية الصغر (حارة في جيرة من حي شعبي داخل مدينة صغيرة)، وقد يكون أكبر من ذلك (جيرة في حي أو مدينة أو جيرة في قرية)، أو أكبر من ذلك (كأن يكون حيا في مدينة أو قرية متوسط الحجم...⁽¹⁾).

إن الدراسة الأنثروبولوجية لا بد أن تتخذ لها "وعاء" تنطلق منه، وتتوقف عنده ، وتتحرك في داخله دون أن يعوقها هذا "الإطار" عن الربط بين ما يدور فيه وبين ما يحدث بخارجه.

من الموضوعات الأساسية لدارس أي مجتمع محلي أن يتعرف على حدود هذا المجتمع في وعي أبنائه، ويتحدد الإطار والبحث في أصل النشأة والأصل التاريخي الاجتماعي لذلك المجتمع المحلي والتعرف على شكل النسيج الذي صنع منه هذا الأخير ، وذلك بالتعرف على شبكة العلاقات القرابية، حيث نجد أفرادهم جميعا أو غالبيتهم على الأقل ، يرتبطون بعلاقات قرابية واضحة ومحددة ، ولكننا قد نجد غير ذلك.

و إذا كانت شبكة العلاقات القرابية هي المهد الذي ينمو فيه التفاعل الاجتماعي ،فإن النشاط الاقتصادي هو قوة الواقع. ولذلك يأتي الاهتمام بطبيعة النشاط الاقتصادي داخل المجتمع وبصفة خاصة البناء المهني، والتبادل وأنماط الاستهلاك الأساس المادي لحياة هذا النسيج الاجتماعي والتعاون بين الأفراد.

¹ (المرجع السابق ، ص 170 .

و يعتبر ميكانيزم التعاون داخل المجتمع المحلي، عامل اجتماعي هام من عوامل استمرار الجيرة وبقاؤها والتعاون عملية اجتماعية ثقافية تنفذ إلى كل مجالات النشاط الإنساني ، ولذلك تنتوع أشكالها وطبيعتها بتنوع الحياة الإنسانية.

2. اهتمامات الأولى لدراسة الأنثروبولوجية الحضرية:

في اعتقاد العديد من الباحثين أن الانثروبولوجيا تقوم بدراسة المجتمعات البدائية فقط، وارتبطت هذه الفكرة مع طبيعة وظروف نشأة الفكر الانثروبولوجي الأولي، حيث انصب اهتمام ودراسات الأنثروبولوجيون الأوائل على المجتمعات البدائية بقصد التعرف على النظم الاجتماعية الأولى وصورتها البسيطة متأثرين بأفكار النظرية التطورية التي سادت القرن التاسع عشر.

بما ارتبطت الدراسات الانثروبولوجيا بأهداف الحركة الاستعمارية حتى يسهل فرض السيطرة السياسية والاستعمارية على هذه المجتمعات لتحقيق الأغراض السياسية والاستعمارية على هذه المجتمعات لتحقيق الأغراض السياسية ففي هذا المجال يقول فليب لوكاس أنه عندما يكون الانثروبولوجيون مبهورين بمناخ منطقة ما ، يقومون بالوصف الجغرافي الطبيعي والبشري للمجتمع المستعمر (1) وبذلك يسهل على الهيمنة على هذه الشعوب واستعمارها. وفي ضوء ذلك يقول محمد الجوهري ومجموعة من العلماء : « أن الفكرة الشائعة أن علم الانثروبولوجيا يهتم فقط بالمجتمعات البدائية إنما هي فكرة خاطئة بحيث أصبح الآن لهذا العلم مجالات تخصصية عديدة ، وظهرت للانثروبولوجيا إسهامات عديدة في مجالات الحياة الاجتماعية ، واعني بإحدى هذه المجالات

L'Algérie des Anthropologues ، jean claude VATIN ،¹)phillipe LUCAS

الحديثة:الانثروبولوجيا الحضرية ، حيث أبدى الانثروبولوجيون من أمر بعيد إهتمامات بدراسة أصول « الحضرية urbanisme » ويرتكز هذا الاهتمام بالحصول أساسا على البيانات الأركيولوجية أو يمثل جزءًا من صياغة نظرية عامة عن التغيير الثقافي، ذات وجهة تطويرية واضحة « (1) .

ظلت الانثروبولوجيا عقوداً طويلة تهتم بدراسة المجتمعات البدائية والقبلية ، غير أن الانجذاب نحو البحوث الحضرية لم يغيب تماما عن المسرح الانثروبولوجي لكن حضوره كان محدوداً نسبياً مقارنة بالاهتمامات الأوسع بالنظم الدينية والسحرية والدراسات الأسطورية والأنساق القرابية والنظم الاقتصادية والبيئية والسياسية إلى جانب التركيز المكثف على الثقافة وعناصرها الرمزية ومختلف صورها في التكامل والضبط وأدوارها في تنظيم حياة الجماعات وحفظ تراثها وتدعيم استمراريتها.

ظهرت الانثروبولوجيا الحضرية بصورة واضحة كفرع متخصص في منتصف الستينات (2) وقد أجريت كثير من الدراسات الانثروبولوجيا في المجتمعات المختلفة ،فقد أشار راد كليف براون Raddclif Brown في مقالة له يتحدث فيها عن معنى ومجال الانثروبولوجيا الاجتماعية وذلك في عام 1944:«أن ميدان الانثروبولوجيا هو كل المجتمعات البشرية دون شك » وفي سنة 1939 أشار لويد وارند Loyd Warner : « أن كل المجتمعات البشرية بدائية أو

¹ (د.محمد الجوهري وآخرون: دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري،دار الكتاب بيروت ط 1. 1971. ص.120.

² (د.محمد حسن غامري-الانثروبولوجيا الحضرية مع دراسة عن التحضر في مدينة العين أبو ظبي - ط 1. دار المعارف الجامعية، الاسكندرية 1984.

محتضرة بسيطة أو معقدة تعتبر موضوع دراسة أنثروبولوجية «⁽¹⁾ ومن ذلك اتجه الانثروبولوجيون إلى دراسة المجتمعات المحلية القروية على أساس أنها مجتمعات صغيرة ومنعزلة دون النظر إلى القوى الخارجية التي تؤثر عليها المجتمعات المحلية.

من الواضح أن المجتمعات المحلية الريفية والقبلية التي استنفذت معظم جهود الانثروبولوجيين لم تتيح فرصًا للبحث الحضري بحكم أسلوب معيشتها الذي كان لا يخرج عن النمط البدوي والقبلي بكل عناصره القروية والاقتصادية والايكولوجية والسياسية والأخلاقية المميزة أن النمط الريفي الذي تمثل في حياة الفلاحين التي كانت مركزة بالدرجة الأولى حول الزراعة وتربية الحيوانات الاقتصادية والجمع بين نمط القرابة الدموية وجوار المكان والاستقرار وتبادل المنافع في العمل التعاوني الأوسع الذي تحتاجه الزراعة.

ومما يظهر تأخر قوة الاهتمام الانثروبولوجي بالدراسات الحضرية هو ضعف فاعلية الجمعيات الانثروبولوجية الحضرية التي تكونت واهتمت بدراسة المدن والتحضر وكان ذلك من خلال إنشاء مجلات ودوريات وندوات في هذا الخصوص.

لكن ما ذكرناه من انكماش وضآلة حصة الانثروبولوجيا الحضرية في مجمل التراث الفكري والعملية الانثروبولوجية لا يتناسب وحقيقة تزايد الشعور لدى طلبة هذا الاختصاص بأهمية هذا الموضوع وضرورة الإسراع في معالجة هذا الإهمال .

¹ (المرجع السابق، ص 04.

ولعل أقدم الدراسات الحضرية التي أجراها باحثون انثروبولوجيون قد تمت في إفريقيا منها مثلاً دراسة « هوراس ماينر Miner Horace » في عام 1940 التي أجراها على مدينة تمبكتو المالية وما كانت تحمله من سمات دينية، ثقافية، اقتصادية.

وإتباعاً لما جاء به هذا العالم أبدى باحثون آخرون اهتماماتهم بالمشكلات الحضرية حيث تناول العديد من الدراسات في مشكلات المدن كالأثار الاجتماعية للهجرة إلى هذه المناطق الحضرية سعياً وراء العمل ومدى تكيف المهاجرين من الريف مع ظروف الحياة في المدينة والتحدث عن بعض عناصر التحضر كالانخراط في الجمعيات...⁽¹⁾.

إن الانثروبولوجيا الحضرية في إطارها العام تتضمن مجموعة من الدراسات، وترتكز على موضوعات الهجرة الريفية الحضرية والتكيف الذاتي للفلاحين والبيئة الحضرية. وتعتبر هذه الدراسات إمتداداً للدراسات الانثروبولوجية التي تجري في القرية ، لأن السكان الريفيين في تحركاتهم نحو المدينة عادة ما يعيشون بين القرية والمدينة، إذ تبين هذه الدراسات أسباب الهجرة وأنماطها وعمليات التكيف الذاتي مع الواقع الحضري.

فالظاهرة الحضرية اليوم لم تعد سمة ملازمة للمجتمعات الصناعية المتقدمة بل هي في حقيقة الأمر من الواقع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمعات التي كانت أصلاً تشكل الميدان الرئيس الذي شغل بدراسته الانثروبولوجيون. وبذلك يبدو من المنطقي أن يواصل الانثروبولوجيون مهمتهم في دراسة هذه المجتمعات وواقعهم الحضري بعد تحررهم من قبضة المستعمر

¹ محمد الجوهري وآخرون، المرجع السابق ص: 121

وأصبحت هذه المجتمعات تخوض معركتها في ميدان التصنيع والتحرر الاقتصادي والسياسي لكي ترسخ هويتها الوطنية وتأس تنظيماتها العصرية.

علم الأنثروبولوجيا كبقية العلوم الأخرى تراثه زاخر بالمدارس والمذاهب الفكرية والإيديولوجية والاهتمامات الاثنوغرافية التي شملت كل الأطياف الثقافية والاجتماعية في العالم، وقد اكتسبت هذا التراث طابعاً مميزاً نتيجة لتراكم المعرفة في إطار اهتماماتها بجزء كبير بالمجتمعات القبلية والريفية ، وأما التحول نحو الدراسات الحضرية أصبح أمراً شائعاً ومحفوفاً بالصعوبات.

ولعل من ابرز الإشكاليات التي تواجه الأنثروبولوجيين الراغبين في بحث الظواهر الحضرية تحقيق التوازن بين التقليد الأنثروبولوجي والجماعات القبلية ، وبين المعاصرة والتطور التي تناسب دراسة الحياة الأكثر تعقيداً في المدن. وهناك مواقف مختلفة يتخذها الأنثروبولوجيون من هذا الأمر وهي تتراوح بين المحافظة المتشددة التي تسعى إلى الإبقاء على القديم دون تقدير وتعديل وبين المرونة الحالية التي تتادي بضرورة تغيير وتنقيح أساليب المنهج وأطر التنظيم الأنثروبولوجي لتتلاءم والحاجة لدراسة المجتمعات الحضرية الأكثر تعقيداً وصعوبة.

إن منظور الأنثروبولوجيا الحضرية يبقى منحصرًا في موضوع دراسة حيث يحدده المكان، فالباحث إنن مطالب بتحليل المعطيات في إطار المكان والانتماء إلى نفس المجموعة الإثنية أو البشرية إضافة إلى إشتراك هذا الفرد أو هذه الجماعة في الأفكار والمعتقدات سواء كانت دينية أم سياسية ثقافية عملية " (1) .

¹⁾ Massimo REPETTI ، L'anthropologie urbaine et l'anthropologie urbaine en Afrique ، gallimard paris 1970 ، pp 83- 84.

إن اهتمامات باحثين من مدرسة شيكاغو منصبة على دراسة المدينة وما نجم عنها من عمليات هجرة وافدة قصد العمل وكثرة المهمشين الذين هم بدون مأوى وكثرة الانحرافات ومخلفات المخدرات والأحياء القصديرية والأحياء الفقيرة .

ومما يشجع الأنثروبولوجيين على تعميق وتوسيع مساهماتهم في البحث الحضري هو إدراكهم بحقيقة أن النظرة الأنثروبولوجية بالغة الانفتاح ، تتسع لكل البشرية بجميع أصنافها وأشكالها الثقافية والاجتماعية والعرقية والإيديولوجية ومختلف مستويات تطورها وتعقيدها .فقد وجدت الأنثروبولوجيا لتتعامل مع الإنسان في كل زمان ومكان بغض النظر عن ظروف معيشة.

وأما اهتمام الأنثروبولوجيا بالإنسان والمجالات الحضرية فإنها تتوسع مجالات بحثها من خلال تراثها الفكري ونظرياتها إذ تساعدها في إبراز وإظهار السياقات الثقافية التي تعمل فيها تلك الأنساق بشكل جديد ومتفرد من حيث تميزه عن طرق البحث التي وظفها علماء الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتخطيط الحضري في دراسة الظواهر الحضرية كلا منهم من زاوية تخصصه. " وقدوم علم الأنثروبولوجيا إلى هذا المجال - الحضري- بعزم وقوة لا تثير تناقضا مع العلوم الأخرى التي سبقته في هذا المضمار بل هو يمثل إضافة عملية مهمة من شأنها دعم جهود تلك العلوم ونعمقها" (1).

حصرت الأنثروبولوجيا جل اهتماماتها حتى أواسط القرن العشرين في دراسة المجتمعات التقليدية (القبلية والريفية)،فوجدت نفسها داخل قوالب نظرية

¹) Richard FOX، 'anthropology' s urban process in horizon of anthropology ، Eds Sol Tax & Leslie Freeman Aldine publishing Co ، Chicago ، 1977 .p 14.

ومنهجية منسجمة مع مفردات واقع الوحدة والاستقرار والتجانس والانسجام لتلك الجماعات.

وعندما حصل التحول وانعطاف المختصين في هذا العلم نحو البحوث الحضرية برزت إشكالية التكيف أمام التعدادات الكثيرة التي تتسم بها المدن.

تعتبر دراسات روبرت وهيلين لوند Robert et hélène Lynd حول إحدى المدن الأمريكية في حقل الدراسات الانثروبولوجية الحضرية حيث تناولتا في دراستهما الثقافة الكلية والبناء الاجتماعي لذلك المجتمع واستخدما المناهج الاثنوغرافية⁽¹⁾.

بصفة عامة أن الأنثروبولوجيين مؤهلين على أحسن وجه بالقيام بدراسات ذات طابع ثقافي مع التركيز على الجانب الميداني وذلك بإجراء المقابلات المتعمقة والملاحظات المشاركة المتعلقة بعمليات التكيف والتغير والثبات وأساليب الحياة والأنساق الاجتماعية والقيم، ويمكن إجراء تلك البحوث جميعها في البيئة الحضرية، في استخدام الإحصائيات وجمع البيانات والعمل بها في الدراسات التي تجري على مجتمع ما.

يبدو أن الانثروبولوجيا الحضرية ما تزال اليوم تتعرض لضغوط الموافقة بين ازدواجية التحول والتكيف، وللتوفيق بين طرفي الوحدة التي ارتكزت أو بالأحرى قامت عليها نظرياتها البنيوية والثقافية كالتضامن الاجتماعي وتقسيم العمل والتكامل الثقافي ، فليس يخفى أن المدينة لا تخلو من عناصر التكامل وان كان يتخذ صيغاً مختلفة عن نوع الوحدة في المجتمعات القبلية كما أدرك ذلك دوركايم عندما أسمى النوع القبلي والريفي بالتضامن الميكانيكي بينما دعا النوع

¹ (محمد الجوهري وآخرون. المرجع السابق ص 112).

السائد في المجتمع الصناعي الحضري التضامن العضوي ويبدو أن الانثروبولوجيين يشعرون بان مواءمة هذين القطبين ممكنة بشكل خاص في مدن العالم الثالث حيث تتمازج النظم القبلية القرابية والدينية مع النظم الحضرية صيغ توفيقية متعددة" (1) .

توضح لنا الازدواجية بعض جوانب الاختلاف الموجودة بين الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع ، حيث أن المجتمعات القبلية البسيطة لوحت للانثروبولوجيين مناهج وأطر كانت منسجمة، ووحدتها وتجانسها وتكاملها بعكس أساليب البحوث السوسولوجية التي صممت من البدء لاستيعاب مختلف أشكال التعددية والتنوع والتناقض في المجتمعات الحضرية الكبيرة المعقدة (2) .

ويكاد يجمع الانثروبولوجيون على ضرورة الجمع بين دراسة المجتمعات البسيطة التي يغلب عليها الوحدة والتكامل والمجتمعات الحضرية المعقدة التي يسود فيها التعددية والتباين ،ويرى Freud أن غرضها الرئيسي من دراسة المجتمعات الحضرية هو السعي إلى فهم علاقات وسلوك الناس في مختلف الجماعات بغض النظر عن المكان والزمان وهذا يعني موازنة الاهتمام بكل من البسيط والمعقد من المجتمعات (3) .

كانت المجتمعات القبلية والبسيطة ،بحكم حجمها الصغير ومؤسساتها ونظمها الاقتصادية البسيطة بمثابة المختبرات للانثروبولوجيين لكي يثبتوا عن طريقها فرضياتهم ووجهات نظرهم المختلفة في التنظيم والتحليل .وبدراسة تلك المجتمعات والجماعات تمكن الانثروبولوجيون من إعداد أنفسهم لدراسة

¹ النوري قيس:آفاق التغيير الاجتماعي النظرية والتنمية، مطبعة جامعة بغداد 1990 ص68.

² المرجع نفسه، ص130

³ Tangness، the study of culture ، Chaudler & charp publisher ، sans année،p 523.

المجتمعات الحضرية بصورة أفضل. وعلى هذا فالانثروبولوجيون يجدون في خلفيات البحوث البدائية سندًا لتدعيم إمكانياتهم وتحسين فرص نجاحهم في التعامل مع الواقع الحضري الأكثر تعقيدًا.

فإن التغييرات الحاصلة في حياة الريفيين حديثي التحضر في المدن، لا تظهر فجأة بل تتم عبر فترات زمنية طويلة نسبيًا مما يدل على قوة مقاومة الثقافات الريفية وقدرتها على الاحتفاظ ببعض الوقت. ومما يعزز صمود هذه الثقافات الوحدات القرابية التي تتجمع في المدن بدافع حماية الذات وتلقي المعونة من أبناء العمومة المنتمين لذات العشيرة. فضلًا عن تواصل عملية التربية والتنشئة التي تمارسها هذه الجماعات الريفية المهاجرة ودورها في حفظ التراث من خلال غرسه في أبنائها جيلًا بعد آخر، كل هذا لا شك يشجع الانثروبولوجيين على الاحتفاظ ببعض مناهجهم وتوجهاتهم العلمية للإستفادة منها في دراستهم الحضرية، وينظر بعض الانثروبولوجيين إلى الضواحي التي تقطنها جماعات المهاجرين الريفيين في كثير من مدن العالم الثالث كمناطق عازلة Buffer Zone تظهر الكيفية التي يتم فيها التفاعل بين قيم ومعايير الريف ومعايير المدن والتثقاف Acculturation الناتج عن تلك التفاعل، وكثيرًا ما يرجع الباحثون الانثروبولوجيون إلى العامل القرابي كمؤشر لقوة التكتلات الريفية في المدن على صعيد الجوار السكاني وأنشطة التدخل القرابي لحماية الأقارب والتوسط لمساعدتهم في تمشية أمورهم المختلفة⁽¹⁾.

بعد هذا التمهيد لنبدأ بخطوة بسيطة وذلك بالانطلاق بإبراز المسار التاريخي لتطور المجتمع الحضري .

¹ (النوري قيس، الانثروبولوجيا الحضرية. ط1 مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع. الاردن 2001 ص29.

إن دخول الانثروبولوجيا المدينة لغرض البحث يعد خطوة كبيرة نحو إعادة تعريف كثير من المصطلحات والمفاهيم وتفتح العديد من الأطر النظرية والمنهجية لتتسجم وسياقات الحياة في المدن. ويبدو أن انكماش وتلاشي العالم البدائي والتقليدي وخمور مؤسساته أمام زحف التحضر والتصنيع والتحديث كانت من العوامل التي حفزت الانثروبولوجيين للإقدام على الدراسات الحضرية.

ومن القوي الدافعة في هذا الاتجاه الحضري شعور كثير من الانثروبولوجيين بالأوضاع والمآسي التي تعاني منها المدن وحاجتها الماسة للدور الانثروبولوجي في التخفيف منها وفهم جذورها وخلفياتها الثقافية والاجتماعية إضافة إلى قناعة كثير من الباحثين الانثروبولوجيين إلى جانب علماء الاجتماع والجغرافية والاقتصاد والتخطيط الحضري بأن عليهم مسؤولية التعاون والتنسيق العلمي والتطبيقي المشترك لمواجهة التحديات والمشكلات الحضرية التي يتعذر على علم واحد معالجتها بمفرده. ومما يشجع هذه العلوم على التعاون معاً كثرة مشاكل الفقر والبطالة والانحراف والجرائم والتلوث التي يتطلب علاجها فهم مختلف جوانبها وارتباطاتها التي تحتاج إلى جهد علمي مركب لا يتوفر إلا من خلال فرق بحث تضم الانثروبولوجيا مع العلوم الاجتماعية الأخرى.

وما يحفز بالانثروبولوجيين بالقيام بالدراسات الحضرية هو أن المدينة تطرح وضعا إنسانيا معقدا وفريدا يندر العثور على أمثال في الأرياف والقرى، وهذا بحد ذاته يعني نوعا من فرص البحث التي يشعر الانثروبولوجيون بضرورة عدم تقويتها. إضافة إلى وجود المهاجرين الريفيين في المدن وما يوفره من مبرر قوي لمتابعة عملية الاستمرارية والانقطاع بين تأثيرات الريف والمدن في

حياتهم الجديدة. ومن العوامل المشجعة الأخرى، اتساع الرغبة في البحوث الحضرية المبادرات الناجحة للرواد الانثروبولوجيين الحضريين من أمثال ريدفيلد ويرث وأوسكارلويس والتي عززت ثقتهم في الإمكانيات الإيجابية المتوقعة من توسيع نشاطاتهم في هذا المضمار. وقد دعا ريدفيلد إلى ضرورة دراسة علاقات الريف والمدنية في صيغة التدرج والتكامل وليس من منظور الاستقطاب غير الواقعي. وفي رأيه أن هذا التدرج يمثل خطوة إستراتيجية مهمة في الدراسات الحضرية . بمعنى أن المجتمعات القروية المحلية تتطور دائما نحو النموذج الحضري وهي تتحول من النوع الصغير المكتفي ذاتيا والمنعزل ودائم على العلاقات الشخصية إلى النموذج الكبير غير المتجانس وغير الشخصي والعلماني وغير القرابي . وبهذا يكون ريد فيلد قد قبل النموذج الحضري الصناعي باعتباره نموذجا عالميا⁽¹⁾ .

لكن وجهات النظر الأخرى في الانثروبولوجيا الحضرية لا تطابق في بعض مضامينها ما ذهب إليه ريد فيلد. فأوسكار لويس لاحظ أن المكسيكيين لم يواجهوا مشكلة تحلل الأسرة والتي عدها ريد فيلد من سمات التحضير. ويشارك لويس ويرث رأيه وباحثون آخرون ويبدون قناعة بأن التحضر لا يشترط تحلل الروابط القرابية في كل الأحوال⁽²⁾ .

ومما يظهر تعقيد المدن دورها في حفظ وتوثيق التراث الثقافي من الضياع وهو دور لم يكن ممكنا في المجتمعات المحلية الريفية التي افتقرت إلى الأدوات والتقنيات العلمية والفنية لتحقيق ذلك. وملاحح التعقيدات الحضرية فبنواح كثيرة مصدرها التنظيمات البيروقراطية والصناعية والسياسية والتجارية والتي تتطلب أساليب في البحث على درجة عالية من الدقة والضبط. ومن

¹)Richard Fox، *op cite* .p113

²)*Ibid*-p243.

الواضح أن هذا يعرض أساليب الانثروبولوجيا التقليدية لإشكاليات كبيرة قد تؤدي إلى التنظيم الانثروبولوجي التي تميل إلى الشمولية من أجل استيعاب الأطر المنهجية الهادفة للتحليل الموضوعي الكمي الذي تستلزمه البحوث الحضرية عموماً⁽¹⁾.

لكي تستفيد الانثروبولوجيا من بعض العناصر الإيجابية في المدن والتي اعتبرت حلقات وصل مع تراثها العلمي فإنها صارت تبدي اهتماما كبيرا بالأحياء المعلقة Ghettos باعتبارها إطارا تنظيريا ملائما يسمح بتوظيف كثير من طرق البحث الانثروبولوجي، وقد حفز هذا النمط من الجماعات والكنائيات كثيرا من البحوث تناولت مختلف الجماعات الهامشية والمعزولة الاثنية والعرقية والطائفية.

لكن ملئ الفجوات بين المدن والقرى على المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ما زال يعد من أكبر التحديات. وتبرز الفروق بين الاثنيين في السلوك والفكر والمؤسسات والمعايير والوسائل التكنولوجية والمستويات الاقتصادية والحرف. ولعل الإشكاليات التي تواجه في المدن تبلغ ذروتها إذا ما فكرنا بما تسببه حياة المدينة للمهاجرين من انقطاع بين متطلبات العمل فيها وبين ما كونه من أنشطة اقتصادية اعتمدت على تقسيم العمل حسب الجنس والسن.

من المعروف تاريخيا أن الانثروبولوجيا على الرغم من ازدياد فروعها ظلت تحتفظ بهويتها العامة التي تتعامل مع الجوانب الثقافية البيولوجية للإنسان ويؤكد الانثروبولوجيون الاجتماعيون في دراستهم الثقافية والاجتماعية والنفسية على المقارنة العابرة للحدود الإقليمية والثقافية في العالم مع الارتكاز على

¹ (النوري قيس، المرجع السابق، ص 32)

المجتمعات المحلية .والى جانب تركيزهم على المجتمعات البدائية ظل الانثروبولوجيون يتميزون من غيرهم من أهل الاختصاص باهتمامهم بالعادات الاجتماعية والأعراف باعتبارها العلامة المميزة لتلك المجتمعات سواء في سياق النمطية أو أنساق العلاقات الاجتماعية أو في تكوين أشكال مختلفة من الشخصية في الجماعات المتعددة .والتركيز على الأعراف والتقاليد على أساس اعتمادها المتبادل وتكاملها هو من العلامات الفارقة التي تعطي الانثروبولوجيا خصوصيتها وفرادتها بين العلوم الإنسانية والاجتماعية⁽¹⁾.

ومما يفيد الانثروبولوجيا الحضرية في دراسة المجتمعات المعقدة تطوير بعض المفاهيم المركزية كالدور والمكانة (Rolex Status) باعتبارها ثوابت إنسانية لا يخلو منها المجتمع سواء كان قروا أو حضريا .فمن خلال مفهوم الدور يستطيع الباحث الحضري التساؤل عن طبيعة العلاقات القائمة بين من يؤدوا الأدوار وما يحركها من مصالح ويحيط بها من معايير في إطار نوع البناء والتنظيم الجزئي الذي تتحرك فيه هذه الأدوار .

ومن ذلك مثلا التضامن الاجتماعي وإمكانية تصنيفه في المجتمع الحضري بناء على أشكال الاتحادات والتنظيمات النقابية والسياسية والصناعية والتجارية والعلمية والإنسانية وغيرها مما تزخر به الحياة الحضرية. وبهذا تستطيع الانثروبولوجيا من توسيع استخدام مفاهيمها ونظرياتها الاجتماعية التي يمكن تطبيقها على سياقات الواقع الحضري .

فبالإضافة إلى مفهوم التضامن وما يحمله من قيم وسمات لا بد من الانتباه أيضا من منظور الأنساق الاقتصادية التي تزداد أهميته على حساب الأنساق الاجتماعية والعقائدية في المجتمع الحضري أن هناك حاجة متزايدة في

¹(النوري قيس، المرجع السابق، ص36)

الانثروبولوجيا الحضرية لاستيعاب هذا التحول في وزن الأنساق وطبيعة ما يفرضه على القيم والاتجاهات الإيديولوجية والعملية. فيدعم هذه الفكرة النوري قيس "... أن الاتجاهات المتنامية في المجتمعات الحضرية المعقدة ازدياد أهمية جماعات الضغط Pressure groups وما تمارسه من تأثيرات في إعادة تنظيم الحياة السياسية في المجتمع ، لعل في هذه الاتجاهات الكثير مما يتعلمها الانثروبولوجيون حول ظهور النسق القرابي كأساس للتنظيم السياسي وبروز التنظيمات الجديدة التي تتسع على حساب ذلك النسق ومنها التنظيمات الحزبية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية غير المستندة إلى النسب ، وتبرز هنا فرص جيدة للتعرف على عمليات النضير الأساسي الحضري وانبثاق أشكال محددة من القيادات" (1) .

ولعل مما يعطي الانثروبولوجيين دعماً في اهتمامهم بالدراسات الحضرية هو قوة بقاء الأسرة البشرية كوحدة ومؤمنة اجتماعية وثقافية رئيسية في المدينة على الرغم من التحولات التي تعرضت لها . من المؤكد أن صمود الأسرة وفعاليتها التي ما تزال تلمس في المجال التربوي والتوجيهي الذي يعتمد عليه بناء الشخصية. ولعل دراسة الأسرة في المدن تتيح للانثروبولوجيين إمكانية التعرف على الأدوار الأساسية للأفراد داخل الأسرة في المدن وما يقابلها في الريف.

ونظراً لبروز الصداقة غير القرابية كمؤسسة حضرية بالغة الأهمية بعكس دورها الضئيل نسبياً في الريف فإن الانثروبولوجيا تجد في هذا الإطار الجديد للعلاقات والتفاعلات الإنسانية مجالات متعددة ومتنوعة لفحص العلاقات التي تخلقها الصداقة الحضرية وما تستند إليها من مبررات عملية وفكرية.

¹ (النوري قيس، آفاق التغيير الاجتماعي النظرية والتنمية، مطبعة جامعة بغداد 1990. ص 68.

3. الدراسات الأنثروبولوجية للثقافة الحضرية:

لم تعرف الأنثروبولوجيا قبل النصف الثاني من القرن العشرين، تقسيمات وفروعاً، إذ كانت تتم لأغراض خاصة بالباحث أو من يكلفه، كدراسة حياة بعض المجتمعات أو مكوناتها الثقافية .

ومع انطلاقها في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، حيث أخذت تتبلور مبادئها وأهدافها، كانت ثمّة محاولات جادة لتوصيفها كعلم خاص، وبالتالي وضع تقسيمات لها وفروع من أجل تحقيق المنهجية التطبيقية من جهة، والشمولية البحثية التكاملية من جهة أخرى. فظهرت نتيجة ذلك تصنيفات متعدّدة، استند بعضها إلى طبيعة الدراسة ومنطلقاتها، بينما استند بعضها الآخر إلى أهدافها.

شهد القرن العشرين مراحل تكوين الأنثروبولوجيا وتطويرها، لتصبح كياناً أكاديمياً ومهنة متخصصة عند كثير من العلماء والفلاسفة والباحثين. فعلى الرغم من أنّ الفكر الأنثروبولوجي قد ظلّ خلال العقدين الأوليين من القرن العشرين، متأثراً إلى حدّ بعيد، بالنظريات التي سادت وتبلورت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، فإنّه سرعان ما تغيّر وتحوّل إلى منطلقات جديدة، نتج عنها اتجاهات متعدّدة إزاء دراسة الإنسان وحضارته، سواء ما كان منها نظرياً أو منهجياً⁽¹⁾.

¹ فهميم، حسين قصة الأنثروبولوجيا - فصول في تاريخ الإنسان، عالم المعرفة الكويت 1986 ص

أما مفهوم الثقافة الحضرية فيعتبر من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع الحضري ومفهوم يبحث فيه ويدرس وقد أصله الرواد الأوائل لمدرسة شيكاغو من أمثال لويس ورث وبارك وردفيلد وغيرهم وبحثوا في المفهوم واستخلصوا نتائج من خلال دراسة الثقافة الحضرية بالمدن الأمريكية وميزوا بين الثقافة الحضرية والثقافة الريفية . وقد سبقهم في هذا عالم الاجتماع العربي ابن خلدون عندما ميز بين العمران البدوي والعمران الحضري أو بين خصائص أهل البدو وخصائص أهل الحضر وهذا الأخير أسهب فيه واستنتج خصائص تميز أهل الحضر وتدرج أفكار ابن خلدون ضمن مفهوم الثقافة الحضرية. كما بحث فيها عدة علماء فرنسيين .

تمثل الثقافة الحضرية أعمال جماعة من العلماء ممن اهتموا بدراسة أثر المدينة على البناء الاجتماعي والايكولوجي، أو ممن اتخذوا على حد تعبير جوبرج من المدينة أساساً لتفسير بعض الأنماط الحضرية كـ " لويس ورث " و"روبرت ريدفيلد" وقد أسماها " فرازمان بنظرية التعارض والتي عنيت بإبراز خصائص المجتمع الحضري كنمط متميز بمقارنة بنمط المجتمع المحلي، وبحيث أصبحت المدينة تأخذ محتوى ثقافياً خاصاً، وتصبح تبعاً لذلك متغيراً تحليلياً لتفسير هذا المحتوى، بحيث تعتبر الثقافة الحضرية باعتبارها طريقة للحياة⁽¹⁾.

¹ (السيد عبد العاطي، علم الاجتماع الحضري، ج1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990، ص430.

كما يعد " روبرت بارك " أبرز المؤسسين الأوائل لمدرسة شيكاغو، وقد قدم اسهاماً في المدينة وأكد في هذا المجال عدداً من القضايا الهامة التي نجملها على النحو الآتي:⁽¹⁾

- المدينة مكان طبيعي لإقامة الإنسان المتحضر.
- المدينة بناء طبيعي يخضع لقوانين خاصة من الصعب تجاوزها .
- المدينة بناء متكامل .
- المدينة منطقة ثقافية.

يقول " شبانوا " أن العالم عبارة عن تصورات من خلال التفاعل داخل المدينة تنتج تصورات فردية - اجتماعية وهذه التصورات هي التي تبنى بها الحياة الاجتماعية الحضرية، وتكون عن طريق الاجتماع والتفاعلات والعلاقات الاجتماعية المتينة والأفعال والسلوكيات والمعاملات اليومية.

لماذا طابع أو طراز البناء في مدينة ما يكون بشكل معين وبألوان معينة وبهندسة خاصة ومحددة وخصائص تميزها.

هاته التصورات الاجتماعية والسياسية والثقافية والتاريخية لها انعكاس على سلوكيات وأفعال الأفراد داخل المجتمع الحضري، وبذلك تنشأ صورة خاصة للمدينة الحضرية وهذه هي سمة من سماتها وبالتالي تصبح ثقافة حضرية تطبعها.

¹ (حميد خروف وبلقاسم سلاطينة واسماعيل قيرة، الإشكالات النظرية والواقع، قسنطينة: دار البعث، 1999. ص14.

لدراسة المدينة بشكل متكامل ينبغي التعرف على موقعها الجغرافي وحدودها المكانية وظروفها من حيث المناخ والطقس والاحوال البيئية التي تتعرض لها ، كما أنه من الضروري أن نحصر سكانها ليس من حيث الحجم فقط، وإنما أيضا من حيث توزيعهم وخصائصهم وكل المشكلات التي يتعرضون لها، ذلك أنه يكون فارغ المعنى ان لم يرتبط بتحليل شامل للهيكل الاقتصادي للمدينة فتحدد مواردها الطبيعية والبشرية ومصادر الإنتاج بها وتخصصها الانتاجي وحراك الموارد منها واليها ، كما ان للبعد التاريخي يؤدي الى تفسير الأوضاع الحالية التي نجد عليها المدينة سواء من حيث النشأة، أو التطور أو الأوضاع المستقبلية. أما الإطار السياسي فيشكل بعداً هاماً وأساسياً فالمدينة دائماً وعلى مر العصور كانت مركزاً للتنظيم السياسي والإدارة والحكم، كما أنها تمثل الشكل السياسي الرسمي للدولة الذي يمتد تأثيراته لبقية أرجاء المجتمع. ويمثل البعد الاجتماعي محوراً حيوياً فهو يمثل محصلة لكل الأبعاد السابقة بحيث يمكن الاستعانة به دائماً في كافة الجوانب الأخرى، فما ذكر آنفاً عن السمات التي تشخص سكان الحضر لم تتكون هكذا دون جذور تربط فيما بينها، وتتمثل هذه الجذور في نسق للقيم يكاد يتشابه الى حد بعيد بين سكان هذا النمط على اختلاف المجتمعات وتتوعها ويتحدد محتوى هذا النسق في كل الأبعاد السابقة فهو انعكاس صادق لنوعية المهنة وكمية الدخل ومستوى التعليم ونظام السكن أي أنه باختصار صورة لنوعية الحياة التي يعيشها سكان الحضر.

ومن هنا نفهم انه ليس حقيقي النظر إلى المدينة أو الوحدة الحضرية على إنها فقط هيكل اقتصادي أو بناء فيزيقي أو وحدة إدارية بل هي أي المدينة كل ذلك وفوقه هي نظام اجتماعي⁽¹⁾.

ومن عناصر الثقافة الحضرية نجد :الممارسات الاجتماعية، الاندماج الاجتماعي (الرموز . الأفكار والتصورات . الممارسة الاجتماعية . القيم . العادات والتقاليد) والعلاقات الاجتماعية (تقاسم الأفكار والآراء والأهداف والقيم في المجال الثقافي الحضري).

نستخلص من خلال ما تقدم ان الثقافة الحضرية متكونة من مكونات منها ماهي مادية تتمثل في العمران وطرق البناء والهندسة والطرق والسيارات والهياكل والمؤسسات والموقع واللباس والاثاث...الخ. وماهي غير مادية أو ما يطلق عليه القطاع الاجتماعي للثقافة وأيضاً البناء الاجتماعي إذ يشمل مفهوم المجتمع على جانبين أساسيين هما : البناء الاجتماعي الذي تمثله العلاقات الاجتماعية، والتفاعلات الاجتماعية والتصورات الموحدة والثابتة نسبياً بين الأفراد داخل المجتمع الحضري. والجانب الثقافي الممثل في أسس تلك العلاقات والقواعد التي تقوم عليها.

و قد تشمل الثقافة الحضرية كل مكونات الثقافة المادية واللامادية وكذا الفكرية . وأن لكل مجتمع ثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، والثقافة تمثل حصيلة ما تعلمه أفراد مجتمع معين، وبذلك تتضمن نمط معيشتهم وأساليبهم الفكرية ومعتقداتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم وقيمهم والأساليب السلوكية التي يستخدمونها في تفاعلاتهم اليومية، وكل ما يستخدمه أفراد هذا المجتمع من

¹ (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المدينة (دراسة في علم الاجتماع الحضري)، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2006، ص42.

الآلات والأدوات في إشباع حاجاتهم وتكيفهم مع بيئتهم الاجتماعية الطبيعية، ويشكل أفراد المجتمع نمط معيشتهم ويعبرون عنها بأفعالهم وإنتاجهم وخبراتهم ومعارفهم وفنونهم.

ثالثا : أهداف الدراسة

هدف البحث إلى :

- ✓ دراسة التغيرات التي عرفتها فئة الشباب بالوسط الحضري وعلى طبيعة الممارسات الثقافية المنتشرة والسائدة في المجتمع الجزائري عموما ومجتمع الدراسة على وجه الخصوص ، وذلك من خلال الملاحظة والاستعانة بالموروث الثقافي الشعبي واستخدام المنهج البنائي الوظيفي من أجل تحليل وظائف البناء الاجتماعي.
- ✓ دراسة العلاقات الأسرية المتغيرة وأنماط الممارسات الثقافية داخل الأسرة (التواصل بين الشباب والجيل القديم).
- ✓ تحليل مظاهر التغير في الثقافة المعاصرة .

رابعا : أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث كونه:

- يتناول طبيعة وأبعاد التغير لدى الشباب بالوسط الحضري الجزائري ، التي شهدت قفزة نوعية في التحضر ، فضلا على أن الأسرة تعتبر النواة الأساسي للمجتمع التي تبرز فيها عناصر التغير التي تنعكس على الممارسات الثقافية.
- يعكس واقع تطور الثقافة الحضرية التي طرأت على البناء الاجتماعي ككل.

- يضيف بعدا علميا جديدا في مجال الأبحاث الأنثروبولوجية المتعلقة بالتحضر والثقافة الحضرية لدى الشباب الجزائرية.

إن دراسة طبيعة الممارسات الثقافية لدى الشباب في الوسط الحضري تقتضي تحديد عناصر هذه الجدلية . فالتحضر في الجزائر تحضر متسارع غير منظم، وهذه الملاحظة تنطبق على جميع الظواهر في المدن سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية : إن الوضع الفوضوي الملاحظ على مستوى التحضر يتجلى بصفة عامة بسوء التخطيط العمراني ، وظهور الأحياء الهامشية المتميزة بكثافة سكانية عالية جدا وبتنوع الأمراض وسوء التغذية والبطالة والامية والانحراف...

إن الإمام بمشاكل التحضر وبالممارسات الثقافية في الوسط الحضري بصفة خاصة ، يقتضي منا طرح بعض المسائل المتعلقة بهذه الممارسات في إطار الأبعاد البنائية للمجتمع الجزائري:

* البعد الاقتصادي: وفيه تتحرك عمليات الممارسة الثقافية من خلال تحديد الأهداف المادية وحصر الموارد الموجودة في المجتمع ، تم رسم الخطط التي تضع في اعتبارها الأوليات والبدائل التي تقود إلى توفير أنشطة ثقافية تأخذ على عاتقها تحقيق الأهداف المسطرة ومنها استثمار التنوع الثقافي في تكوين الشخصية الاجتماعية وتجاوز التحضر المتسارع ومشاكله الهيكلية.

* البعد الاجتماعي: ونعني به الإنسان من خلال كل ما يمارسه من أنشطة اجتماعية وثقافية وفكرية وفن وأدب وسلوك ، وتأتي أهمية الممارسات ومدى جديتها في هذا البعد ، انطلاقا من أن العنصر

البشري هو المحور الأساسي في كل عمليات التنمية . وعلى هذا الأساس فإن الممارسات الثقافية ، لابد أن توظف في الأغراض التي تسعى إلى الارتقاء بالفرد الجزائري إلى المستوى الذي يؤهله للصحة النفسية والتطور...

* البعد السياسي: في هذا الحيز من البناء يكون اتجاه عمليات الممارسات الثقافية ماضيا إلى ضم دور الجمعيات الثقافية في إشعاع الثقافة وتهيئة الجو للتعبير عن المعتقدات والاتجاهات الفكرية، من خلال التعبئة العامة والحشد الجماهيري لإبراز التنوع الثقافي.

بهذا المنظور ، يمكن القول ، أن الدراسة الحالية تعتبر من الدراسات المحلية النادرة التي تناولت موضوع الممارسات الثقافية لدى في الوسط الحضري . لذلك فإنه من المتوقع أن تسهم في تقديم معرفة نظرية وتطبيقية لطبيعة وأبعاد الممارسات وما تكتسبه من خصوصيات ثقافية ، كما أنها تمثل محاولة علمية لدراسة بعض أنواع الأنشطة الاجتماعية والثقافية التي يمارسها الأفراد في حياتهم اليومية، ومن المتوقع أن تسهم هذه الدراسة في زيادة الفهم لأبعاد التغيير التي طرأت على الممارسات الثقافية التقليدية في الوسط الحضري ، خاصة في عصر العولمة مما يساعد المؤسسات الاجتماعية والثقافية في المجتمع على وضع الآليات اللازمة للحفاظ على التراث الثقافي الأصيل.

خامسا : المفاهيم الأساسية للدراسة

لا احد يجادل من قيمة المفاهيم بالنسبة لتحليل الوقائع الاجتماعية، فهي تسمح بإعطاء معنى لهاته الوقائع والعلاقات القائمة في إطارها، ومن أهم المصطلحات التي لها علاقة بالدراسة الحالية، يمكن الحديث عن:

1- الثقافة:

إن مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم تعقيدا ، وقد كان هذا مدعاه للاختلاف بين العلماء في تعريف ماهية الثقافة . فمن العلماء من استخدمها ليصف سلوكا لطبقة اجتماعية معينة، واستخدمها البعض الآخر ليعبر عن طاقة المجتمع على الخلق والإبداع ، واستخدمه فريق ثالث للتعبير عن مستوى تعليمي أو ثقافي معين. ومن العلماء من اعتبر الثقافة مرادف لمفهوم الحضارة civilization⁽¹⁾.

كلمة ثقافة culture إلى كلمة culture اللاتينية . وهي كلمة مأخوذة من الأصل الألماني kulture . وتعني فلاحه الأرض.

و في العربية ، وكما جاء في معجم لسان العرب⁽²⁾ :ثقف الرجل ثقافة ، أي صار حاذقا حفيفا، ورجل ثقف، أي حاذق الفهم ، والمهارة ، وذو فطنة وذكاء والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ، ويقال ثقف الشيء ، وهو سرعة التعلم.

(1) عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي .مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 5 . 1986. ص ص 173 - 174 .

(2) معجم لسان العرب ، دار المعارف القاهرة .ص ص 492 - 493 .

و قد قدم ابن خلدون الثقافة في مقدمته الشهيرة على أنها العمران⁽¹⁾، والذي هو صنع الإنسان ، ويقول العلامة في هذا المجال⁽²⁾ : إن الاجتماع الإنساني ضروري ، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : أن الإنسان مدني بطبعه ، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران.

وعالج ابن خلدون في المقدمة ظواهر التربية والعلوم وأصنافها والتعلم وطرقه، كما ناقش ظواهر أخرى مثل الظواهر القضائية والخلقية والجمالية والدينية واللغوية⁽³⁾.

أما علماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فقد كان لهم شبه اتفاق على مفهوم الثقافة وقاموا بالأخذ بتعريف تايلور⁽⁴⁾ Tylor " إن الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكل المعتقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات والعرف وكافة المقدرات والأشياء الأخرى، التي تؤدي من جانب الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع.

⁽¹⁾ د محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الثقافي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية . 2002 ص 20 .

⁽²⁾ د محمد الهادي عفيفي ، في أصول التربية . الأصول الثقافية للتربية ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة . 1980 ص ص 121 - 122 .

⁽³⁾ د علي عبد الرازق جلبي وآخرون ، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية . ص 20 .

⁽⁴⁾ المرجع نفسه ، ص 21

وعرف مالمينوفسى⁽¹⁾ الثقافة بأنها تشمل المهارات الموروثة، بأنها تشمل المهارات الموروثة، بأنها تشمل المهارات الموروثة، الأشياء، والأساليب، أو العمليات الفنية، والأفكار، والعادات والقيم. وكلمة العادات التي أشار إليها مالمينوفسى تخرج بالتعريف من حيز الوسط البيولوجي إلى مجال الدراسات الاجتماعية.

ومن العلماء من نظر إلى الثقافة باعتبارها نتاج العقل الإنساني عن تفكير وعلم وفن وآداب وتكنولوجيا. فقد استخدم ماكيفر وبيج⁽²⁾ المصطلح للإشارة إلى كل ما صنعه أي شعب من الشعوب، أو أوجده نفسه من مصنوعات يدوية ومجريات ونظم اجتماعية سائدة.

ويشير تعريف الثقافة على هذا النحو السابق عدة مشكلات ، فالثقافة برغم أنها تتميز بالعمومية في تجربة الإنسان، إلا أن هذا لم يمنع من تميز مظاهرها المحلية والإقليمية، كما أنه برغم ما تمتاز به الثقافة من ثبات، فهي في تغير دائم وحركة مستمرة ،ومع أنها تغلف كل جانب من حياتنا، فيندر أن تدخل في نطاق تفكيرنا الواعي⁽³⁾ .

ومن الملاحظ أننا لا نستطيع أن نلاحظ الثقافة بصورة مباشرة، فهي تتمثل في صورة مجردة، مأخوذة ومستخلصة من مواقف وسلوك الإنسان الجماعي، ومبسطة من المناهج والمعايير والقوالب الفكرية لأفراد الجماعة.

¹ (د حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الثقافة : دراسة في علم الاجتماع الثقافي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2006 ص 11 .

² (المرجع السابق ، نفس الصفحة .

³ (د علي عبد الرازق الجبلي ، المرجع السابق ، ص 276 .

وينقل الأفراد السمات الثقافية الأساسية، وينقلونها من جيل إلى جيل وليس معنى ذلك أن الثقافة هي نتاج شخصية إنسانية واحدة، فالفرد لا يستطيع أن يشترك في جميع عناصر ثقافة المجتمع التي يعيش فيها.

والثقافة بطابعها لا تتجلى لنا كظاهرة إلا بعد إدراك تأثيرها. فمنذ الطفولة تتشكل الثقافة في أنواع معينة من السلوك، تعاقب إذا انصرفنا عنها، وتثاب إذا فعلنا والتزمنا بما نؤمر. وكذلك يكتسب الفرد بالتعلم ما يعتبره أهدافا وغايات يشارك فيها مع باقي أفراد المجتمع. فالثقافة إذن هي مثل الهواء أيضا إذا ما خالطه الضباب فإنها غير واضحة لا يمكن تجاهلها.

والثقافة بطابعها لا تضم فحسب أشكال التنظيمات الاجتماعية وأشكال السلوك المكتسب التي تنبثق منها، ولكنها تضم كذلك القوة الخلاقة التي تمكن المفكر من إنتاج شيء جديد يتميز بالحدثة في نطاق الأشكال والأنماط التي تحقق التكامل داخل المجتمع. وتحتوي الثقافة كذلك على تلك القوى " المحافضة على الهوية "، وهي التي تمكن المفكر والفيلسوف ورجل الدين والأديب والفنان من التوفيق بين متطلبات المعايير الدينية والأخلاق وبين الواقع المتغير.

2- الحضارة:

ذهب " دونزو كورتيز " D.Cortes في إسبانيا منذ القرن الماضي إلى أن الثقافة والحضارة تمثلان مرحلتين، والثقافة هي التي تسبق الحضارة، لكن الحضارة لا

يتبعها انحطاط ، كما كان يرى شينغلر ، بل على العكس ، الحضارة صعود نحو الحضارات (1).

و قد فرق "الفرد فيبر" A. Weber بين الحضارة « على أنها جملة المعارف النظرية والتطبيقية غير الشخصية وبالتالي تلك التي يعترف إنسانيا بصلاحياتها ويمكن تناقلها» وبين الثقافة «هي جملة من العناصر الروحية والمشاعر والمثل المشتركة التي ترتبط في خصوصيتها بمجموعة وزمن معينين» (2).

على العموم لم يعر علماء الأنثروبولوجيا وعلم اجتماع أي اهتمام لهذا التمييز الذي بدا لهم تمييزا وهميا وموصوما بصورة خاصة بثنائية غامضة . إن الغالبية العظمى من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا تتجنب استعمال مصطلح «حضارة» وتعتبر الاثنين (ثقافة وحضارة) من الممكن أن تحل إحداها محل الأخرى وهكذا فان الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي شتراوس، يتحدث عن "الحضارة البدائية" متبعا في ذلك مثل تايلور الذي على الرغم من إعطائه أحيانا للاصطلاحين معاني مختلفة ، إلا أنه كان يستعمل التعريف الواحد نفسه للثقافة وللحضارة» (3).

(1) مالك عبيد ابو شهيوه ومحمود خلف ،صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع - مصر 1999 ص109.

(2) د عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة ،مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 1 - فبراير 2006 ص 34 .

(3) مالك عبيد ابو شهيوه ومحمود خلف - المصدر السابق ص 135 .

و عليه ، قد نجد بعض علماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يميزون بين المصطلحين، فبعضهم يستخدم مصطلح « حضارة » لكي يشير إلى مجموعة من الثقافات الخاصة بينها تشابه أو أصول مشتركة .

و هكذا نرى أن مفهوم الثقافة يرتبط وفق هذا الاستعمال بمجتمع معين ومحدد الهوية، في حين أن مصطلح « حضارة » يستخدم ليشير إلى مجموعات أكثر اتساعا وأكثر شمولاً في المكان والزمان .

أما البعض الآخر فيستخدم مصطلح « حضارة »، للدلالة على المجتمعات التي بلغت درجة عالية من التطور ، وتتصف بالتقدم العلمي والتقني، والتنظيم المدني والتعقيد في النظم الاجتماعية، وهذا الاستعمال يعود بنا إلى أصل الكلمة بمعنى حضر أو تحضر في مواجهة البداوة والترحيل، وهكذا يؤدي هذا الاستخدام إلى مفهوم تطوري ، لذا نلجأ في العلوم الاجتماعية الآن إلى التغيرات مثل : التصنيع والنمو والتحديث والثقافة وعليه نستخلص الآن كل حضارة ثقافة بمعنى ما ، ولكن ليس كل ثقافة حضارة .

إن كلا من الحضارة والثقافة يشيران إلى نمط الحياة العام للبشر، وما الحضارة إلا ثقافة كتبت بحروف كبيرة، كلاهما تتضمنان « القيم والمبادئ والمؤسسات وأنماط التفكير، التي تعطي لها الأجيال المتعاقبة في مجتمع ما أهمية وألوية »¹. إن الحضارة «فضاء» ، «مساحة ثقافية» ، «إنها توليف من خصائص وظواهر ثقافية» وعرفت أيضا على « أنها سلسلة متميزة من العادات

¹) Richard mayne ، history of civilizations ، new york ، penguin press، 1994 ؛ pp : 4-5.

والبناءات الثقافية ذات الشبوع الواسع بشقيها المادي والمعنوي والتي تشكل نوعا من الكيان التاريخي «⁽¹⁾.

بينما الحضارة بالنسبة الى دور كايم وموس هي «نوع من البيئة الأخلاقية أو المعنوية وقد تضم في طياتها عدد معين من الأمم ، تمثل فيها كل ثقافة قومية فقط شكلا معيناً من الحضارة ككل»⁽²⁾.

أما شينغلر فيرى الحضارة على أنها «المصير المحتوم للثقافة ، وهي أكثر الحالات الظاهرية والاصطناعية التي تكون أجناس البشرية المتطورة قادرة عليها»⁽³⁾. يتبين من مختلف وأهم التعاريف أن الثقافة هي الموضوع المشترك في التعريف بأي حضارة. إذا الحضارات هي كيانات ثقافية ذات معنى ،ليس لها حدود قاطعة أو بدايات ونهايات دقيقة .

كي يعيش الإنسان ويستمر بقاءه ، غير كل ما حوله وابتكر في مجالات الاتصال بالعالم الخارجي بيئة صناعية ثانية ، فشيّد المنازل والأبنية ومهد الطرق ، واستعمل وسائل النقل ، فقد أشيع الإنسان العديد من احتياجاته بفضل المصنوعات حتى في أبسط أنواع الحياة الإنسانية. حتى قيل أن إنسان الطبيعة لم

¹)Immanuel WALLERSTEIN ، **Géopolitics and Géoculture : Essay on the Changing World System** (cambridge university) ، édition La Maison des Sciences de l'Homme، Paris 1991. P 215

²) Marcell MAUSS & E DURKEIM ، **Note on the Notion of Civilisation** ،édition Lafayette ، paris 1981 ، vol 29 p 901.

³)Charles Francis ALKINSON ، **The Decline of the West** ،édition Knopf ، New York 1970 ،p31

يوجد بعد، فهو دائما في الابتكار وتجديد من أجل تلبية حاجاته. وهذا هو مغزى الثقافة ومعناها، بصفاتها لحظة ما بعد الطبيعة حسب العبارة الأنثروبولوجية الدارجة ، أي لحظة التاريخ الذي يبدأ مع انتقال فعالية الإنسان إلى بناء النظام الاجتماعي على أنقاض النظام الطبيعي .

في الخلاصة يمكن القول أن مختلف التعاريف الانثروبولوجية حافظت على المقابلة بين الطبيعي والثقافي ، تدعمها المقارنات التي كانت رائجة بين الحيواني والإنساني وبين ماهر بيولوجي أو فطري وبالتالي مشترك بين كل الناس ، وبين ما هو مكتسب في الوجود الاجتماعي .

كما ينفرد الإنسان عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع ثقافته، كذلك ينفرد كل مجتمع بشري بخصائص ثقافية تميزه عن باقي المجتمعات. تتضمن ثقافة أمة أو جماعة وجهة نظر كل فرد عن السلوك الفردي والعلاقات الاجتماعية وموقفه من الآخرين وتفضيلا ته في ما يتعلق بمسائل الدوق والأخلاق والعلاقات الأسرية بين الآباء والأبناء وما يختزنه الفرد من القيم والمعايير الاجتماعية وما يقدهه وما يظهره من ولاء . ويشكل هذا بمجموعية وعن طريق الآباء وكبار السن الذين ينقلونها عن طريق التلقين أو عن طريق الدين والمدارس والقراءة ومختلف وسائل الإعلام والاتصال .

ولأن الثقافة مكتسبة وليست محمولة بيولوجيا فهي تسمى أحيانا "الموروث الاجتماعي" أو "المخزون الثقافي" ونظرا إلى القدرات الإنسان المبدعة فهو لا يكتفي بالتعلم واكتساب الثقافة فقط ، بل يضيف إليها إشكالا سلوكية مختلفة.

لا وجود للثقافة من دون مجتمع إنساني، ولا وجود لمجتمع دون ثقافة، العلاقة جدلية بينهما .

فالثقافة تنشأ عن الحياة الاجتماعية البشرية من خلال سعي الإنسان لابتكار سبل التكيف مع الظروف البيئية، ومحاولته بالتالي التحكم بالظروف المحيطة به. تختلف النظم الاجتماعية كما تختلف أنماط الثقافة في مدى شمولها، فهناك أنماط تشمل جميع أنماط المجتمع الواحد وتسمى العموميات من أنظمة الضبط الاجتماعي، بحيث يتعرض المخالف لها لعقوبات أو لنبد اجتماعي .

لا تتمتع كل الأنماط الثقافية لهذا الشمول وبخاصة في المجتمعات الحديثة، فهناك الكثير من الخصوصيات ' (spécialités) التي تشمل جماعة معينة داخل المجتمع الواحد، كما أن هناك بدائل (alternatives) وهي عناصر ثقافية متعددة ، للفرد حرية الاختيار بينها.

يكتسب الإنسان الثقافة منذ مولده عن طريق التفاعل، فهي لا تنتقل بالوراثة لكنها تتكون من خلال التنشئة الاجتماعية أو الانتشار أو التثاقف أو الاستعارة أو التماثل أو الاستيعاب ولا يدخل فيها السلوك الفطري والأفعال المنعكسة، ومع ذلك لا يمنع أن تكون بعض النظم الثقافية قد أوجدها الإنسان لإشباع حاجات فطرية، كنظام جمع الطعام أو الصيد أو الزراعة ، وهي تكتسب عن طريق التعلم ، ويمكن تطويرها كما تطورت قوانين التعلم وتقنياته، وبفضل اللغة يستطيع كل جيل أن ينقل خبراته بطريقة رمزية إلى الجيل الناشئ⁽¹⁾.

¹ (د عبد الغني عماد ، مرجع سابق ، ص 116 .

سمة المجتمعات دائمة التغيّر، والتغير قانون تخضع له جميع الظواهر "إذ التغير قانون الوجود وأن الاستقرار موت وعدم" وهنا يعنى بالاستقرار الثبات. وقد يتم التغير ببطء شديد بسبب عزلة المجتمع أو صغره وجمود تقاليده. أمّا المجتمعات الحديثة والصناعية فوثيرة التغير فيها أسرع ، وذلك يعود لقوة التفاعل الاجتماعي وتكاليف الاحتكاك الثقافي.

وقد تموت الثقافة إذا تفكك المجتمع الذي يحملها عن طريق الفناء أو عن طريق الغزو أو عن طريق الاندماج بثقافة أكبر وظهور ثقافة جديدة نتيجة لانصهار الثقافات القديمة⁽¹⁾.

فعلى الرغم من استمرار المجتمع في المكان نفسه، فإن الثقافات تتوالى على مر السنين وهذا ما حصل مع ثقافة الهنود الحمر وثقافة السكان الأصليين في استراليا ولكن بكيفية مختلفة ، فقد جاء الغزاة والمستعمرون الأوروبيون بثقافة متقدمة وفرضوها بالقوة⁽²⁾.

أن الإنسان يتكيف مع الضرورات الجغرافية من خلال الثقافة، وعن طريق الاستعارة من الشعوب المجاورة وعن طريق الاستجابة للتغيرات المختلفة الطبيعية منها والتكنولوجية⁽³⁾.

1) عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديريون الأمريكية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971 . ص 95

2- المرجع نفسه ، ص 76 .

3) عاطف عطية البيئية والإنسان ، دراسة في جغرافية الإنسان، جروس برس لبنان 1997 . ص 93

باختصار عندما تتغير ظروف الحياة، فإن الأشكال التقليدية للثقافة تتوقف عن مد الإنسان بالحد الأدنى من الإشباع لذلك فهي تستبعد أو تظهر حاجات جديدة وتكيفات ثقافية جديدة ، يعيش الإنسان من خلالها .

الثقافة وفق كلِّ هذا كلُّ يتحرَّك ويتطوَّر، وبالتالي فهو ينمو بما يشابه طبيعة النمو الحيوية، بالإضافة إلى آلية التغير الثقافي (changement culturel) آلية أخرى تجرى فيها الثقافة لتحقيق غايتها وهي آلية النمو الثقافي (croissance culturel) ، وهي عملية تحصل داخل الثقافة ذاتها ، والتي بطبيعتها تتجه نحو التغير التدريجي ، وذلك أنَّ كل جيل يقوم بالإضافة إلى "الموروث الثقافي" من خلال التعلم والتجربة وتسمى هذه العملية بالتراكم الثقافي (accumulation) وكلما حصل التراكم بإيقاع سريع زادت إمكانية التغير وتسارعت حركته، ومن شروط هذه العملية "الاستمرارية" والتي تعتبر بمثابة تصفية وتنقية وتألّف .

فالعناصر الثقافية المتركمة تعمل وتستمر في صور كثيرة ، طالما استمرت الوظيفة التي تؤديها في المجتمع. فبعض العناصر قد تتغير ووظيفتها، وقد تتغير صورتها ، وتصبح جزءا من ظاهرة أخرى ، كما في بعض صور السلوك الديني والأخلاقي الذي أصبح في بعض أشكاله اقرب إلى الفلكلور

الشعبي، أو يتمثل في أساطير وأمثال، كمثل السيف الذي مازال يحتفظ بشرفه بعد أن ورثت وظيفته أسلحة أخرى، ومع ذلك لا يزال رمزا للقوة والنبيل (1).

فقد أصبحت الثقافة في عصر العولمة أكثر قدرة على الانتشار. فانتقال العلوم وحركه المعرفة أصبح أكثر يسرا بما لا يقارن مع ما كان يجري في القرون الماضية.

هناك عدة تساؤلات تطرح حول مصدر الثقافة، أهي تأتي من المجتمع؟ أم من الدين؟ أم التاريخ هو المسئول عنها أم عمليات التفاعل مع الأفراد بينهم وبين البيئة الذي ينتسبون إليها؟ هل يكتسب الفرد القيم والعادات والتقاليد أم ينتجها؟ وهل تأتي الثقافة من القيم والعادات أم أن القيم والعادات تأتي من الثقافة؟ أم يكفي الإنسان باكتسابها أم يضيف عليها ويعدلها؟

في الحقيقة تأتي الثقافة من كل الاتجاهات، فبقدر ما ينتج المجتمع ثقافة، تنتج الثقافة مجتمعاتها بكيفية خاصة. فبقدر تفاعل الأفراد مع بيئتهم، تنمو الثقافة ويتكون المجتمع، وبقدر ما تتراكم الخبرات وتتنقل عبر الزمن ويتم تعديلها والإضافة إليها يكتمل ببيان الثقافة والمجتمع (2).

وإن شئنا استعارة العبارات الأنثروبولوجية نقول أننا أمام نمطين من الثقافة هما الثقافة العالمية (culture savante) والثقافة الوحشية (culture sauvage) وهو

¹ (سناء الخولي ، مدخل الى علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، مصر 1987 ص .113.

² عبد الغني عماد ، نفس المرجع ، ص 135.

تقاطب يمكن تسمية أيضا الثقافة العليا والثقافة الشعبية⁽¹⁾. في هذا التقسيم لا امتياز للثقافة المكتوبة (العالمية) على الثقافة الشعبية (الشفوية) في مضمار التعبير عن الذات. فكلاهما طريقة من طرائف هذا التعبير، بغض النظر عما فيهما من تفاوت في درجة التنظيم والتعقيد. تبدو الثقافة المكتوبة أكثر من غيرها تراكما ونجاحا. غير أن المشكلة ليست في هذه الفوارق ودرجات التعقيد بل في التفاوت لجهة وعي المجال والديناميكية الخاصة بحقل كل منهما .

يجد المرء في الثقافة، وبخاصة في الشعبية منها، نماذج جاهزة تحوز على صدقيه كبيرة في بيئته ووسطه، كونها شائعة ومعمنة، وميزة الثقافة الشعبية أن أكثر أشكالها غير مدوّن في الكتب، بل محفوظ بشكل مادي (في اللباس، وأشكال الطبخ..) أو في الذاكرة الجماعية (كالأمثال والأغاني التي لا مؤلف لها ...) وفي القيم والعادات والتقاليد والأعراف والشعائر والطقوس التي يقع الجميع تحت وطأتها مؤمنا أكان غير مؤمن. فالكل مهيا ليتقبل ايجابيا ما يأتي في سياق التقليد القديم مقارنة ما يأتي عن طريق الشيء الجديد ففي هذا المضمون يقول فريدريك معتوق " أن الباحث لاستطيع الاكتفاء بالتوجه إلى المكتبة الجامعية لدراسة الثقافة ، بل ينبغي عليه أن يهبط إلى حقل الحياة العملية لكي يجمع عناصرها"⁽²⁾.

يمثل الدّين ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة ، ليس في كونه مجموعة نصوص وتعاليم وقيم فحسب، بل بما هو كيان محسر اجتماعيا، ومبلور

⁽²⁾ المرجع السابق ، ص 136.

(2) فريدريك معتوق، ، المجتمع والتاريخ، جروس برس المعرفة ، لبنان، 1991، ص 110

بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال، أي من حيث صيرورته نظاما من الممارسات فضلا عن كونه نظاما من التصورات، بغض النظر عن طريقة استيعابه وطرق التعبير عنه من طرق المؤمنين به.

القيم الثقافية:

يعتبر مفهوم القيم من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضها وارتباطا بعدد كبير من المفاهيم الأخرى كالاتجاهات، والمعتقدات والدوافع الرغبات... ويرجع هذا الغموض إلى أن المصطلح مرتبط بمجموعة من العلوم والمعارف.

لكي نعرف مفهوم "القيم" (valeurs) يجب أن يخضع التعريف لعدد من المعايير، منها أن يكون قابلا للترجمة الإجرائية، وأن يكون واضحا لجهة تميزه عن مفاهيم متقاربة مثل الاتجاهات والمعايير الاجتماعية والحاجات، وأن يكون بعيدا عن الغموض، حين نقول "أن شخصا ما لديه قيمة معينة" فإننا بهذا نصف شخصا يحتضن أو يتبنى قيمة محددة يعبر عنها بصورة مختلفة. و حين نقول " أن موضوعا ما لديه قيمة" هذا يعني أننا نتحدث عن القيمة بحد ذاتها بمعزل عن الشخص⁽¹⁾. على هذا الأساس تناول العلماء الاجتماعيون والأنثروبولوجيون مسألة القيم، فمنهم من درسها على أساس الموضوعات وما تنطوي عليه من قيمة، ومنهم من درسها كما يتبناها الأشخاص.

¹ (مصطفى دنشلي ، مقدمة إلى علم الاجتماع العام ، مكتبة الفقيه بيروت 2002 ، ص ص

و إذا كانت القيم ملهمة للأحكام بالنسبة إلى التصرفات والسلوك، فهي أيضا الأساس الضمني لأي نموذج ثقافي، فقواعد اللياقة وأصول الآداب والقواعد التي تنظم الطقوس والشعائر وكثيرا من المعايير التي تقود أفعالنا وتوجهها في حياتنا اليومية. لذلك نقول أن الارتباط وثيق بين القيم والنماذج الثقافية. تبدو العادات والأعراف من بين العناصر الثقافية الأكثر عمومية فهما بطبيعتهما استجابة لحاجات ثابتة نسبيا، وتتغير تبعا لذلك .

يتخطى مفهوم العادة الاجتماعية مسألة التكرار لعملية معينة. مفهوم العادة أضيق من المفهوم الاجتماعي لهذه الكلمة. وقد عبر " بوروديو " عن ضيق مفهوم العادة (habitude) على انه يشير "إلى عملية إنتاج الأفكار الاجتماعية، ثم إعادة إنتاجها مع تغير الظروف اجتماعية أيضا، واستمرارية هذا النشاط مع استمرارية تطور المجتمع. والتفاعل الدائم بين الاثنين أي النزوع الشخصي الاجتماعي (habitus) والمجتمع الذي يتحرك فيه هذا النزوع ما هو إلا الهاجس المعرفي أو الهم الذي يشغل المجتمع في الزمان والمكان..."⁽¹⁾

و تنقسم العادات التي يكتسبها الفرد إلى عادات فردية وأخرى جماعية :

فالعادات الفردية، ظاهرة شخصية يمكن أن تتكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع ويكاد الإنسان يكون مجموع عادات تمشي على الأرض، بل في بعض الأحيان قيمته تعتمد على عاداته فطريقة لبسه ونظافته

¹ (عاطف عطية، المجتمع الدين والتقاليد ، بحث في اشكالية العلاقة بين الثقافة والدين والسياسة ،

وكلامه ومشيته وأكله وشربه وعنايته بحاجات بدنه من الرياضة واستحمام وعقله من تهذيب وتربية وما شابه، كلها عادات فردية تسهم في نجاح المرء وانسجامه في الحياة .

العادات الفردية لا تستمر إلا لأنها تقوم بوظيفة فهي تسهل العمل المعتاد وتجعل تكراره سهلاً.

إذا نشأت عادة تبعا لظروف مشتركة في مجتمع معين ومارسها عدد كبير، فمن الممكن أن تصبح عادة جماعية. أنها مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها .

بعض العادات مفيدة للحياة الاجتماعية ويؤدي إلى تعزيز وحدة المجتمع وتقوية الروابط بين أفرادها، مثل آداب السلوك العام وآداب الحديث والمائدة وصلات ذوي القرية . وبعضها سلبي ويشيع التفرقة بين أبناء المجتمع مثل العادات الخرافية وتعادي الخمر والمخدرات، وهناك من الأسباب والعوامل ما يساعد على تقوية سلطة العادات الاجتماعية، منها صغر حجم المجتمعات وانعزالها وصرامة النظام العائلي فيها .

و لقد تحدث ابن خلدون عن أهمية العادات الاجتماعية وكيف أن الإنسان ابن عوائده لا ابن طبيعته "إن أهل البداوة أقرب الى الشجاعة من الحضرة

وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومألوفة لا ابن طبيعته ومزاجه ، فالذي انه في الأحوال حتى صار خلقا وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة الجبلية " (1) .

3- التنمية الإنسانية:

التغير حقيقة موجود في كل مستويات الوجود في المادة الحية، وكذلك في الحياة الاجتماعية فبالتغير يتحقق التوازن والاستقرار في المجتمع، وعن طريق التغير يواجه الأفراد والجماعات متطلباتهم وحجاتهم المتجددة .

إن ظاهرة التغير الاجتماعي قد أثارت كثيرا من الجدل والنقاش عند العلماء فهي تعد ملازمة للمجتمع البشري، وهي ليست ظاهرة حديثة فقد شدد انتباه العلماء والفلاسفة منذ القدم حينما أشاروا هؤلاء العلماء إلى الحقيقة والتي مفادها أن الإنسان لا يستطيع أن ينزل إلى النهر مرتين ويجد الماء نفسه جاريا فيه إذ أن نزوله للنهر في المرة الثانية لا يجد التيار المائي نفسه الذي كان فيه عند نزوله في المرة الأولى . فالتغير الاجتماعي دائم ومستمر وقد تختلف درجة التغير من مجتمع لآخر، فتجد بعض المجتمعات تمر بحالة تغير سريع وأخرى ببطء، وقد يظن الباحث في هذه الحالة أن هناك مجتمعات راكدة وأخرى متحركة ولكن الاهتمام بالتغير وسرعته يرجع إلى السرعة التي تحدث فيها المجتمعات والظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها المجتمعات كذلك (2) . إن النظريات

¹ ابن خلدون ، "المقدمة" نسخة محققة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان
² عادل مختار الهواري ، التغير الاجتماعي والتنمية في الوطن العربي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1993 ، ص 43 .

السوسيولوجية الأولى كانت تخط بين مفاهيم (التغير، التطور، النمو، التقدم) أو يربط المفكرون بينها جميعا في مفهوم واحد.

وقد اظهر ايميل دوركايم Emil Durkeim - والذي يعتبر من أهم أعلام علم الاجتماع والأنثربولوجيا الاجتماعية - اهتماما بقضية التغير في العديد من كتاباته وخاصة في كتابة " تقييم العمل في المجتمع " والذي أوضح فيه كيف أدى تقسيم العمل المتزايد إلى تحول المجتمع الذي يقوم على التضامن الآلي إلى عدة مجتمعات متضامنة عضويا (1).

و تعتبر دراسة ماركس فيبير (Max Weber) لتأثير الأفكار الدينية على التطور الاقتصادي من أهم الدراسات التحليلية لظاهرة التغير، حاول ماركس فيبير تعريف علم الاجتماع باعتباره العلم الذي يحاول تحقيق الفهم التفسيري للعمل الاجتماعي بغرض الوصول إلى تفسير سببي لتطور وتأثير هذا العمل الاجتماعي (2).

إن مصطلح التغير الاجتماعي برز للإشارة إلى كل صور التباين التاريخي في المجتمعات الإنسانية على يد المفكر "أوجبرن" في كتابة "التغير الاجتماعي" سنة "1922" حيث ناقش مفاهيم التطور الاجتماعي وتحليله للعوامل البيولوجية والثقافية في التغير الاجتماعي (3).

2) د. سليمان علي الدلمي ، أ. محمد عبد المحسن عبد الله، التغير الاجتماعي والتحديث في المجتمع العربي الليبي، تالة للطباعة والنشر ليبيا. ط1 2001. ص 43

(²) المرجع السابق ، ص.34

(³) عادل مختار الهواري ، مرجع سابق ص 44 .

لقد اختلط مفهوم التغيير في الأحاديث العامة بمعنى النمو والتقدم والتطور واهتم علماء الاجتماع بمحاولة التمييز والفصل بين هذه المصطلحات، كل منها يتضمن معنى من المعاني يحدث عليها تبديلاً وتبايناً بمرور الزمن. لكن بالرغم من ذلك فإن كل مصطلح من هذه المصطلحات يختص بمعنى محدد خاص به.

و تمكن أهمية التمييز بين هذه المصطلحات في أنها تحاول الوقوف على نوع البناء الذي يصيبه هذا التغيير، وذلك لمعرفة ما يكمن بداخله أو خارجه من عوامل وأسباب، ولقد بُدلت محاولات تنظيرية عدة لتحديد ماهية هذه المصطلحات. فيها يتعلق بمفهوم التطور الاجتماعي فإنه يشير إلى تدرج المجتمعات في مراحل خلال فترات زمنية معينة تؤدي إلى ظهور عدد كبير من الصور البنائية في المجتمع، ويعتمد مفهوم التطور الاجتماعي أساساً على التصور الذي يفترض أن كل المجتمعات تمر خلال مراحل محددة في مسلك متدرج من البسيط إلى أكثر تعقيداً. وبذلك فإن هذا المفهوم يمتد ليشمل عملية التغيير التدريجي التي تتم في كل المجتمعات⁽¹⁾.

ويشير تقرير هيئة اليونسكو أن التغيير الاجتماعي يعني التحول والتطور والتقدم والتحول نوع من التغيير المستمر في حركته يتخذ اتجاهها واضحاً من اتجاهات أربع. فإما أن يكون إلى الأمام أو إلى الوراء أو إلى أعلى أو أسفل. والتطور نوع آخر من التغيير يأخذ صورة النمو من شكل بسيط إلى شكل أكثر

¹)Michell DUNCAN : Dictionary of Sociology، Rouledge & Kegan Paul édition – London – 1988.p 169.

تعقيدا. أما التقدم فلا يعرف سوى الاتجاه إلى الأمام بغرض الوصول إلى هدف مثالي يتخذه المجتمع ويسعى إلى تحقيقه (1).

يعني التغير الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة، واختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة محددة، ويعني التغير الاجتماعي التحول الذي يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة زمنية محددة. ويعني التغير الاجتماعي كذلك التبديل أو التطور أي التحول من طور إلى طور، وهو الصيرورة أي الانتقال من صورة إلى صورة .

و التغير يتضمن معنى التغير المنشود نحو الأفضل، أي معنى التقدم والتحسين (2) .

4- التغير الثقافي:

يعتبر مفهوم التغير الاجتماعي (changement social) مصطلحا حديثا نسبيا، لكنه قديم من حيث الاهتمام بموضوعه، فكان مختلطا مع المصطلحات أخرى مثل التطور (evolution) التقدم (progress) والتنمية (development)

¹ (فادية عمر الجولاني ، التغير الاجتماعي: مدخل للنظرية الوظيفية لتحليل التغير ، دار الاصلاح للطباعة والنشر ، الدمام 1984 .ص 34 .

² (خليل أحمد خليل ، معجم مفاهيم علم الاجتماع ، معهد الإنماء العربي ، بيروت 1996 ، ط1 ، ص

والنمو (growth) . هذه المصطلحات التي بدأت العلوم الاجتماعية تميز بينها مع بداية هذا القرن، بحيث أصبح من غير الجائز الخلط في ما بينها مع الأبحاث والدراسات الاجتماعية. أما في عام 1922 ومع صدور الكتاب المعروف "التغير اجتماعي" اتخذت الدراسات في هذا الموضوع منهجا علميا.

كثيرا ما استخدم مفهوم التغير الاجتماعي ومفهوم التطور الاجتماعي كما لو كان يدلان على المعنى نفسه. والواقع أن مفهوم التطور (evolution) شهد انتشارا واسعا في الحقلين البيولوجي والاجتماعي مع ظهور نظرية تطور سلالات لداروين. وكان التطبيق الاجتماعي لهذه النظرية على يد المفكر الإنكليزي هيربرت سبنسر (H Spencer) وذلك من خلال المقارنة بين الكائن الحي والمجتمع .

كذلك في ما يتعلق بمفهوم التقدم الاجتماعي (social progress) الذي كان يعني في الاستخدام الشائع تغير المجتمع من حالة إلى حالة أفضل. وقد جاءت نظريات التقدم الاجتماعي لتفسر تغير المجتمعات من خلال تقدمها. ومن أبرز هؤلاء، الأمريكي جون بيوري (John Bury) ، الذي يرى أن مفهوم التقدم يعني أن الحضارة الإنسانية قد تطورت في الماضي، وهي تتطور في الحاضر ، سوف تستمر في التطور في المستقبل في اتجاه مرغوب. إذا مفهوم التقدم عن عملية ديناميكية تتحرك بالمجتمع نحو غاية معينة وهذا ما أدى إلى الخلط بين مفهومي التغير والتقدم الاجتماعيين. قد أشار المفكر جون إلى أن الخلط يعود إلى أن المجتمع الإنساني قد ظلّ لفترات طويلة في حالة من الإستاتيكية ساعدت عليها العزلة النسبية التي عاشتها المجتمعات القديمة وصعوبة اتصال المجتمعات

بعضها ببعض، إلى أن جاء العصر الحديث ومعهُ الكثير من وسائل الاتصال المادية والمعنوية، والتي أحدثت ثورة في عمليات التفاعل، ما أدى إلى تحطيم الحواجز التي فرضت العزلة على المجتمعات. وهكذا نشطت حركة المجتمعات بعد طول جمود لتشمل كل شيء وتحولت من الإستاتيكية إلى الديناميكية .

هناك عدة انتقادات وجهت إلى هذا الخلط بين المفهومين، ذلك أن مفهوم التقدم يختلف من مجتمع لآخر، بحسب ثقافة المجتمع ، كما أن فكرة التقدم نفسها قد تتغير بتبدل الظروف والأزمنة.و هي في كل الأحوال فكرة نسبية . فالتقدم في مجتمع ما قد يكون مختلفا في مفهوم مجتمع آخر.

و الواقع أن استخدام مفهوم التقدم الاجتماعي يواجه صعوبات منهجية، حيث يحمل معنى خط سير للمجتمع نحو الأمام، أي انه يسير في خط صاعد، في حين أن مفهوم التغير يتضمن إمكانية التقدم أو التخلف وبالتالي فهو أكثر علمية، لأنه يتوافق مع واقع المجتمعات التي ليست دائما في تقدم مستمر.و هذا لا يعني الاستغناء كلية عن استخدام مفهوم التقدم الذي يبقى متضمنا قيمة اجتماعية وإنسانية، تقوم على الاعتقاد بقدرة الإنسان على صنع أفضل شروط الحياة .

نخلص إلى أن مصطلحات التقدم والتطور والنمو لا توفر منهجيا البعد الموضوعي لدراسة عمليات التغير من الناحية العلمية ، فهي تحمل معنى قيمياً وأخلاقيا يتأثر بالمنطلقات الذاتية للدارس، في حين أن مصطلح التغير الاجتماعي يصف الواقع كما هو كائن فعلا وليس كما يجب أن يكون.

يبقى أن نطرح السؤال عن العلاقة التغير الثقافي بالتغير الاجتماعي والإجابة تقتضي الإشارة إلى النقاش حول مفهوم ومضمون الثقافة وهو النقاش

الذي كان يميز بين المظاهر المادية واللامادية للثقافة ، ودراسة التغير الثقافي تقتضي فحص كلا المظهرين ، حيث لا يمكن فصلهما، وبالتالي البحث في تأثير أحدهما في الآخر.

و بالتالي يكون التغير الثقافي هو ما يطرأ من تبدل في جانبي الثقافة سواء أكان ماديا أو معنويا ، إنه تغير يحدث في جميع نواحي المجتمع (اللغة ، الفن، العادات والتقاليد...)و على هذا يصبح التغير الاجتماعي جزءا من التغير الثقافي.

لذلك فليست جميع التغيرات الثقافية هي تغيرات اجتماعية ، بينما العكس هو جائز . ومادام التغير الثقافي هو كل ما يتغير في المجتمع ، سواء كان هذا التغير محدودا أو واسعا ، شاملا المظاهر المادية والمعنوية ، ومادام التغير الاجتماعي يتناول الجوانب المعنوية لجهة وظيفتها في البناء الاجتماعي وما يترتب عليها من علاقات وما ينتج عنها من قيم وعادات، أي جوانب لا مادية . فكل ما هو تغيرا اجتماعيا يعد تغيرا ثقافيا، وليست جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي، على الرغم من أنها قد تتراكم وتصبح مع الوقت سببا أو علة للتغيير، كما هو الأمر في دخول التكنولوجيا المتقدمة وغزوها للعديد من أوجه الحياة التقليدية .

التعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية والثقافية والطبيعية، يقوم على قاعدة التفاعل المستمر، ويلاحظ أن بعض هذه العلاقات تفرضها عليها "ثقافة" في المقابل يفرض "الإنسان" ثقافته على بعض عناصر هذه البيئة، ومن خلال هذا التفاعل يحدث التغير، وهناك العديد من

العوامل المساعدة أو المسببة للتغير الثقافي والاجتماعي، بعضها خارجة عن دائرة الفعل الإنساني، مثل العوامل الطبيعية والبيولوجية وأخرى ناتجة عن النشاط الإنساني مثل التكنولوجيا والثقافية وغيرها .

على الرغم من أن التغيرات في البيئة الطبيعية نادرة الحدوث، إلا أن تأثيرها عندما تحدث يكون عظيماً في حياة المجتمع، فقد تؤدي إلى الهجرة الجماعية أو إلى تغيير شامل في حياة الجماعات المتبقية، كذلك يكون للمناخ أثر كبير في نوع المحاصيل وفي الإنتاج الصناعي وفي طبيعة العلاقات الاجتماعية. ويتأثر الدخل ومستوى المعيشة في المجتمع بما تحتويه الأرض من ثروات .

إلا أن الإنسان لا يخضع للعوامل الطبيعية خضوعاً تاماً بحيث تتحكم في حياته ومصيره فبالعلم استطاع أن يطوع البيئة ويستخدم معطياتها لصالحه⁽¹⁾ .

و قد اهتم ابن خلون في مقدمته بأثر البيئة في العمران البشري، وأكد تأثير المناخ في طبيعة الظواهر الاجتماعية والنفسية للسكان. وهذه العناصر تعدّ من أبرز العوامل المحددة لنشاط الإنسان. وهي التي تؤثر في سلوكه وفي عملية إنتاجه، وما يجعل منه ممثلاً للاتجاه الإيديولوجي في التغير الاجتماعي.

لكن علماء الاجتماع والجغرافيا البشرية أكدوا في دراساتهم أن الكثير من الظواهر الاجتماعية وعمليات التغير في شتى الميادين لا يمكن أن تفسر إلا بالنشاط البشري الناتج عن التفاعل بين وعي الإنسان والبيئة الطبيعية .

¹ (عاطف عطية ، البيئية والإنسان، دراسة في جغرافية الإنسان - دار المختارات - بيروت 2002

و بهذا يعتبر حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم من العوامل المهمة في أحداث التغيير الاجتماعي وهذا ليس راجعا إلى أن الجماعات الإنسانية تنظم وتفرض أنواع السلوك المتوقع من أعضائها فحسب أيضا لأنها في الوقت نفسه عبارة عن وحدات تقوم ببعض الوظائف والسلوك المتوقع، فضلا عن العادات والتقاليد . ومثال ذلك أن حاجات الأسرة في المجتمع التقليدي الزراعي تختلف عن حاجات الأسرة في المجتمع المدني الصناعي، وبالتالي فإن الأسرة الريفية الكبيرة في المجتمع يمكن ان تقوم بعدة وظائف، تعجز عنها الأسرة المدنية الزوجية (الصغيرة). وينتج عن ذلك أن تتغير التوقعات الإحتتماعية بتغير النماذج والحجم وتعد البناء الاجتماعي .

كذلك يلعب "الاتصال" و"العزلة" دورا مؤثرا في التغيير الاجتماعي والثقافي، فالعزلة لا تشجع الانتشار بقدر ما تشجع الاتجاه المحافظ، ودرجات الاتصال أو العزلة نسبية، فمعظم المجتمعات البدائية تكون شديدة العزلة وكذلك المجتمعات الزراعية لذلك هي ترغب في حماية ثقافتها، وتسعى في الغالب إلى مقاومة ورفض الاتصال بالمجتمعات الأخرى .

هناك عامل الإيديولوجية بحيث يعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة، وتساندها تبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية، أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية .

و ينعكس أي تغيير يطرأ على أيديولوجية المجتمع على الظواهر والمؤسسات الاجتماعية المتعلقة بموضوع الأفكار التي تعتنقها الناس .

و قد استقطبت الإيديولوجية ودورها في التغيير الاجتماعي كتابات كثيرة منها ما كتبه كارل مانهايم (k . Mannheim) فعنده كل فكرة أما تكون طوبى، وإما تكون ايدولوجيا، وذلك يعود إلى الظرف التاريخي العام. فالطوبى ينفى تمثل المستقبل واستحضاره ، أما الأيديولوجيا عنده، فهي التفكير الذي يهدف إلى استمرار الحاضر كما هو عليه⁽¹⁾ .

أما ماكس فيبر فكان يرى أن هناك فترات تمر بالمجتمعات بفضل وجود عباقرة وأبطال، أو انبثاق فئة من الحكماء والأنبياء والمرشدين أو العلماء التكنوقراطيين، وتعكس كتاباته أهمية العوامل الفكرية والروحية في التغيير⁽²⁾.

إن أهم ما يميز الإنسان هو قدرته على الاختراع، فمند القدم اخترع الإنسان البدائي أشياء تتلاءم مع بيئته ووقته وظروفه، وعند ظهور أي اختراع فإنه يستمر كجزء من الثقافة، ولا نقصد بالاختراع ما هو مادي فحسب، بل كل تجديد أو اتجاه إلى التجديد في ميادين العلوم والفنون والنظم الاجتماعية.

و مع ذلك يمكن القول بأن التغيير التكنولوجي يصطحبه دائما تغيير اجتماعي. فالتغيير لا يحدث دون سبب يحركه ويدفعه إلى الأمام. والواقع أن البحث في أسباب وعوامل التغيير الاجتماعي عملية معقدة تثير بعض المشكلات النظرية والمنهجية، أولها مشكلة التداخل بين هذه العوامل. وعلى سبيل المثال فإن الاتصال الثقافي يعتبر احد العوامل الهامة بين إحداث التغيير. ولكن هذا

⁽¹⁾ فريدريك معنوق ، مرجع سابق ، ص ص 158 -160 .

⁽²⁾ المرجع السابق، ص 160

الاتصال يتم عن طريق أفراد يلعبون دورا داخل مجتمعاتهم. كما يربط التغيير في أحيان أخرى بإشكال من التجديد الداخلي وهنا تتضافر العوامل الخارجية مع العوامل الداخلية للتغيير⁽¹⁾.

تعد العوامل الثقافية من العوامل المؤثرة في التغيير الاجتماعي حيث تعمل وسائل الاتصال في اغلب بلدان العالم على نشر الثقافات، فالمجتمعات التي تقع عند مقترف الطرق، كانت وما زالت دائما مراكز للتغيير .

فالالاتصال الثقافي عملية تسهم في إحداث تغيير اجتماعي واسع النطاق خاصة في الثقافات المستقبلية.و يبتي تأثير هذا الاتصال في الأفكار والمعتقدات السياسية والدينية، وأساليب الحياة والتكنولوجيا وكافة عناصر الثقافة، مثل عمق الاتصال، ودرجة مقاومة الثقافة التقليدية ودور النظم السياسية في نشر الثقافة المسيطرة ومدى تعدد قنوات الاتصال⁽²⁾ .

في الخلاصة لا يمكن القول أن عوامل التغيير الاجتماعي والثقافي ويمكن تحليلها بعامل "وحيد ولا حتى بالعامل الأساسي، فالواقع يبين تساند عدة عوامل لإحداث التغيير. فتطور الاقتصاد وعملية التصنيع مثلا تحتاج إلى توافر الأيدي العاملة المدربة وتحتاج إلى توافر المواد الخام وإلى توافر التكنولوجيا وقادة مخلصين ، وإلى أيديولوجية دافعة وموجهة، بحيث تتفاعل مجمل هذه العوامل وتتساند لإحداث التغيير. وقد تختلف قوة أحد العوامل تبعا لاختلاف المرحلة

¹ د. دلال ملحق استثنائية ، التغيير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع ، الاردن 2004 ط1 ، ص 45 .

² المرجع السابق ، ص 50 .

والظروف، فليست كلها على الدرجة نفسها من الأهمية، لذلك هي تتميز بالنسبية تبعاً لاختلاف الزمان والمكان والظروف المحيطة.

6. الممارسة الثقافية:

يقصد بالممارسة الثقافية تلك الأنشطة الاجتماعية والثقافية والترفيهية المختلفة التي يمارسها الإنسان بكيفية حرة وتطوعية ، خارج أوقات العمل المعتادة ، مع جماعة معينة من أمثاله.

و قد دفعت الحياة الصناعية المعقدة الدول إلى الأخذ بأسلوب النشيط الثقافي ، حيث أن الفرد يحتاج إلى ممارسة أنشطة وهوايات تشعره بالاستقرار والصحة النفسية. وبالنظر لكون مدننا تزداد تعقيدا نتيجة عوامل متداخلة ، أبرزها ارتفاع نسبة التحضر وطموحات الأفراد ورغباتهم ، بالإضافة إلى رياح العولمة ، فقد اتخذت الدولة الجزائرية على عاتقها إنشاء دور الشباب والمؤسسات الثقافية ودعمتها بالإمكانيات المادية والبشرية التي تمكنها من لعب دورها في إثارة المبادرات الفردية ، وفي تعزيز التواصل بين مختلف الشرائح الاجتماعية المتواجدة داخل المجتمع ، مما يساعد على تدعيم الحوار والتواصل بين مختلف فئات المجتمع ، وبالتالي توفير مناخ يشعر فيه المواطن بالانتماء والأمن والاستقرار.

إن الممارسة الثقافية في الوسط الحضري في ظل مجتمع المعرفة يعد مدخلا هاما لتسليط الأضواء على المشهد الثقافي والاجتماعي في عالم جد متحول- بين الأجيال وخاصة لدى الشباب باعتبار هذه الفئة تشكل وزنا ديمغرافيا هاما والأكثر اقتدارا في الانخراط في ظل المنظومة الجديدة التي

بدأت تتشكل رهاناتها في العديد من المجالات الاجتماعية المختلفة لتظهر ملامحها على أنماط السلوكيات في اتجاه التكيف مع متطلبات المرحلة.

يرتبط موضوع الممارسة الثقافية والاجتماعية من المنظور السوسيولوجي بمحددات اجتماعية تنحصر في تعامل الأفراد مع ما يتاح من مادة ثقافية لا بمعناها الأنثروبولوجي بل بمعنى التعامل مع المادة الثقافية حيث لم تعد الثقافة اليوم خاضعة لوسائل تقليدية في النشر والانتشار بل أصبحت متأثرة بالتكنولوجيات الحديثة.

هي كل النشاطات الحياتية، المعنوية والمادية، الفردية أو الجماعية التي تخضع لمجموعة علاقات.

- علاقة الإنسان بربه.
- علاقة الإنسان بالكون.
- علاقة الإنسان بالإنسان.
- علاقة الإنسان بالطبيعة⁽¹⁾.

وهذه العلاقات تخضع لنظم اجتماعية محددة، وهي تعرف بأنها كليات ثقافية أساسية منظمة وهادفة تتكون من قوانين وقواعد ومثل عليا مدونة وغير مدونة، وتتكون من الأدوات والوسائل التنظيمية، وتحقق نفسها اجتماعيا، في الممارسات الموحدة والمقننة والشرعية، وفرديا، في الاتجاهات

¹ طرشاوي بلحاج، "تأثير الممارسات الاجتماعية على العمران" رسالة لنيل شهادة الدكتوراه قسم الثقافة الشعبية شعبة الفنون 2007

والسلوك التعودي للأفراد ويقوم الرأي العام على دعمها وتنفيذها بصفة رسمية وغير رسمية عن طريق الهيئات الخاصة التي ترعاها⁽¹⁾.

7 . الشباب:

مفهوم الشباب كمفهوم الثقافة من المفاهيم التي يصعب تعريفها أو تحديد معانيها بدقة. وفي هذا الإطار، لا يحق تجاوز أو إغفال أن الشباب من الفئات الاجتماعية العريضة في أي مجتمع. ومن الخطأ التعامل مع هذه الفئة على أنها وحدة متجانسة ومنسجمة ومتساوية. بل إنها كتلة تتباين من فئة لأخرى ومن مجتمع لآخر ، بحسب المستوى التعليمي والثقافي والوضع الاجتماعي والاقتصادي، ليس فقط بالنسبة لهؤلاء الشباب، ولكن أيضا، بالنسبة للمجتمع الذي يعيشون فيه⁽²⁾.

أما فيما يعود لمفهوم الثقافة، فإن عددا كبيرا من الباحثين يعتبرون بأن الثقافة سلوك يكسبه الفرد عن طريق التعليم. إلا أن عالم الأنثروبولوجيا المشهور تايلور، كان يرى بأن الثقافة، إذا فهمت بالمعنى الإثنوغرافي الواسع، فهي: " ذلك

⁽¹⁾ محمد التريكي وخالد بوريد: "المعمار والممارسة الاجتماعية"، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية، تونس، 1989. ص 10.

⁽²⁾ "الشباب العربي ورؤى المستقبل"، وهو كتاب مشترك ، صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة : "المستقبل العربي" رقم 48 بيروت 2006 .

الكل المعقد الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف، ومختلف القدرات التي يكتسبها الإنسان من المجتمع باعتباره عضواً فيه"⁽¹⁾.

أما الأستاذ مالك بن نبي فيقدم تصوراً شاملاً لمفهوم للثقافة ، بقوله : "هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه .. فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر .. والثقافة هي ذلك الدم في جسد المجتمع ، يغذي حضارته ويحمل أفكار الصفة كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة ، والأذواق المتناسبة"⁽²⁾.

ويرى الدكتور "التركي الحمد" انه لو استعرضنا مختلف تعريفات مفهوم الثقافة الذي أورده علماء السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا أو مالك بن نبي أو الجابري أو اليونسكو ، فإن تعريف الجميع ، ورغم الإختلاف النسبي ، لا يخرج في خلاصته عن القول بأن الثقافة عبارة عن تلك المعايير المشكلة لنظام العقل والسلوك في

(1) السيد عبد العاطي السيد : "صراع الأجيال ، دراسة في ثقافة الشباب" دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1990 ص 45 .

⁽²⁾ محمد رمضان ، " الشباب ثقافة " وقائع الندوة الدولية التي انتظمت ببيت الحكمة يومي 11 - 12 أكتوبر 2010 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس وللبحث أكثر أنظر - مالك بن نبي : "مشكلة الثقافة " ، الطبعة الثانية ، بيروت دار الفكر 1959 ص 71- 75 .

مجتمع ما، أو لدى جماعة ما ، والتي تحدد نظرة الفرد والجماعة لنفسها وللآخرين، والكون من حولها ، وبالتالي طبيعة السلوك (1).

نستنتج مما سبق، أن مفهومي الشباب والثقافة يخضعان لمنطق التغيير الذي يخضع له المجتمع ككل. وفي نفس الوقت، هناك من الأوجه، فيهما معا، ما يجعلهما يخضعان أيضا لمنطق الثبات والاستمرارية.

مفهوم الشباب :

الشباب كلمة تبدو مجرد "كلمة" (2) ، بسيطة ، يسهل توظيفها في الواقع من دون أن تطرح أي إشكال ، بل يمكن نفي وجودها أصلا (3) ، إلا أن الحقيقة عكس ذلك ، فالكلمة لا ترتبط بمفهوم محدد، وقد اكتسبت من تعدد استخدامها في مجالات العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، وفي مجالات الخطب السياسية والدينية، وكثيرا من اللبس في المعنى، والغموض في المقتصد (4).

¹ التركي الحمد : "الثقافة العربية في عصر العولمة" ، الطبعة الثالثة ، دارالفكر للنشر بيروت 2003 ص 15-16.

²) Bourdieu Pierre : "La jeunesse n'est qu'un mot" une question de sociologie de minuit ، ED Paris، 1984، P3.

²) MAUGER G. : « Fruit de la passion، les 20-30ans se mettent à table »، Les éditions ouvrières. Paris، 1986، P7.

³ د. المنجي الزبيدي : "مقدمات لسويولوجيا الشباب" ، الكويت ، المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب عالم الفكر ، العدد 3 المجلد 30 ، يناير - مارس 2002 ، ص28.

لقد حظي مفهوم الشباب اهتمام العديد من علماء النفس والاجتماع كما تعددت محاولات وجهود المشتغلين مع الشباب لتوضيح ماهية الشباب وتباينت فيما بينها فمنها ما يوضح مفهوم الشباب وفق المعيار الزمني " السن " ومنها ما يتناوله من خلال الخصائص والحاجات وكذلك نجد من يحدد مفهوم الشباب في ضوء البلوغ الجنسي والنمو الجسمي ومع ذلك فان المفهوم يلقي مقبولاً هو أن الشباب مرحلة يكون فيها الشباب أو الإنسان قادر مستعد على تقبل القيم والمعتقدات الجديدة حيث أصبحت لهم مطالب قد لا تتصل بإشباع حاجات أساسية ولكنها تتصل بالتأكيد بإشباع حاجات اجتماعية محلية يتطلب إشباعها عادة إعادة صياغة النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بكامله. يعتبر علماء السكان هم أول من حاول تقديم تحديد لمفهوم الشباب وفي هذا التحديد نجدهم قد استندوا إلى معيار خارجي يتمثل في " السن " أو " العمر " الذي يفيضه الفرد في التفاعل الاجتماعي.

أما علماء الاجتماع فلهم تحديدهم العلمي والموضوعي الذي يؤكد انه بالإضافة إلى التحديد العمري السابق فإن فترة الشباب تبدى حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل الشخص لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي دوراً أو أدواراً في بنائه .

وتذهب هذه النظم العقلية أيضاً إلى انه إذا اصطلحنا على تسليم دورة حياة الإنسان بين الطفولة والشباب والرجولة والشيخوخة فان المرحلة الأولى في غالبها ذات طابع بيولوجي بينما الثانية بيولوجي نفسي اجتماعي وتعتبر الثالثة امتداد بهذه الاكتمال إلى أقصى مستويات النضج وهو المستوى الذي يبدأ في التحلل خلال المرحلة الرابعة حيث الشيخوخة والمرحلة الثانية هي مرحلة الشباب وهي مرحلة المعاناة لأنها مرحلة الاكتمال والاكتمال مرحلة فيها إضافة وتولد وذلك يعنى أن الشخصية الشابة تعتبر بناء يتكون من مجموعة من العناصر البيولوجية.

عادة ما يطلق الكبار نعوتاً وصفات على الشباب، وهم عندما يتداولون حول هذه الفئة الاجتماعية، فهم لا يرون فيها سوى الجوانب السلبية والقدرية. فهم لا يتحدثون إلا عن مشاكل الشباب وعن تمردهم وانفعالاتهم وعن أحلامهم الزائدة وطموحاتهم غير الواقعية، عن عنفهم وعدوانيتهم وانحرافهم، أو عن مخالفتهم للأعراف والتقاليد، وانتهاك القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية.

هذا هو الخطاب السائد حول الشباب. لكن، كيف يمكن تناول هذه الفئة الاجتماعية بالدراسة والتحليل، دون السقوط في التبسيط أو في الخطاب الضحل والديماغوجي؟ خاصة وأنها، في نفس الوقت، ذات أهمية كبرى، والتي تعتبر بالنسبة للبعض الآخر، هي عماد المجتمع وآمال المستقبل. كما أن هذه المرحلة تمثل لكل واحد منا، تلك المرحلة المشرقة من عمرنا. لقد عشنا ولا يزال البعض منا يعيشها، بأحلامها وتخيلاتها، بمشاكلها ومعاناتها. وكل واحد منا، عندما يخلو بنفسه يردد قول الشاعر وبحسرة: " ألا ليت الشباب يعود يوماً، لأخبره بما فعل المشيب". لقد مثل ولا زال يمثل لنا الشباب، تلك الصورة الجميلة التي كنا نرسم بها معالم المستقبل، ونخطط لتجاوز الواقع الذي لم نكن نقبل به أو نرتاح له؟

ويقول علي شعباني في مقال له : إن مرحلة الشباب ليست ثابتة ولا منسجمة، وهناك من يعتبرها مرحلة عائمة وغير واضحة: فمن حيث السن، نحن شباباً بالنسبة لمن هم أكبر منا سناً. وكباراً أو شيوخاً بالنسبة لمن هم أصغر منا سناً. وبالاعتماد على القوة البدنية، فنحن شباباً ما دمنا أقوىاءً بدنياً أصحاء جسدياً، وكهولاً أو شيوخاً كلما لم تكتمل هذه القوة أو وهنت بفعل الكبر والتقدم في السن. أما من حيث الاتجاهات الفكرية والإيديولوجية، فللسباب الأحلام والحب

عدم تقدير المسؤوليات، وللكبار والشيخوخ، الحكمة والنضج. وأما بالنسبة لتقسيم العمل: للشباب التكوين أو البطالة، ولل كبار العمل وتقلد المسؤوليات (1).

لكن، مهما يكن، تبقى للشباب قوة وجوده وفاعليته وأهميته على الكثير من الأصعدة، سنحاول في دراستنا الميدانية ، إبراز أهمية هذه الفئة الاجتماعية ومختلف أدوارها ووظائفها من خلال الممارسات الثقافية لها في المجتمعات المعاصرة على وجه العموم والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص.

حدد كل علم من العلوم الإنسانية مفهوم الشباب من منظوره الخاص وإن اختلف الباحثون حول بداية ونهاية مرحلة الشباب العمرية فالبعض اهتم بالنمو الجسمي ووظائفه وآخرون يهتمون بالنمو النفسي وفريق ثالث يركز على تغيير الوضع الإجتماعي والأدوار الإجتماعية . ويعتبر علماء السكان هم أول من حاول تقديم تحديد لمفهوم الشباب مستنديين في ذلك إلى معيار السن أو العمر الذي يقضيه الفرد في أتون التفاعل الإجتماعي مع إختلافهم في تحديد بداية أو نهاية هذه المرحلة حيث يؤكد بعضهم على ان الشباب من هم دون سن العشرين محددين بذلك نقطة النهاية دون تحديد نقطة البداية وثمة من يؤكد أنهم يقعون في الشريحة العمرية ابتداء من سن الخامسة عشرة إلى سن الخامسة والعشرين بينما يذهب آخرون إلى أن الشباب هم من يزيدون على سن السادسة عشرة باعتبارهم المؤهلين للانضمام إلى قوة العمل . أما علماء الاجتماع فيميلون إلى تحديد مرحلة الشباب على أنها تبدأ مع محاولة المجتمع تأهيل الشخص لإحتلال مكانة اجتماعية وممارسة دوره في مسيرة البناء والتنمية وتنتهي حينما يتمكن الفرد من احتلال هذه المكانة وممارسة الدور المنوط به مميزين في ذلك بين السياقات

(1) علي شعباني ، " الشباب وثقافة الشباب بين التغيير والثبات "، وقائع الندوة الدولية التي انتظمت ببيت الحكمة يومي 11 - 12 أكتوبر 2010 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ،تونس.

الإجتماعية التى يحيا فيها الشباب بمعنى أن المجتمعات النامية تكاد تشهد غيابا لمرحلة الشباب أو ينتهى الحد الأقصى فيها سريعا قبل المجتمعات المتقدمة التى تولى مرحلة الشباب أهمية كبيرة بوصفها مرحلة التدريب والإعداد للمسئولية وتحمل الأعباء التى تتصل بهذه المجتمعات وتتميتها اجتماعيا واقتصاديا .

ومن جانبهم يرى علماء البيولوجيا أن مرحلة الشباب هى التى ترتبط بنمو البناء العضوى الفيزيقي من حيث الطول والعرض أو من حيث نمو واكتمال الأعضاء فى الجسم فتنتهى مرحلة الشباب باكتمال هذا النمو وإن بدأت ببروز مجموعة التغيرات التى تحدث فى البناء البيولوجى للكائن الحى .

وأخذ فى الإعتبار تلك الرؤى جميعها يمكن القول بأن مرحلة الشباب هى مرحلة تغير كمى ونوعى فى ملامح الشخصية تتميز بدرجة عالية من التعقيد إذ تختلط فيها الرغبة فى تأكيد الذات مع البحث عن دور اجتماعى والتمرد على ماسبق انجازه . إلى جانب الإحساس بالمسئولية والرغبة فى مجتمع أكثر مثالية مع السعى المستمر إلى التغير . وبذلك فإن هناك من العناصر ماإن توافر فانه يعكس ملامح مايمكن أن يسميه البعض بالشخصية الشابة ومن هذه العناصر :

العنصر البيولوجى . والعنصر الإجتماعى الذى يتزود فيه الفرد ببعض الحاجات الإجتماعية التى يسعى لإشباعها جنبا إلى جنب مع حاجاته البيولوجية الأساسية . والعنصر السيكولوجى الذى يعنى مجموعة الخبرات التى يكونها الشخص نتيجة التعامل مع العالم الخارجى . إلى جانب اتجاهاته حول هذا العالم . وأخيرا المكون أو العنصر الثقافى والذي يتم من خلاله ضبط حركة الفرد فى السياق الإجتماعى.

(أ) ماذا يقصد بالشباب ؟

يستعمل مفهوم "شباب"⁽¹⁾ (ج. شاب) وبالغ ومراهق للدلالة على نفس المدلول. فحين نقول فلان شاب أو بالغ مراهق فهذا يعني أنه شخص وصل إلى فترة عمر تقوده من نهاية الطفولة إلى بداية سن الرشد. فالمرهقة هي مجموعة التغيرات الجسدية والنفسية التي تحدث بين مرحلة الطفولة وسن الرشد. والبلوغ يركز على الجانب الحيوي للمراهق وعلى الخصوص ظهور علامات نضج الجسد والعقل. والشباب هو المظهر الاجتماعي للمراهقة، ويعرف بكونه فترة النمو التي يتمكن فيها الكائن من كل وسائله وإمكانياته.

وقد شاع عند علماء الإسلام والأطباء استعمال مفهوم "بلوغ"، وشاع عند علماء النفس استعمال مفهوم "مراهقة"، بينما انتشر تداول مفهوم "شباب" بين علماء الاجتماع والأخلاق. وإن حاجة الباحثين لدراسة علمية موضوعية للشباب تستوفي شروط المعرفة العلمية، أدت إلى ظهور علم جديد متخصص هو "علم الشباب"⁽²⁾، وهو فرع المعرفة الذي يدرس الشباب من الناحية النفسية والحيوية والاجتماعية، ويحاول فهم وتفسير مختلف التغيرات والتطورات والمشاكل التي قد تعترض الشباب في طريقه نحو الرشد والاكتمال.

والشباب " كلمة" أصلها " شبيب" وتعني الفتاء والحدائثة، والفعل شبب، والجمع شابات وشوائب، و"الكلمة" ولن لم ترد في القرآن الكريم ، فإن لها فيه مرادفات عدّة منها :

- "فتى" ، ومثناه فتوان وفتيان والجمع فتيان وفتية وفتوة وفتو، قال تعالى :

¹) Maurice Debesse : "L'adolescence" P.U.F2007 . p. 7

²) DMS III Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux. Masson, Paris. (V 62-89)

﴿ تَخُنُّ نَقْصٌ عَلَيْكَ بِأَهْمُ بِالْحَقِّ إِيَّاهُمْ فَتَبِيحُ أَمْوَالِهِمْ وَمَرَدُّ نَاهُمْ هُدًى (13) ﴾ سورة الكهف.

وتعنى كلمة "فتى" (1)

- الشاب الحدث كما جاء في المنجد
- الكامل الجزل من الرجال
- الجدّ والامتناع عن العمل : " إذا فقيت الجارية منعت من اللعب مع الصبيان والعدو معهم ، وخدرت وبشرت في البيت "
- القوة والبيان، الفتيا : تبين المشكل من الأحكام فكأنه يقوى ما أشكل بيانه ويصير فتيا قويا واصله من الفتى وهو الحديث السلم.

- " صبى " قال عزّ وجلّ في كتابه الحكيم : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنْبِئِ الْاَحْكَامَ صَيًّا (12) ﴾ سورة مريم.

وتدل كلمة "صبا" ومنها "صبى" على الخروج عن دين القبيلة ويقال: "تصبى المرأة أي خدعها وفتتها" (2).

- "مراهق" قال ابن فارس : "الراء والهاء والقاف أصلان متقاربان، فاحدهما : غشيان الشئ، والآخر : العجلة والتأخير فأما الأوّل فقولهم ورهقه الأمر : غشيه ... قال الله جلّ ثناؤه :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۚ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَسْرٌ ۖ وَلَا ذُلٌّ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) ﴾ (سورة يونس).

¹ لسان العرب لأبن منظور ، دار بيروت 1994 ، مادة فتا، ص 1051.

² المصدر نفسه ، مادة صبا ، ص 407-409

والمراهق كما جاء في المنجد هو الغلام الذي قارب الحلم. وجاء في مختار الصحاح والعق الغلام فهو مراهق مراهق أي قارب الاحتلام... وأرهق القوم الصلاة : أخروها حتى يدنو وقت الصلاة الأخرى ، والرّهق : عجلة في كذب وعيب " (1) والأصلان اللذان تدور حولهما هذه المعاني لهما صلة بمصطلح " المراهقة (2). وتعنى كلمة " المراهق" ومنها " المراهقة" الرجل في المتهم في دينه، والرّهقة هي المرأة الفاجرة.

وقد وردت مادة (رهق) في القرآن الكريم في نحو ثمانية مواضع (3) وتكرر مضارع رهق الثلاثي المجرد في نحو سبعة مواضع ، منها :

قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَسْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّمَّا كَسَبُوا ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِقٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27) ﴾ (سورة يونس).

وجاءت مادة (رهق) مصدرا في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعُودُونَ رِجَالًا مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) ﴾ (سورة الجن) ، وقوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافِ بِحَسَا وَلَا رَهَقًا (13) ﴾ (سورة الجن)

(1) معجم مقاييس اللغة ابن فارس دار الفكر (2 / 451)

(2) محمد بن عبد الله الدويش : "تربية الشباب - الأهداف والوسائل" - الطبعة الأولى، الرياض دار الوطن للنشر والتوزيع 1423هـ، 2002، ص20.

(3) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - باب الرء - مادة رهق - مجمع اللغة العربية - نقلا عن د. محمد السيد محمد الزعبلوي "تربية المراهق بين الاسلام وعلم النفس" ، الطبعة الرابعة ، الرياض، مؤسسة الكتب الثقافية ، مكتبة الثوبة، ص 16.

وجاء في لسان العرب معاني عدّة للرهبق منها : الكذب ، والخفة ، والحدة ، والسفه والتّوك ، والتهمة ، وغشيان المحارم وما لا خير فيه ، والعجلة ، والهلاك (1) ... ولعل الرهبق في اسوء صوره يعني الضلال والقلق والحيرة .. الرهبق الذي يركن معه القلب البشرى إلى عدوه، ولايعتصم بحبل الله ، فينا له الوهن ، وقلة الطمأنينة والسكينة والأمن (2) . والرهبق هو الطغيان والزيادة ، وذلك من خصائص الحياة الإنفعالية للمراهق.

وما يجب التأكيد عليه في هذه المسألة أن المراهقة ذات أصل عربي ، وفعلها الثلاثي رهبق - فعل متصرف- والمراهقة مصدر للفعل الثلاثي المزيد بالألف (راهق - مراهقة) جاء الفعل راهق في السنة النبوية الشريفة ، وهذا الفعل المشتق يتميز بكثرة معانيه وتنوعها ، ويغير علماء اللغة الفعل رهبق ب : السفه والكذب وغشيان المحارم وركوب المخاطر وحمل الغير على ما يكره والعجلة وهذه المعاني قد تجتمع في المراهق الذي تسوء تربيته (3) .

نقصد بمفهوم "شباب" في هذه الدراسة ذلك الشباب الذي وصل سن البلوغ الجسدي واكتسب القدرات والإمكانات النفسية اللازمة، لأنها تقع بين الطفولة وسن الرشد التي هي فترة تأكيد الذات بالنسبة للشباب وتشمل المراهقة والبلوغ.

عندما نتحدث عن الشباب، فالمسألة إذن، تتعلق بمرحلة النمو الجسدي والنفسي والعقلي والاجتماعي لهذه الفئة. إن الشباب يتميز بالحركة والتجدد والتغير، إلا أن كل هذا لا يمكن أن يتم في تجانس وانسجام. فالحركة قد تكون

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، المجلد 10 ص 128- 131

² سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، الطبعة الثانية عشرة ، جدة ، دار العلم الطباعة والنشر، الجزء السادس، 1406هـ، 1986، ص 3728.

³ د. محمد السيد محمد الزعبلوي، المرجع السابق، ص 19.

سريعة أو بطيئة، والتجدد قد يكون عميقا أو سطحيا، والتغير قد يكون شاملا أو جزئيا. وقد تختلف درجة كل ذلك، من عصر إلى عصر ومن جيل إلى آخر، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر. والشباب من الفئات الاجتماعية السريعة التأثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية السائدة في المجتمع الذي يعيشون فيه، كما يتأثرون بما يقع في المجتمعات الأخرى القريبة أو البعيدة منه، بفعل آليات التأثير الكثيرة، والتي أصبح دورها قويا في العصر الحاضر.

ومن أعمق التغيرات التي تهم شباب المجتمعات المعاصرة، إطالة مرحلة الشباب، تحت ضغط التحولات المورفولوجية وبفعل التحولات الثقافية. وهكذا فإن الدخول إلى مرحلة الإنتاج والاستقلال المادي، لا يباشرها الشباب اليوم، إلا في فترات متأخرة عما كان عليه الأمر في السابق.⁽¹⁾

وتزيد هذه التغيرات عمقا، كلما اقتربنا من جنس الشاب، لأن الاختلاف يكون واضحا بين أن يكون الشاب ذكرا أو أنثى، من كونه ابنا لعائلة ميسورة أو لعائلة فقيرة. فمرحلة الشباب هذه قد تكون قصيرة، عند الفتيات من الشباب، وتكون أطول منها لدى الذكور. وهي قصيرة عند أبناء الطبقات الفقيرة وفي البوادي، وأطول منها لدى أبناء الطبقات الميسورة وفي المدن.⁽²⁾

¹⁾ Olivier Galland : **Sociologie de la jeunesse** ; ed. A. Colin Paris 1997 (P 140)

Arles . ed. Actes-sud ، Voir aussi A. Cavalli : **L'allongement de la jeunesse** -

1993

²⁾ علي شعباني ، مرجع سابق ص 143

يرتبط الشباب بثقافة خاصة بهم تعكس مجموعة القيم والاتجاهات والعلاقات والأساليب السلوكية وغيرها من الأنماط الثقافية التي تعبر عن فلسفتهم في الحياة وعن العالم الخاص بهم .

والواقع أنّ هذا المنظور لثقافة الشباب ينطوي على مفهوم الثقافة الفرعية : وهو المفهوم الذي اعتمدته الدراسات العلمية والسياسات الحكومة وغير الحكومية عند مناقشة قضايا الشباب واتجاهاتهم أو مشكلاتهم . ولقد تهب " فورد" إلى القول بان الثقافة هي السلوك المتعلم لحل المشكلات ، واعتمد " كوهن" على فكرة " حل المشكلات " لتحديد طبيعة الثقافة الفرعية وأبعادها .

إن التطور التكنولوجي المعاصر وما صاحبه من أزمات إجتماعية ثقافية حادة أثر في تشكيل ثقافة الشباب، وأصبحت الأفعال التي تمارسها هذه الفئة الاجتماعية تنطوي على أسلوب حياة معقدة ، مثقل بالقيم المستحدثة ، وهذا ما يفسر وجود علاقة بين الثقافة الفرعية للشباب والمشكلات التي أفرزتها العولمة : الإرهاب ، المخدرات ، التهريب ، الشغب والعنف .. إلخ (1).

واليوم لا يمكن أن ننكر أن أغلبية الشباب الجزائري يعيشون ثقافة غير ثقافتهم الأصلية، ثقافة أملتها المؤسسات المالية والإعلامية العالمية المهيمنة ، وسخرت كل جهودها لتفكيك الثقافة التقليدية التي يرى فيها الإنسان الجزائري إحساسا بالطمأنينة وثقة بالمستقبل ، ومن تمّ التأثير في توجيه عقول الشباب تحت ستار الفنون والعلوم والتنوع الثقافي (2) ... الخ

¹ محمد رمضان، الشباب الجزائري و ثقافة الهجرة الغير شرعية،و قائع الندوة الدولية التي انتظمت ببنت الحكمة يومي 11 و 12 أكتوبر 2010 ص 230

² (رشيدة برادة : "المدرسة المغربية كما يراها المراهقون الشباب" الطبعة الأولى 2009 - ص 34.

إن تركيز الشباب الجزائري على ثقافة العولمة أدى إلى تشويش عقولهم ، فشعروا بالاغتراب وانفصلوا عن ثقافتهم الأصلية ، وأصبحت اهتماماتهم تنصب حول ممارسة أي فعل وفي اعتقادهم أن يسكن رغباتهم ويحقق آمالهم وطموحاتهم ... وتبقى الهجرة غير الشرعية شاهدة على ممارسة شباب جزائريين للظاهرة ، وهي ثقافة فرعية جانحة مشتقة من الواقع الذي فرضته العولمة على المجتمع الجزائري بعد المعركة التي خاضها ضد الإرهاب خلال العقد الأخير من القرن الماضي وخرج منتصرا معافيا⁽¹⁾.

سادسا: البحوث و الدراسات السابقة:

إن الدارس لظاهرة تأثير الممارسات الثقافية على الوسط الحضري ، يجد نفسه أمام العديد من الدراسات في مجال علم الاجتماع الحضري أو الأنثروبولوجيا الحضرية ، و عليه فإن الاستفادة من هذه الدراسات ، و خصوصا فيما يتعلق بالمتغيرات التي تناولتها و المناهج التي اتبعتها لبحث تلك المتغيرات ، و كذا النتائج التي توصلت إليها، تعد من الأمور الهامة التي يجب مراعاتها في الدراسة الأنثروبولوجية للمجتمع. لتحقيق ذلك سوف نقوم بتقديم صورة تحليلية لمجموعة من الدراسات التي تتصل بدرجة أو بأخرى بموضوع دراستنا الحالية، و قد روعي في اختيارنا لهذه الدراسات بعض الاعتبارات و منها:

- اختيار بعض الدراسات التي لها علاقة بموضوع الممارسات الثقافية في المجتمع و لو من جانب عنصر واحد فقط.
- اختيار بعض الدراسات التي قام بها علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا في العالم الغربي عموما و في الولايات المتحدة على وجه الخصوص قصد

⁽¹⁾ رمضان محمد ، "المرجع نفسه" ص

معرفة مدى مطابقة النتائج الاجتماعية للممارسات الثقافية و التي تشكل محور دراستنا الحالية . في العالم الغربي لتمثيلها بمجتمع الدراسة إلى حد ما.

- اختيار بعض الدراسات التي حاولت البحث في طبيعة العلاقات في المجتمع في بعض البلدان العربية (تونس و المغرب) لكونها أكثر قربا ، و ارتباطا بظروفها و طبيعة المجتمعات التي أجريت عليها من ظروف مجتمع الدراسة الحالية.

- قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت موضوع دراسة المدن و الممارسات الثقافية في الوسط الحضري (خصوصا على شريحة الشباب) في الجزائر على النحو التي سوف نتناوله هذه الدراسة. و حتى تلك الأعمال التي يمكن أنها قد تناولت هذا الموضوع. و لو بطريقة مقارنة - لم نتمكن من الاطلاع عليها ، لأن أغلب قد نوقش خارج الوطن و على الأخص في فرنسا أو سوريا، و مع ذلك فإنه يمكن الإشارة إلى بعض الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع على نحو من الأنحاء.

- و يمكن إجمال الدراسات السابقة التي استعنا بها فيما يلي:

بالإضافة للمراجع الاجنبية التي تطرقنا لها في هذا البحث خاصة في الجانب النظري منه ، إلا أنه قد ركزنا خصوصا على دراسات مغاربية ساعدتنا في جانبنا الميداني على اعتبار أن هذه المجتمعات قريبة من مجتمعنا الجزائري في عدة اعتبارات .

و كانت عبارة عن:

دراسات تونسية: من الدراسات التي اعتمد عليها بحثنا الحالي هو ما توصل

إليه المرصد الوطني للشباب التونسي حول الممارسات الثقافية

والتعبيرات المستحدثة لدى الشباب حيث توصلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات العامة و المفيدة التي تقيد بحثنا ، و من خلال هذه الأفكار إستطعنا أن نعد استمارة البحث التي اعتمدنا عليها في الدراسة الميدانية.

هدف المرصد إلى استجلاء حقيقة هذه الممارسات في إطار التحولات السريعة التي يمر بها المجتمع التونسي و ما يشهده من حركية و انفتاح ينبآن بتغير مختلف التعبيرات السوسيو ثقافية.

قد تمّ التركيز على موضوع الممارسات الثقافية لدى الشباب الحضري مع توجه مقصود نحو الممارسات المستحدثة بغية التعرف على خصوصية الممارسة الثقافية عند الشباب و مرجعياتها. وتنقسم الاستمارة إلى عدة محاور أساسية تتعلق بالممارسات والتعبيرات الثقافية وهي:

-الممارسات الموسيقية

-الممارسات السمعية البصرية والاتصالية

-المطالعة

-ممارسات الترويح

-الانخراط في النسيج الجمعياتي

-الممارسات الثقافية المستحدثة

ولقد توصلت هذه الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات العامة المفيدة ، و لقد خلصت في كون الشباب التونسي، متفاعل مع عصره و حركية مجتمعه النامي.

دراسات مغربية: و من الدراسات المغربية فقد اعتمدنا عليه في هذا البحث هو ما جاء به الدكتور علي شعباني في عمل له حول "الشباب و ثقافة الشباب

بين الثبات و التغيير " حيث اعتبر الشباب ،دوليا ، محليا، ودائما الدعامة الرئيسية لاعادة إنتاج النخب الاقتصادية و السياسية والفكرية والثقافية والعلمية كما يشكل الركيزة الفعالة لاستثمار التراكمات بين الأجيال إستثمارا أمثل...و من خلال دراسته لواقع الشباب المغربي الذي يعتبره غير مستقر على الرغم من المكانة الهامة الذي يحتلها في المجتمع توصل الى عدة استنتاجات ، وقد ارتبطت هذه الأخيرة بالتعبير اللغوي و السلوك الثقافي للشباب في سياق الثقافة العامة السائدة في المجتمع... و يصرح الدكتور شعباني أنهم ، و يقصد الشباب المغربي على وجه الخصوص و المغاربي على العموم، بصدد نحت " هوية ثقافية خاصة" لا علاقة لها بالقيم التي تحتويها ثقافة المجتمع.

أما الدراسات الجزائرية فكانت دراسة مصطفى بوتفوشت حول " العائلة الجزائرية ، التطور و الخصائص الحديثة" دراسة باللغة الفرنسية قام دمري أحمد بترجمتها إلى اللغة العربية في سنة 1984، و هو موضوع دكتورا درجة ثالثة في علم اجتماع التنمية في جامعة بوردو تقدم به مصطفى بوتفوشت تحت عنوان " تطور البنيات العائلية-الإقتصادية من الجزائر التقليدية إلى الجزائر المعاصرة."

لقد اهتمت هذه الدراسة بالجانب البنائي للعائلة الجزائرية مركزا فيها الباحث على شكل العلاقات في إطار العائلة في الجزائر ، من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية " : ما نوع التطور في الجزائر الذي خاض ثورة اشتراكية ،ماهي العائلة الجزائرية في بلد تحدث فيه تحولات بسرعة في مراحل للسير نحو التقدم؟"

فكل أثر ديناميكي يظهر في المجتمع الكبير على المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي و الثقافي و غيره يؤدي إلى رد فعل معمم تقريبا في داخل المجتمع المصغر الذي هو العائلة و رد الفعل المعاكس يمكن أن يتحقق، فكل تحول

هام داخل العائلة لا يمكن إلا أن يؤثر في بنية مجمل المجتمع ، فالعلاقات بين المجتمع في مجمله ،أي الجسم كله و بين العائلة أي الجسم الجزئي و التي هي مجتمع مصغر جد مرتبطة و جد معقدة حتى يصبح من المستحيل الرجوع إلى المجتمع و الحديث عنه دون فهم العائلة.

من خلال تحليل ما جاءت به هذه الدراسة في جانبه المتعلق بإشكالية دراستنا نجد أن بوتفوشت توصل لجملة من النتائج أهمها:
كل عائلة مركبة تقابلها عائلة بسيطة ، و تطور العائلة المركبة نحو العائلة البسيطة يتم ببطء شديد، رغم السرعة في تحول بعض البنيات الاجتماعية- الاقتصادية والاجتماعية-التربوية.

يتحكم العامل الاقتصادي بشكل واسع في الوضعية العائلية و بنيتها و بمجرد ما يتجسد الاستقلال الاقتصادي في بيت جديد يحدث تغير جذري في الوضعية العائلية، فيكون تحررها أكيدا.

تطور البنية الاجتماعية الجزائرية له علاقة بنظام القيم ،فالبنية الاجتماعية عرفت و لازالت تعرف أو تكتسب بعض الخصائص الجديدة و ذلك عن طريق الاستعمار الثقافي بالاتصال مع الغرب من جهة و مع القيم و التقنيات العالمية من جهة أخرى.

و تعتبر دراسة بوتفوشت من أهم الدراسات إن لم نقل الوحيدة التي تناولت البنية الأسرية للمجتمع الجزائري و التحولات البنيوية التي عرفت العائلة الجزائرية مركزا في ذلك على أسبابها و نتائجها ، و قد يبدو للوهلة الأولى أن هذه الدراسة لا علاقة لها بموضوع أو إشكالية البحث ، ولكن الأساس في البناء الاجتماعي هي الأسرة أو العائلة و بالتالي فما يحدث من تغيير و تحول في البنية الأساسية أو

الجزئية فبالضرورة سوف يؤدي إلى تغيير البنية العامة و هي المجتمع و من هذا المنظور فقد رأينا في دراسة بوتفوشت ضرورة في بحثنا هذا¹.

خلاصة:

1 - مصطفى بوتفوشت، "العائلة الجزائرية، التطور و الخصائص الحديثة" ترجمة دمري أحمد - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - الطبعة الأولى - 1984 - بالتصرف.

في هذا الفصل حاولنا التعريف بميدان الدراسة و ذلك من خلال طرح إشكالية الموضوع و البحث في حقيقة الممارسات الثقافية في الوسط الحضري و ما تأثير ذلك على الموروث الثقافي للشباب مع إبراز أهمية الدراسة في هذا الموضوع.

إن التغيرات التي عرفها الإنسان خلال مساره التاريخي، و انتقاله من الحياة البسيطة إلى حياة كلها تعقيد كان له الفضل في تبلور و تطور وضعه و معاشه وحتى تفكيره، بما اكتسبه من المهارة ، وذلك لا يكون إلا باتصاله و تفاعله مع أفراد آخرين و مع الحركة في شكل تنظيم علاقات و روابط.

أما تحديدنا للمفاهيم و المصطلحات العلمية فقد يساعد الباحث في توضيح الغموض و يعمل على تسهيل فهم الإطار النظري و الكشف عن المتغيرات التي نحن بصدد دراستها.

الفصل الأول

موضوع الدراسة و إطارها

المفاهيمي

أولا: إشكالية الدراسة

تدخل هذه الدراسة في إطار البحوث الأنثروبولوجية التي تهتم بالبحث في طبيعة التجمعات البشرية وعلاقتها بالنظام العام وتنظيم الأفراد فيما بينهم. ولما كان موضوع دراستنا الحالية هي أنثروبولوجيا ميدانية لمظاهر الثقافة الحضرية في المجتمع الجزائري ، فهو يهدف إلى محاولة الكشف عن المظاهر الثقافية والتحولات الاجتماعية التي مست مجتمع الشباب.

إن الغرض الرئيسي الذي ينطلق منه البحث يرى في المظاهر الحضرية إضافة إلى الأحداث التاريخية عوامل قد أدت إلى إحداث تحول في بنية فئة الشباب، قد رافقه تغير في الممارسات الثقافية الأصلية. وبما أن التغير الاجتماعي ينصب على كل تغيير يلحق بالبناء الاجتماعي ونظمه وأنماط علاقاته الاجتماعية أو القيم والمعايير التي تؤثر في سلوك الأفراد والتي تحدد مكانهم⁽¹⁾. والممارسات الثقافية في مختلف التجمعات البشرية التي ينتمون إليها . فإن التساؤلات، بناء على هذا المفهوم، قد جاءت لتحديد ما يلي:

* فإلى أي مدى يمكننا تحديد مسألة الممارسة الثقافية لدى الشباب في الوسط الحضري في إطار التحولات العلمية والمعرفية الخارقة والتي تؤثر على مستوى العلاقات والثقافات بين الشباب ؟ وإلى أي مدى أثرت تكنولوجيات الاتصال الحديثة في تطوير الممارسات الثقافية لدى فئة الشباب وارتباطهم بنظام القيم؟

* هل ان شيوع الثقافة الرقمية المرتبطة بتكنولوجيات الاتصال لها أثر على سلوكيات الشباب في ظل الممارسات الثقافية اليومية ؟

¹ (لوريس الراعي : التغير الاجتماعي والاقتصادي في مجتمع بدو . طرابلس ،لبنان ، دار جروس برس، 1978 ، ص 14.

* ما هي أنواع الممارسات الثقافية التي سادت بين فئة الشباب في المجتمع الجزائري؟

* كيف تأثرت الممارسات الثقافية بالحياة الحضرية؟

ثانيا: أهمية الدراسة

تستوحي أهمية الدراسة الحالية من الأهمية العلمية للعناصر التالية :

3. المجتمع المحلي والدراسات الأنثروبولوجية:

يميل العلماء لاعتبار "المجتمع" نظاما شبه مغلق semi-closed تشكله مجموعة من الناس، بحيث أن معظم التفاعلات والتأثيرات تأتي من أفراد من نفس المجموعة البشرية. وتذهب بعض العلوم أشواطاً أبعد في التجريد حين تعتبر المجتمع مجموعة علاقات بين كيانات اجتماعية. تبرز في الإنكليزية كلمة أخرى قريبة في المفهوم هي الجماعة المشتركة community التي يعتبرها البعض التجمع أو الجماعة بدون العلاقات المتداخلة بين أفراد الجماعة، فهو مصطلح يهتم بأن جماعة ما تشترك في الموطن والمأكل دون اهتمام بالعلاقات التي تربط بين أفراد الجماعة. بعض علماء الاجتماع مثل تونيز Ferdinand Tönnies يرى هنالك اختلافا عميقا بين الجماعة المشتركة والمجتمع ويعتبر أهم ما يميز المجتمع هو وجود بنية اجتماعية التي تتضمن عدة نواحي أهمها الحكم والسيطرة والتراتب الاجتماعي Social rank.

المجتمع المحلي في المفهوم السوسولوجي والأنثروبولوجي:

ارتبط مفهوم المجتمع المحلي شأنه في ذلك شأن معظم المفاهيم التي اشتقت منه لغة الحياة اليومية بمعاني كثيرة ومتعددة.

فعره روبرت ماكيفر : على أنه وحدة اجتماعية تجمع بين أعضائها مجموعة من المصالح المشتركة، وتسود بينهم قيم عامة وشعور بالانتماء، بالدرجة التي تمكنهم من المشاركة في الظروف الأساسية لحياة مشتركة¹.

أما روبرت بارك فيقول في أوسع معاني المفهوم يشير إلى دلالات وارتباطات مكانية جغرافية، وأن المدن الصغرى والكبرى والقرى بل والعالم بأسره تعتبر كلها رغم ما بينها من الاختلافات في الثقافة والتنظيم والمصالح.. الخ، مجتمعات محلية في المقام الأول.

فيثري لويس ويرث بقوله أن المجتمع المحلي يتميز بما له من أساس مكاني إقليمي يتوزع من خلاله الأفراد والجماعات والأنشطة، وبما يسوده من معيشة مشتركة تقوم على أساس الاعتماد المتبادل بين الأفراد، وبخاصة في مجال تبادل المصلحة.

أما أموس هاوليفيري أن التحديد المكاني للمجتمع باعتباره منطقة جغرافية أو مساحة مكانية يشغلها مجموعات من الأفراد محاولة تعسفية للتعريف، وإنه من الملائم أن ننظر إلى المشاركة في الإيقاع اليومي والمنتظم للحياة الجمعية على أنها عامل أساسي يميز المجتمع المحلي ويعطي لسكانه طابع الوحدة، إن المجتمع المحلي أكثر من مجرد تنظيم لعلاقات التكافل بين الأفراد، وأن الحياة الجمعية تشتمل على قدر من التكامل السيكولوجي والأخلاقي إلى جانب التكامل التكافلي أو المعيشي، وأنه يتعين على الباحث أن ينظر إلى الجوانب السيكولوجية والأخلاقية على أنها مظاهر متكاملة، وليست مختلفة أو متميزة لحياة المجتمع المحلي، خاصة وأن الأنشطة المعيشية وما يرتبط بها من علاقات تكافلية تتداخل

¹- محمد الجوهري ، "الفلكلور و الدراسات علم الاجتماع الريفي" ، في دراسات علم الاجتماع الريفي و الحضري ، القاهرة ، دار الكتب الجامعية ، ص: 268 .

وترتبط بمجموعة المشاعر والأحاسيس وأنساق القيم والمعايير الأخلاقية وغير ذلك من موجّهات السلوك والتفاعل اليومي¹.

تالكوت بارسونز يعرف المجتمع المحلي بأنه جمع أو حشد من أفراد يشتركون في شغل منطقة جغرافية أو مساحة مكانية واحدة كأساس لقيامهم بأنشطتهم اليومية. في نفس التصور للمفهوم يرى بلين ميرسر: المجتمع المحلي على أنه تجمع لأشخاص تنشأ بينهم صلات وظيفية، ويعيشون في منطقة جغرافية محلية خلال فترة محددة من الزمن، كما يشتركون في ثقافة عامة، وينتظمون في بناء اجتماعي محدد ويكشفون باستمرار عن وعي بتميزهم وكيانهم المستقل كجماعة.

قدم موريس شتاين عدداً من الانتقادات التي وجهها للتطور التقليدي للمفهوم "إن انتشار الحضرية أفقد الأفراد إحساسهم وشعورهم بالمجتمع المحلي كما أن مقومات التنظيم الاجتماعي التقليدي في كثير من المجتمعات المحلية الأمريكية قد تقوضت نتيجة لتعرضها للمؤثرات الخارجية التي أفقدت الأفراد شعورهم بالانتماء إلى مجتمعاتهم المحلية، والتي مكنت من إحلال الانقسامية والجزئية محل الشمولية فطورت مجتمعات محلية فرعية -معادية لبعضها البعض- بدلاً من الشعور التقليدي بالانتماء والتعاون المحلي، وباختصار فإن القومية والعالمية قد غدت سمة العصر التي تؤكد وباستمرار خاصية الاعتماد المتبادل بدلاً من خاصية الاستقلالية والاكتفاء الذاتي، التي كانت من أهم مقومات التصور التقليدي لمفهوم المجتمع المحلي إن تقدم وسائل النقل والاتصال وما ترتب عليه من اعتماد متبادل بين المجتمعات المحلية ارتبط بالعديد من المصاحبات النفسية التي أدت إلى ضياع أو فقدان المجتمع المحلي السيكولوجي.

¹ - أحمد أبو زيد ، "عن الأنثروبولوجيا و الفلكلور" ، من مقدمة كتاب دراسات في الفلكلور ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة 1972 ص 17.

ويشارك شتاين في تصويره السابق كل من ملفين فيبير ورونالد وارن فقد انتقد فيبير تصور أن المجتمع المحلي وحدة اجتماعية ذات ارتباط وتحديد مكاني، إن إنسان العصر الحديث، وبخاصة سكان الحضر يعيش في مجتمعات محلية عديدة كما أن هذه المجتمعات التي يرتبط بها وينتمي إليها لم تعد مجرد مكان محدد يلتزم به كأسلافهم بل أصبح أكثر ارتباطاً بمجتمعات المصلحة المتنوعة مهما اختلف أساس هذه المصلحة، ولم يعد الأفراد بحاجة إلى التركيز المكاني، ومن ثم لم تعد الحدود المكانية مؤشراً هاماً للعلاقات الوظيفية أو أساساً للنظام في المجتمع.

و بذلك يعتبر المجتمع المحلي "تجمع إنساني تقوم بين أعضائه روابط الاعتماد الوظيفي المتبادل ويشغل منطقة جغرافية محددة ويستمر خلال الزمن عن طريق ثقافية مشتركة تمكن الأفراد من تطوير أنساق محددة للاتصال والإجماع فيما بينهم كما تيسر لهم سبل التفاعل وتنظيم أوجه نشاطاتهم اليومية."

كثيراً ما يشار إلى بعض المؤسسات على أنها مجتمعات محلية مثل "السجون والمستشفيات العقلية والأديرة والملاجئ والثكنات العسكرية" ومن اللازم أن نطلق على هذه الكيانات اسم "المؤسسات الشمولية العامة" ففي مثل هذه التسمية ما يشير إلى أنه بإمكان الفرد أن يقضي حياته بأكملها بين جدرانها.

يشار في بعض الأحيان إلى بعض الوحدات الاجتماعية ذات الأساس المكاني الأكثر اتساعاً كالأقاليم والولايات والدول بل والعالم بأسره على أنها مجتمعات محلية وكثيراً ما نقرأ أو نسمع عن "مجتمع الأطلنطي، أو عن المجتمع

العالمي” وبعكس استخدام المصطلح بهذا المعنى نفس الفكرة المألوفة عن “مجتمع المصلحة”، أو “المشاركة في وجهات النظر والاهتمامات.”

من أهم ما يميز المجتمع المحلي عن أشكال التنظيمات الاجتماعية الأخرى ما يسوده من أنساق خاصة للقيم والمعايير إذ عادة ما يعاد صياغة الكثير من القيم المطلقة في الثقافة الكبرى في ضوء الرموز والأحداث ذات الدلالة والمغزى في السياق المجتمعي المحلي.

إن المجتمعات التاريخية القديمة هي تلك المجتمعات التي خضعت للتطور الحضاري، وانتقلت في هذا السلم من حياة الترحال وعدم الاستقرار إلى حياة الاستقرار والتنظيم الاجتماعي، واستفادة من الخبرات الاجتماعية وتقدم النواحي التكنولوجية الفتية وخلفت آثارا حضارية مادية وكانت لها فلسفة اجتماعية وكونية وعرفت تقسيم العمل والتخصص الاجتماعي، وظهر الوعي بالفكر السياسي ونشأة الوحدة الاجتماعية الكبيرة للمجتمع المحلي في صورة قرية أو مدينة ويمتاز البناء الاجتماعي في هذه المرحلة بوضوح نظام التدرج الطبقي واستناد النظام السياسي والاقتصادي على أساس ديني ويعتبر هذا البناء الاجتماعي في مستواه العام، مرآة للمثل الاجتماعية التي يرتضيها المجتمع كأهداف غائية في العلاقات الإنسانية.

وحسب تحليل كونت للمجتمع فيرى أن الفرد لا يعتبر عنصرا اجتماعيا ولا قيمة لقوته الطبيعية لأن القوة الاجتماعية مستمدة من تضامن الأفراد ومشاركتهم في العمل وتوزيع الوظائف بينهم ، كما أنه لا قيمة أيضا لقوة الفرد العقلية إلا باتحادها مع غير من القوى . ولا قيمة أيضا لقوة الفرد الأخلاقية وليدة الضمير الجمعي والتضامن الأخلاقي في المجتمع . وفي المحصلة فإن الفردية لا يتحقق

فيها أي شيء من المظاهر الجمعية دون امتزاج العقول وتفاعل وجدانيات الأفراد واختلاف وظائف وتنوع الأعمال ذات الأهداف الواحدة والغايات المشتركة.

أما الأسرة فتعتبر أول خلية في جسم التركيب الجمعي وهي أبسط وسط يتحقق فيه مظاهر الحياة الاجتماعية من امتزاج للعقول وتفاعل للوجدانيات واختلاف في الوظائف وتنوع في الأعمال وهي أيضا اتحاد له طبيعة أخلاقية لأن المبدأ الأساسي في تكوينها يرجع في نظر كونت إلى وظيفتها الجنسية والعاطفية ، إذ ثمة ميل متبادل بين الزوجين من جهة وعطف متبادل بينهم والأبناء من جهة أخرى . فالمشاركات الوجدانية موجودة بين أفراد هذا المجتمع الصغير وثمة واجبات على كل فرد في الأسرة ثمة وتربية ونزعة دينية يغرسها الوالدان في أولادهم. وحسب تحليله فالمجتمع هو وحدة حية ومركب ومعقد أهم مظاهره التعاون والتضامن لذا فهو من طبيعة عقلية ووظيفية أخلاقية تابعة لها ولاحقة ومترتبة عليها. أما مبدأ التعاون والتضامن فهو الذي يحكم المجتمع ويسيطر عليه . هذا المبدأ يسمى " تقسيم العمل وتوزيع الوظائف الاجتماعية " لدى المفكرين المحدثين .

أحدث ثورة المعلومات تغييرا كبيرا في حياة الإنسان، حيث أصبحت هذه المعلومات مورداً إستراتيجياً حيوياً لا يقل أهمية عن الموارد الأخرى حتى بات قطاع المعلومات يشكل مصدراً رئيساً للدخل القومي والعمل والتحول البنائي، أو فيما يلي ملامح التغيير التي أحدثتها ثورة المعلومات التي أفرزت خصائص اتسم بها المجتمع المعلوماتي. انفجار المعلومات . نمو المجتمعات والمنظمات المعتمدة على المعلومات . بزوغ تكنولوجيا المعلومات والنظم المتطورة له.. إلخ.

شهد العالم عبر تاريخه الطويل تطورات متلاحقة وتحولات كبيرة في طرق وأساليب الحياة والمعيشة وقد استجبت لديه احتياجات عديدة بعد أن كان يعتمد على الزراعة لمدة من الزمن حتى حدثت الثورة الصناعية لتلبي له احتياجاته المستجدة وتغير بشكل جوهري أنماط حياته، ثم ما لبثت المجتمعات وخاصة المتطورة اقتصادياً أن تطوى صفحة العصر الصناعي لتفتح صفحة جديدة لعصر المعلومات الذي تعيشه اليوم وقد أحدثت هذه الثورة نقلة هائلة في حياة الإنسان وغيرت الكثير من مفاهيمه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ومازالت هذه الثورة منتشرة وقوية بعد أن أخذ المجتمع الصناعي يتخلى عن مكانه لمجتمع جديد يعمل غالبية أفرادها في المعلومات وليس في إنتاج السلع والضائع.

حدود المجتمع المحلي في الدراسات الأنثروبولوجية:

إذا اتفقنا أن الأنثروبولوجيا تتخذ من الثقافة موضوعاً لها، فمن الطبيعي أن يحاول الأنثروبولوجيون التماس مادة بحثهم على مستوى المجتمعات المحلية بالدرجة الأولى قد يعمقون فهمهم لأبعاد المادة التي يرونها في الحياة اليومية للمجتمع المحلي بالرجوع إلى السجلات التاريخية، أو الدراسات السابقة أو بحوث أخرى. وقد يحرصون على ربط الظواهر والجزئيات التي يرونها في تلك البقعة المحدودة زماناً ومكاناً، بما يدور على مستوى المجتمع الكبير الذي ينتمي إليه ذلك المجتمع المحلي.

لا يختلف في ذلك متخصص في الأنثروبولوجيا الريفية أو الأنثروبولوجيا الحضرية، فالجميع لا بد أن ينطلق من مجتمع محلي، قد يكون حياً في المدينة أو جيرة داخل حي في المدينة أو حارة⁽¹⁾.

¹ محمد الجوهري، بعض قضايا المنهج الأنثروبولوجي، القاهرة 2007. ص 168.

المجتمع المحلي في الاستخدام السوسولوجي والانثروبولوجي الشاسع يشير إلى جماعة من الأفراد الذين تجمع بينهم روابط عديدة متنوعة ويشتركون في قدر من المصالح والاهتمامات .و هو يشير كذلك إلى ارتباط تلك الجماعات بحيز مكاني محدد ومحدود كالبلدة الصغيرة ،أو جزء من المدينة(الحي).

و المجتمع المحلي بالتعريف الذي اتفق عليه الجوهري يكون وحدة فرعية متناهية الصغر (حارة في جيرة من حي شعبي داخل مدينة صغيرة)، وقد يكون أكبر من ذلك (جيرة في حي أو مدينة أو جيرة في قرية)، أو أكبر من ذلك (كأن يكون حيا في مدينة أو قرية متوسط الحجم...⁽¹⁾).

إن الدراسة الأنثروبولوجية لا بد أن تتخذ لها "وعاء" تنطلق منه، وتتوقف عنده ، وتتحرك في داخله دون أن يعوقها هذا "الإطار" عن الربط بين ما يدور فيه وبين ما يحدث بخارجه.

من الموضوعات الأساسية لدارس أي مجتمع محلي أن يتعرف على حدود هذا المجتمع في وعي أبنائه، ويتحدد الإطار والبحث في أصل النشأة والأصل التاريخي الاجتماعي لذلك المجتمع المحلي والتعرف على شكل النسيج الذي صنع منه هذا الأخير ، وذلك بالتعرف على شبكة العلاقات القرابية، حيث نجد أفرادهم جميعا أو غالبيتهم على الأقل ، يرتبطون بعلاقات قرابية واضحة ومحددة ، ولكننا قد نجد غير ذلك.

و إذا كانت شبكة العلاقات القرابية هي المهد الذي ينمو فيه التفاعل الاجتماعي ،فإن النشاط الاقتصادي هو قوة الواقع. ولذلك يأتي الاهتمام بطبيعة النشاط الاقتصادي داخل المجتمع وبصفة خاصة البناء المهني، والتبادل وأنماط الاستهلاك الأساس المادي لحياة هذا النسيج الاجتماعي والتعاون بين الأفراد.

¹ (المرجع السابق ، ص 170 .

و يعتبر ميكانيزم التعاون داخل المجتمع المحلي، عامل اجتماعي هام من عوامل استمرار الجيرة وبقاؤها والتعاون عملية اجتماعية ثقافية تنفذ إلى كل مجالات النشاط الإنساني ، ولذلك تنتوع أشكالها وطبيعتها بتنوع الحياة الإنسانية.

4.اهتمامات الأولى لدراسة الأنثروبولوجية الحضرية:

في اعتقاد العديد من الباحثين أن الانثروبولوجيا تقوم بدراسة المجتمعات البدائية فقط،وارتبطت هذه الفكرة مع طبيعة وظروف نشأة الفكر الانثروبولوجي الأولي ،حيث انصب اهتمام ودراسات الأنثروبولوجيون الأوائل على المجتمعات البدائية بقصد التعرف على النظم الاجتماعية الأولى وصورتها البسيطة متأثرين بأفكار النظرية التطورية التي سادت القرن التاسع عشر.

بما ارتبطت الدراسات الانثروبولوجيا بأهداف الحركة الاستعمارية حتى يسهل فرض السيطرة السياسية والاستعمارية على هذه المجتمعات لتحقيق الأغراض السياسية والاستعمارية على هذه المجتمعات لتحقيق الأغراض السياسية ففي هذا المجال يقول فليب لوكاس أنه عندما يكون الانثروبولوجيون مبهورين بمناخ منطقة ما ، يقومون بالوصف الجغرافي الطبيعي والبشري للمجتمع المستعمر (1) وبذلك يسهل على الهيمنة على هذه الشعوب واستعمارها.وفي ضوء ذلك يقول محمد الجوهري ومجموعة من العلماء : « أن الفكرة الشائعة أن علم الانثروبولوجيا يهتم فقط بالمجتمعات البدائية إنما هي فكرة خاطئة بحيث أصبح الآن لهذا العلم مجالات تخصصية عديدة ،وظهرت للانثروبولوجيا إسهامات عديدة في مجالات الحياة الاجتماعية ، واعني بإحدى هذه المجالات

L'Algérie des Anthropologues ، jean claude VATIN ،¹)phillipe LUCAS

. P 12،François maspéro 1975

الحديثة:الانثروبولوجيا الحضرية ، حيث أبدى الانثروبولوجيون من أمر بعيد إهتمامات بدراسة أصول « الحضرية urbanisme » ويرتكز هذا الاهتمام بالحصول أساسا على البيانات الأركيولوجية أو يمثل جزءًا من صياغة نظرية عامة عن التغيير الثقافي، ذات وجهة تطويرية واضحة « (1) .

ظلت الانثروبولوجيا عقوداً طويلة تهتم بدراسة المجتمعات البدائية والقبلية ، غير أن الانجذاب نحو البحوث الحضرية لم يغيب تماما عن المسرح الانثروبولوجي لكن حضوره كان محدوداً نسبياً مقارنة بالاهتمامات الأوسع بالنظم الدينية والسحرية والدراسات الأسطورية والأنساق القرابية والنظم الاقتصادية والبيئية والسياسية إلى جانب التركيز المكثف على الثقافة وعناصرها الرمزية ومختلف صورها في التكامل والضبط وأدوارها في تنظيم حياة الجماعات وحفظ تراثها وتدعيم استمراريتها.

ظهرت الانثروبولوجيا الحضرية بصورة واضحة كفرع متخصص في منتصف الستينات (2) وقد أجريت كثير من الدراسات الانثروبولوجيا في المجتمعات المختلفة ،فقد أشار راد كليف براون Raddclif Brown في مقالة له يتحدث فيها عن معنى ومجال الانثروبولوجيا الاجتماعية وذلك في عام 1944:«أن ميدان الانثروبولوجيا هو كل المجتمعات البشرية دون شك » وفي سنة 1939 أشار لويد وارند Loyd Warner : « أن كل المجتمعات البشرية بدائية أو

¹ (د.محمد الجوهري وآخرون: دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري،دار الكتاب بيروت ط 1. 1971. ص.120.

² (د.محمد حسن غامري-الانثروبولوجيا الحضرية مع دراسة عن التحضر في مدينة العين أبو ظبي - ط 1. دار المعارف الجامعية، الاسكندرية 1984.

محتضرة بسيطة أو معقدة تعتبر موضوع دراسة أنثروبولوجية «⁽¹⁾ ومن ذلك اتجه الانثروبولوجيون إلى دراسة المجتمعات المحلية القروية على أساس أنها مجتمعات صغيرة ومنعزلة دون النظر إلى القوى الخارجية التي تؤثر عليها المجتمعات المحلية.

من الواضح أن المجتمعات المحلية الريفية والقبلية التي استنفذت معظم جهود الانثروبولوجيين لم تتيح فرصًا للبحث الحضري بحكم أسلوب معيشتها الذي كان لا يخرج عن النمط البدوي والقبلي بكل عناصره القروية والاقتصادية والايكولوجية والسياسية والأخلاقية المميزة أن النمط الريفي الذي تمثل في حياة الفلاحين التي كانت مركزة بالدرجة الأولى حول الزراعة وتربية الحيوانات الاقتصادية والجمع بين نمط القرابة الدموية وجوار المكان والاستقرار وتبادل المنافع في العمل التعاوني الأوسع الذي تحتاجه الزراعة.

ومما يظهر تأخر قوة الاهتمام الانثروبولوجي بالدراسات الحضرية هو ضعف فاعلية الجمعيات الانثروبولوجية الحضرية التي تكونت واهتمت بدراسة المدن والتحضر وكان ذلك من خلال إنشاء مجلات ودوريات وندوات في هذا الخصوص.

لكن ما ذكرناه من انكماش وضآلة حصة الانثروبولوجيا الحضرية في مجمل التراث الفكري والعملية الانثروبولوجية لا يتناسب وحقيقة تزايد الشعور لدى طلبة هذا الاختصاص بأهمية هذا الموضوع وضرورة الإسراع في معالجة هذا الإهمال .

¹ (المرجع السابق، ص 04.

ولعل أقدم الدراسات الحضرية التي أجراها باحثون انثروبولوجيون قد تمت في إفريقيا منها مثلاً دراسة « هوراس ماينر Miner Horace » في عام 1940 التي أجراها على مدينة تمبكتو المالية وما كانت تحمله من سمات دينية، ثقافية، اقتصادية.

وإتباعاً لما جاء به هذا العالم أبدى باحثون آخرون اهتماماتهم بالمشكلات الحضرية حيث تناول العديد من الدراسات في مشكلات المدن كالأثار الاجتماعية للهجرة إلى هذه المناطق الحضرية سعياً وراء العمل ومدى تكيف المهاجرين من الريف مع ظروف الحياة في المدينة والتحدث عن بعض عناصر التحضر كالانخراط في الجمعيات...⁽¹⁾.

إن الانثروبولوجيا الحضرية في إطارها العام تتضمن مجموعة من الدراسات، وترتكز على موضوعات الهجرة الريفية الحضرية والتكيف الذاتي للفلاحين والبيئة الحضرية. وتعتبر هذه الدراسات إمتداداً للدراسات الانثروبولوجية التي تجري في القرية ، لأن السكان الريفيين في تحركاتهم نحو المدينة عادة ما يعيشون بين القرية والمدينة، إذ تبين هذه الدراسات أسباب الهجرة وأنماطها وعمليات التكيف الذاتي مع الواقع الحضري.

فالظاهرة الحضرية اليوم لم تعد سمة ملازمة للمجتمعات الصناعية المتقدمة بل هي في حقيقة الأمر من الواقع الثقافي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمجتمعات التي كانت أصلاً تشكل الميدان الرئيس الذي شغل بدراسته الانثروبولوجيون. وبذلك يبدو من المنطقي أن يواصل الانثروبولوجيون مهمتهم في دراسة هذه المجتمعات وواقعهم الحضري بعد تحررهم من قبضة المستعمر

¹ محمد الجوهري وآخرون، المرجع السابق ص: 121

وأصبحت هذه المجتمعات تخوض معركتها في ميدان التصنيع والتحرر الاقتصادي والسياسي لكي ترسخ هويتها الوطنية وتأس تنظيماتها العصرية.

علم الأنثروبولوجيا كبقية العلوم الأخرى تراثه زاخر بالمدارس والمذاهب الفكرية والإيديولوجية والاهتمامات الاثنوغرافية التي شملت كل الأطياف الثقافية والاجتماعية في العالم، وقد اكتسبت هذا التراث طابعاً مميزاً نتيجة لتراكم المعرفة في إطار اهتماماتها بجزء كبير بالمجتمعات القبلية والريفية ، وأما التحول نحو الدراسات الحضرية أصبح أمراً شائعاً ومحفوفاً بالصعوبات.

ولعل من أبرز الإشكاليات التي تواجه الأنثروبولوجيين الراغبين في بحث الظواهر الحضرية تحقيق التوازن بين التقليد الأنثروبولوجي والجماعات القبلية ، وبين المعاصرة والتطور التي تناسب دراسة الحياة الأكثر تعقيداً في المدن. وهناك مواقف مختلفة يتخذها الأنثروبولوجيون من هذا الأمر وهي تتراوح بين المحافظة المتشددة التي تسعى إلى الإبقاء على القديم دون تقدير وتعديل وبين المرونة الحالية التي تتادي بضرورة تغيير وتنقيح أساليب المنهج وأطر التنظيم الأنثروبولوجي لتتلاءم والحاجة لدراسة المجتمعات الحضرية الأكثر تعقيداً وصعوبة.

إن منظور الأنثروبولوجيا الحضرية يبقى منحصرًا في موضوع دراسة حيث يحدده المكان، فالباحث إن مطالب بتحليل المعطيات في إطار المكان والانتماء إلى نفس المجموعة الإثنية أو البشرية إضافة إلى إشتراك هذا الفرد أو هذه الجماعة في الأفكار والمعتقدات سواء كانت دينية أم سياسية ثقافية عملية " (1) .

¹⁾ Massimo REPETTI ، L'anthropologie urbaine et l'anthropologie urbaine en Afrique ، gallimard paris 1970 ، pp 83- 84.

إن اهتمامات باحثين من مدرسة شيكاغو منصبة على دراسة المدينة وما نجم عنها من عمليات هجرة وافدة قصد العمل وكثرة المهمشين الذين هم بدون مأوى وكثرة الانحرافات ومخلفات المخدرات والأحياء القصديرية والأحياء الفقيرة .

ومما يشجع الأنثروبولوجيين على تعميق وتوسيع مساهماتهم في البحث الحضري هو إدراكهم بحقيقة أن النظرة الأنثروبولوجية بالغة الانفتاح ، تتسع لكل البشرية بجميع أصنافها وأشكالها الثقافية والاجتماعية والعرقية والإيديولوجية ومختلف مستويات تطورها وتعقيدها .فقد وجدت الأنثروبولوجيا لتتعامل مع الإنسان في كل زمان ومكان بغض النظر عن ظروف معيشة.

وأما اهتمام الأنثروبولوجيا بالإنسان والمجالات الحضرية فإنها تتوسع مجالات بحثها من خلال تراثها الفكري ونظرياتها إذ تساعدها في إبراز وإظهار السياقات الثقافية التي تعمل فيها تلك الأنساق بشكل جديد ومتفرد من حيث تميزه عن طرق البحث التي وظفها علماء الاجتماع والاقتصاد والسياسة والتخطيط الحضري في دراسة الظواهر الحضرية كلا منهم من زاوية تخصصه. " وقدوم علم الأنثروبولوجيا إلى هذا المجال - الحضري- بعزم وقوة لا تثير تناقضا مع العلوم الأخرى التي سبقته في هذا المضمار بل هو يمثل إضافة عملية مهمة من شأنها دعم جهود تلك العلوم ونعمقها" (1).

حصرت الأنثروبولوجيا جل اهتماماتها حتى أواسط القرن العشرين في دراسة المجتمعات التقليدية (القبلية والريفية)،فوجدت نفسها داخل قوالب نظرية

¹) Richard FOX، 'anthropology' s urban process in horizon of anthropology ، Eds Sol Tax & Leslie Freeman Aldine publishing Co ، Chicago ، 1977 .p 14.

ومنهجية منسجمة مع مفردات واقع الوحدة والاستقرار والتجانس والانسجام لتلك الجماعات.

وعندما حصل التحول وانعطاف المختصين في هذا العلم نحو البحوث الحضرية برزت إشكالية التكيف أمام التعدادات الكثيرة التي تتسم بها المدن.

تعتبر دراسات روبرت وهيلين لوند Robert et hélène Lynd حول إحدى المدن الأمريكية في حقل الدراسات الانثروبولوجية الحضرية حيث تناولتا في دراستهما الثقافة الكلية والبناء الاجتماعي لذلك المجتمع واستخدما المناهج الاثنوغرافية⁽¹⁾.

بصفة عامة أن الأنثروبولوجيين مؤهلين على أحسن وجه بالقيام بدراسات ذات طابع ثقافي مع التركيز على الجانب الميداني وذلك بإجراء المقابلات المتعمقة والملاحظات المشاركة المتعلقة بعمليات التكيف والتغير والثبات وأساليب الحياة والأنساق الاجتماعية والقيم، ويمكن إجراء تلك البحوث جميعها في البيئة الحضرية، في استخدام الإحصائيات وجمع البيانات والعمل بها في الدراسات التي تجري على مجتمع ما.

يبدو أن الانثروبولوجيا الحضرية ما تزال اليوم تتعرض لضغوط الموافقة بين ازدواجية التحول والتكيف، وللتوفيق بين طرفي الوحدة التي ارتكزت أو بالأحرى قامت عليها نظرياتها البنيوية والثقافية كالتضامن الاجتماعي وتقسيم العمل والتكامل الثقافي ، فليس يخفى أن المدينة لا تخلو من عناصر التكامل وان كان يتخذ صيغاً مختلفة عن نوع الوحدة في المجتمعات القبلية كما أدرك ذلك دوركايم عندما أسمى النوع القبلي والريفي بالتضامن الميكانيكي بينما دعا النوع

¹ (محمد الجوهرى وآخرون. المرجع السابق ص 112).

السائد في المجتمع الصناعي الحضري التضامن العضوي ويبدو أن الانثروبولوجيين يشعرون بان مواءمة هذين القطبين ممكنة بشكل خاص في مدن العالم الثالث حيث تتمازج النظم القبلية القرابية والدينية مع النظم الحضرية صيغ توفيقية متعددة" (1) .

توضح لنا الازدواجية بعض جوانب الاختلاف الموجودة بين الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع ، حيث أن المجتمعات القبلية البسيطة لوحت للانثروبولوجيين مناهج وأطر كانت منسجمة، ووحدتها وتجانسها وتكاملها بعكس أساليب البحوث السوسولوجية التي صممت من البدء لاستيعاب مختلف أشكال التعددية والتنوع والتناقض في المجتمعات الحضرية الكبيرة المعقدة (2) .

ويكاد يجمع الانثروبولوجيون على ضرورة الجمع بين دراسة المجتمعات البسيطة التي يغلب عليها الوحدة والتكامل والمجتمعات الحضرية المعقدة التي يسود فيها التعددية والتباين ،ويرى Freud أن غرضها الرئيسي من دراسة المجتمعات الحضرية هو السعي إلى فهم علاقات وسلوك الناس في مختلف الجماعات بغض النظر عن المكان والزمان وهذا يعني موازنة الاهتمام بكل من البسيط والمعقد من المجتمعات (3) .

كانت المجتمعات القبلية والبسيطة ،بحكم حجمها الصغير ومؤسساتها ونظمها الاقتصادية البسيطة بمثابة المختبرات للانثروبولوجيين لكي يثبتوا عن طريقها فرضياتهم ووجهات نظرهم المختلفة في التنظيم والتحليل .وبدراسة تلك المجتمعات والجماعات تمكن الانثروبولوجيون من إعداد أنفسهم لدراسة

(1) النوري قيس: آفاق التغيير الاجتماعي النظرية والتنموية، مطبعة جامعة بغداد 1990 ص68.

(2) المرجع نفسه، ص130

(3) Tangness، the study of culture ، Chaudler & charp publisher ، sans année، p 523.

المجتمعات الحضرية بصورة أفضل. وعلى هذا فالانثروبولوجيون يجدون في خلفيات البحوث البدائية سندًا لتدعيم إمكانياتهم وتحسين فرص نجاحهم في التعامل مع الواقع الحضري الأكثر تعقيدًا.

فإن التغيرات الحاصلة في حياة الريفيين حديثي التحضر في المدن، لا تظهر فجأة بل تتم عبر فترات زمنية طويلة نسبيًا مما يدل على قوة مقاومة الثقافات الريفية وقدرتها على الاحتفاظ ببعض الوقت. ومما يعزز صمود هذه الثقافات الوحدات القرابية التي تتجمع في المدن بدافع حماية الذات وتلقي المعونة من أبناء العمومة المنتمين لذات العشيرة. فضلًا عن تواصل عملية التربية والتنشئة التي تمارسها هذه الجماعات الريفية المهاجرة ودورها في حفظ التراث من خلال غرسه في أبنائها جيلًا بعد آخر، كل هذا لا شك يشجع الانثروبولوجيين على الاحتفاظ ببعض مناهجهم وتوجهاتهم العلمية للإستفادة منها في دراستهم الحضرية، وينظر بعض الانثروبولوجيين إلى الضواحي التي تقطنها جماعات المهاجرين الريفيين في كثير من مدن العالم الثالث كمناطق عازلة Buffer Zone تظهر الكيفية التي يتم فيها التفاعل بين قيم ومعايير الريف ومعايير المدن والتثقاف Acculturation الناتج عن تلك التفاعل، وكثيرًا ما يرجع الباحثون الانثروبولوجيون إلى العامل القرابي كمؤشر لقوة التكتلات الريفية في المدن على صعيد الجوار السكاني وأنشطة التدخل القرابي لحماية الأقارب والتوسط لمساعدتهم في تمشية أمورهم المختلفة⁽¹⁾.

بعد هذا التمهيد لنبدأ بخطوة بسيطة وذلك بالانطلاق بإبراز المسار التاريخي لتطور المجتمع الحضري .

¹ (النوري قيس، الانثروبولوجيا الحضرية. ط1 مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية والنشر والتوزيع. الاردن 2001 ص29.

إن دخول الانثروبولوجيا المدينة لغرض البحث يعد خطوة كبيرة نحو إعادة تعريف كثير من المصطلحات والمفاهيم وتفتح العديد من الأطر النظرية والمنهجية لتتسجم وسياقات الحياة في المدن. ويبدو أن انكماش وتلاشي العالم البدائي والتقليدي وخمور مؤسساته أمام زحف التحضر والتصنيع والتحديث كانت من العوامل التي حفزت الانثروبولوجيين للإقدام على الدراسات الحضرية.

ومن القوي الدافعة في هذا الاتجاه الحضري شعور كثير من الانثروبولوجيين بالأوضاع والمآسي التي تعاني منها المدن وحاجتها الماسة للدور الانثروبولوجي في التخفيف منها وفهم جذورها وخلفياتها الثقافية والاجتماعية إضافة إلى قناعة كثير من الباحثين الانثروبولوجيين إلى جانب علماء الاجتماع والجغرافية والاقتصاد والتخطيط الحضري بأن عليهم مسؤولية التعاون والتنسيق العلمي والتطبيقي المشترك لمواجهة التحديات والمشكلات الحضرية التي يتعذر على علم واحد معالجتها بمفرده. ومما يشجع هذه العلوم على التعاون معاً كثرة مشاكل الفقر والبطالة والانحراف والجرائم والتلوث التي يتطلب علاجها فهم مختلف جوانبها وارتباطاتها التي تحتاج إلى جهد علمي مركب لا يتوفر إلا من خلال فرق بحث تضم الانثروبولوجيا مع العلوم الاجتماعية الأخرى.

وما يحفز بالانثروبولوجيين بالقيام بالدراسات الحضرية هو أن المدينة تطرح وضعا إنسانيا معقدا وفريدا يندر العثور على أمثال في الأرياف والقرى، وهذا بحد ذاته يعني نوعا من فرص البحث التي يشعر الانثروبولوجيون بضرورة عدم تقويتها. إضافة إلى وجود المهاجرين الريفيين في المدن وما يوفره من مبرر قوي لمتابعة عملية الاستمرارية والانقطاع بين تأثيرات الريف والمدن في

حياتهم الجديدة. ومن العوامل المشجعة الأخرى، اتساع الرغبة في البحوث الحضرية المبادرات الناجحة للرواد الانثروبولوجيين الحضريين من أمثال ريدفيلد ويرث وأوسكارلويس والتي عززت ثقتهم في الإمكانيات الإيجابية المتوقعة من توسيع نشاطاتهم في هذا المضمار. وقد دعا ريدفيلد إلى ضرورة دراسة علاقات الريف والمدنية في صيغة التدرج والتكامل وليس من منظور الاستقطاب غير الواقعي. وفي رأيه أن هذا التدرج يمثل خطوة إستراتيجية مهمة في الدراسات الحضرية . بمعنى أن المجتمعات القروية المحلية تتطور دائما نحو النموذج الحضري وهي تتحول من النوع الصغير المكتفي ذاتيا والمنعزل ودائم على العلاقات الشخصية إلى النموذج الكبير غير المتجانس وغير الشخصي والعلماني وغير القرابي . وبهذا يكون ريد فيلد قد قبل النموذج الحضري الصناعي باعتباره نموذجا عالميا⁽¹⁾ .

لكن وجهات النظر الأخرى في الانثروبولوجيا الحضرية لا تطابق في بعض مضامينها ما ذهب إليه ريد فيلد. فأوسكار لويس لاحظ أن المكسيكيين لم يواجهوا مشكلة تحلل الأسرة والتي عدها ريد فيلد من سمات التحضير. ويشارك لويس ويرث رأيه وباحثون آخرون ويبدون قناعة بأن التحضر لا يشترط تحلل الروابط القرابية في كل الأحوال⁽²⁾ .

ومما يظهر تعقيد المدن دورها في حفظ وتوثيق التراث الثقافي من الضياع وهو دور لم يكن ممكنا في المجتمعات المحلية الريفية التي افتقرت إلى الأدوات والتقنيات العلمية والفنية لتحقيق ذلك. وملاحح التعقيدات الحضرية فبنواح كثيرة مصدرها التنظيمات البيروقراطية والصناعية والسياسية والتجارية والتي تتطلب أساليب في البحث على درجة عالية من الدقة والضبط. ومن

¹)Richard Fox، *op cite* .p113

²)*Ibid*-p243.

الواضح أن هذا يعرض أساليب الانثروبولوجيا التقليدية لإشكاليات كبيرة قد تؤدي إلى التنظيم الانثروبولوجي التي تميل إلى الشمولية من أجل استيعاب الأطر المنهجية الهادفة للتحليل الموضوعي الكمي الذي تستلزمه البحوث الحضرية عموماً⁽¹⁾ .

لكي تستفيد الانثروبولوجيا من بعض العناصر الإيجابية في المدن والتي اعتبرت حلقات وصل مع تراثها العلمي فإنها صارت تبدي اهتماما كبيرا بالأحياء المعلقة Ghettos باعتبارها إطارا تنظيريا ملائما يسمح بتوظيف كثير من طرق البحث الانثروبولوجي ،وقد حفز هذا النمط من الجماعات والكنائيات كثيرا من البحوث تناولت مختلف الجماعات الهامشية والمعزولة الاثنية والعرقية والطائفية.

لكن ملئ الفجوات بين المدن والقرى على المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية ما زال يعد من اكبر التحديات .وتبرز الفروق بين الاثنيين في السلوك والفكر والمؤسسات والمعايير والوسائل التكنولوجية والمستويات الاقتصادية والحرف.ولعل الإشكاليات التي تواجه في المدن تبلغ ذروتها إذا ما فكرنا بما تسببه حياة المدينة للمهاجرين من انقطاع بين متطلبات العمل فيها وبين ما كونه من أنشطة اقتصادية اعتمدت على تقسيم العمل حسب الجنس والسن.

من المعروف تاريخيا أن الانثروبولوجيا على الرغم من ازدياد فروعها ظلت تحتفظ بهويتها العامة التي تتعامل مع الجوانب الثقافية البيولوجية للإنسان ويؤكد الانثروبولوجيون الاجتماعيون في دراستهم الثقافية والاجتماعية والنفسية على المقارنة العابرة للحدود الإقليمية والثقافية في العالم مع الارتكاز على

¹ (النوري قيس، المرجع السابق، ص32)

المجتمعات المحلية .والى جانب تركيزهم على المجتمعات البدائية ظل الانثروبولوجيون يتميزون من غيرهم من أهل الاختصاص باهتمامهم بالعادات الاجتماعية والأعراف باعتبارها العلامة المميزة لتلك المجتمعات سواء في سياق النمطية أو أنساق العلاقات الاجتماعية أو في تكوين أشكال مختلفة من الشخصية في الجماعات المتعددة .والتركيز على الأعراف والتقاليد على أساس اعتمادها المتبادل وتكاملها هو من العلامات الفارقة التي تعطي الانثروبولوجيا خصوصيتها وفرادتها بين العلوم الإنسانية والاجتماعية⁽¹⁾.

ومما يفيد الانثروبولوجيا الحضرية في دراسة المجتمعات المعقدة تطوير بعض المفاهيم المركزية كالدور والمكانة (Rolex Status) باعتبارها ثوابت إنسانية لا يخلو منها المجتمع سواء كان قروا أو حضريا .فمن خلال مفهوم الدور يستطيع الباحث الحضري التساؤل عن طبيعة العلاقات القائمة بين من يؤدوا الأدوار وما يحركها من مصالح ويحيط بها من معايير في إطار نوع البناء والتنظيم الجزئي الذي تتحرك فيه هذه الأدوار .

ومن ذلك مثلا التضامن الاجتماعي وإمكانية تصنيفه في المجتمع الحضري بناء على أشكال الاتحادات والتنظيمات النقابية والسياسية والصناعية والتجارية والعلمية والإنسانية وغيرها مما تزخر به الحياة الحضرية. وبهذا تستطيع الانثروبولوجيا من توسيع استخدام مفاهيمها ونظرياتها الاجتماعية التي يمكن تطبيقها على سياقات الواقع الحضري .

فبالإضافة إلى مفهوم التضامن وما يحمله من قيم وسمات لا بد من الانتباه أيضا من منظور الأنساق الاقتصادية التي تزداد أهميته على حساب الأنساق الاجتماعية والعقائدية في المجتمع الحضري أن هناك حاجة متزايدة في

¹(النوري قيس، المرجع السابق، ص36)

الانثروبولوجيا الحضرية لاستيعاب هذا التحول في وزن الأنساق وطبيعة ما يفرضه على القيم والاتجاهات الإيديولوجية والعملية. فيدعم هذه الفكرة النوري قيس "... أن الاتجاهات المتنامية في المجتمعات الحضرية المعقدة ازدياد أهمية جماعات الضغط Pressure groups وما تمارسه من تأثيرات في إعادة تنظيم الحياة السياسية في المجتمع ، لعل في هذه الاتجاهات الكثير مما يتعلمها الانثروبولوجيون حول ظهور النسق القرابي كأساس للتنظيم السياسي وبروز التنظيمات الجديدة التي تتسع على حساب ذلك النسق ومنها التنظيمات الحزبية والاجتماعية والعلمية والاقتصادية غير المستندة إلى النسب ، وتبرز هنا فرص جيدة للتعرف على عمليات النضير الأساسي الحضري وانبثاق أشكال محددة من القيادات" (1) .

ولعل مما يعطي الانثروبولوجيين دعماً في اهتمامهم بالدراسات الحضرية هو قوة بقاء الأسرة البشرية كوحدة ومؤمنة اجتماعية وثقافية رئيسية في المدينة على الرغم من التحولات التي تعرضت لها . من المؤكد أن صمود الأسرة وفعاليتها التي ما تزال تلمس في المجال التربوي والتوجيهي الذي يعتمد عليه بناء الشخصية. ولعل دراسة الأسرة في المدن تتيح للانثروبولوجيين إمكانية التعرف على الأدوار الأساسية للأفراد داخل الأسرة في المدن وما يقابلها في الريف.

ونظراً لبروز الصداقة غير القرابية كمؤسسة حضرية بالغة الأهمية بعكس دورها الضئيل نسبياً في الريف فإن الانثروبولوجيا تجد في هذا الإطار الجديد للعلاقات والتفاعلات الإنسانية مجالات متعددة ومتنوعة لفحص العلاقات التي تخلقها الصداقة الحضرية وما تستند إليها من مبررات عملية وفكرية.

¹ (النوري قيس، آفاق التغيير الاجتماعي النظرية والتنموية، مطبعة جامعة بغداد 1990. ص 68.

3. الدراسات الأنثروبولوجية للثقافة الحضرية:

لم تعرف الأنثروبولوجيا قبل النصف الثاني من القرن العشرين، تقسيمات وفروعاً، إذ كانت تتم لأغراض خاصة بالباحث أو من يكلفه، كدراسة حياة بعض المجتمعات أو مكوناتها الثقافية .

ومع انطلاقها في الستينات والسبعينات من القرن العشرين، حيث أخذت تتبلور مبادئها وأهدافها، كانت ثمّة محاولات جادة لتوصيفها كعلم خاص، وبالتالي وضع تقسيمات لها وفروع من أجل تحقيق المنهجية التطبيقية من جهة، والشمولية البحثية التكاملية من جهة أخرى. فظهرت نتيجة ذلك تصنيفات متعدّدة، استند بعضها إلى طبيعة الدراسة ومنطلقاتها، بينما استند بعضها الآخر إلى أهدافها.

شهد القرن العشرين مراحل تكوين الأنثروبولوجيا وتطويرها، لتصبح كياناً أكاديمياً ومهنة متخصصة عند كثير من العلماء والفلاسفة والباحثين. فعلى الرغم من أنّ الفكر الأنثروبولوجي قد ظلّ خلال العقدين الأوليين من القرن العشرين، متأثراً إلى حدّ بعيد، بالنظريات التي سادت وتبلورت في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر، فإنّه سرعان ما تغيّر وتحوّل إلى منطلقات جديدة، نتج عنها اتجاهات متعدّدة إزاء دراسة الإنسان وحضارته، سواء ما كان منها نظرياً أو منهجياً⁽¹⁾.

¹ فهميم، حسين قصة الأنثروبولوجيا - فصول في تاريخ الإنسان، عالم المعرفة الكويت 1986 ص

أما مفهوم الثقافة الحضرية فيعتبر من المفاهيم الأساسية في علم الاجتماع الحضري ومفهوم يبحث فيه ويدرس وقد أصله الرواد الأوائل لمدرسة شيكاغو من أمثال لويس ورث وبارك وردفيلد وغيرهم وبحثوا في المفهوم واستخلصوا نتائج من خلال دراسة الثقافة الحضرية بالمدن الأمريكية وميزوا بين الثقافة الحضرية والثقافة الريفية . وقد سبقهم في هذا عالم الاجتماع العربي ابن خلدون عندما ميز بين العمران البدوي والعمران الحضري أو بين خصائص أهل البدو وخصائص أهل الحضر وهذا الأخير أسهب فيه واستنتج خصائص تميز أهل الحضر وتدرج أفكار ابن خلدون ضمن مفهوم الثقافة الحضرية. كما بحث فيها عدة علماء فرنسيين .

تمثل الثقافة الحضرية أعمال جماعة من العلماء ممن اهتموا بدراسة أثر المدينة على البناء الاجتماعي والايكولوجي، أو ممن اتخذوا على حد تعبير جوبرج من المدينة أساساً لتفسير بعض الأنماط الحضرية كـ " لويس ورث " و"روبرت ريدفيلد" وقد أسماها " فرازمان بنظرية التعارض والتي عنيت بإبراز خصائص المجتمع الحضري كنمط متميز بمقارنة بنمط المجتمع المحلي، وبحيث أصبحت المدينة تأخذ محتوى ثقافياً خاصاً، وتصبح تبعاً لذلك متغيراً تحليلياً لتفسير هذا المحتوى، بحيث تعتبر الثقافة الحضرية باعتبارها طريقة للحياة⁽¹⁾.

¹ (السيد عبد العاطي، علم الاجتماع الحضري، ج1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990، ص430.

كما يعد " روبرت بارك " أبرز المؤسسين الأوائل لمدرسة شيكاغو، وقد قدم اسهاماً في المدينة وأكد في هذا المجال عدداً من القضايا الهامة التي نجملها على النحو الآتي:⁽¹⁾

- المدينة مكان طبيعي لإقامة الإنسان المتحضر.
- المدينة بناء طبيعي يخضع لقوانين خاصة من الصعب تجاوزها .
- المدينة بناء متكامل .
- المدينة منطقة ثقافية.

يقول " شبانوا " أن العالم عبارة عن تصورات من خلال التفاعل داخل المدينة تنتج تصورات فردية - اجتماعية وهذه التصورات هي التي تبنى بها الحياة الاجتماعية الحضرية، وتكون عن طريق الاجتماع والتفاعلات والعلاقات الاجتماعية المتينة والأفعال والسلوكيات والمعاملات اليومية.

لماذا طابع أو طراز البناء في مدينة ما يكون بشكل معين وبألوان معينة وبهندسة خاصة ومحددة وخصائص تميزها.

هاته التصورات الاجتماعية والسياسية والثقافية والتاريخية لها انعكاس على سلوكيات وأفعال الأفراد داخل المجتمع الحضري، وبذلك تنشأ صورة خاصة للمدينة الحضرية وهذه هي سمة من سماتها وبالتالي تصبح ثقافة حضرية تطبعها.

¹ (حميد خروف وبلقاسم سلاطينة واسماعيل قيرة، الإشكالات النظرية والواقع، قسنطينة: دار البعث، 1999. ص14.

لدراسة المدينة بشكل متكامل ينبغي التعرف على موقعها الجغرافي وحدودها المكانية وظروفها من حيث المناخ والطقس والاحوال البيئية التي تتعرض لها ، كما أنه من الضروري أن نحصر سكانها ليس من حيث الحجم فقط، وإنما أيضا من حيث توزيعهم وخصائصهم وكل المشكلات التي يتعرضون لها، ذلك أنه يكون فارغ المعنى ان لم يرتبط بتحليل شامل للهيكل الاقتصادي للمدينة فتحدد مواردها الطبيعية والبشرية ومصادر الإنتاج بها وتخصصها الانتاجي وحراك الموارد منها واليها ، كما ان للبعد التاريخي يؤدي الى تفسير الأوضاع الحالية التي نجد عليها المدينة سواء من حيث النشأة، أو التطور أو الأوضاع المستقبلية. أما الإطار السياسي فيشكل بعداً هاماً وأساسياً فالمدينة دائماً وعلى مر العصور كانت مركزاً للتنظيم السياسي والإدارة والحكم، كما أنها تمثل الشكل السياسي الرسمي للدولة الذي يمتد تأثيراته لبقية أرجاء المجتمع. ويمثل البعد الاجتماعي محوراً حيوياً فهو يمثل محصلة لكل الأبعاد السابقة بحيث يمكن الاستعانة به دائماً في كافة الجوانب الأخرى، فما ذكر آنفاً عن السمات التي تشخص سكان الحضر لم تتكون هكذا دون جذور تربط فيما بينها، وتتمثل هذه الجذور في نسق للقيم يكاد يتشابه الى حد بعيد بين سكان هذا النمط على اختلاف المجتمعات وتتوعها ويتحدد محتوى هذا النسق في كل الأبعاد السابقة فهو انعكاس صادق لنوعية المهنة وكمية الدخل ومستوى التعليم ونظام السكن أي أنه باختصار صورة لنوعية الحياة التي يعيشها سكان الحضر.

ومن هنا نفهم انه ليس حقيقي النظر إلى المدينة أو الوحدة الحضرية على إنها فقط هيكل اقتصادي أو بناء فيزيقي أو وحدة إدارية بل هي أي المدينة كل ذلك وفوقه هي نظام اجتماعي⁽¹⁾.

ومن عناصر الثقافة الحضرية نجد :الممارسات الاجتماعية، الاندماج الاجتماعي (الرموز . الأفكار والتصورات . الممارسة الاجتماعية . القيم . العادات والتقاليد) والعلاقات الاجتماعية (تقاسم الأفكار والآراء والأهداف والقيم في المجال الثقافي الحضري).

نستخلص من خلال ما تقدم ان الثقافة الحضرية متكونة من مكونات منها ماهي مادية تتمثل في العمران وطرق البناء والهندسة والطرق والسيارات والهياكل والمؤسسات والموقع واللباس والاثاث ...الخ. وماهي غير مادية أو ما يطلق عليه القطاع الاجتماعي للثقافة وأيضاً البناء الاجتماعي إذ يشمل مفهوم المجتمع على جانبين أساسيين هما : البناء الاجتماعي الذي تمثله العلاقات الاجتماعية، والتفاعلات الاجتماعية والتصورات الموحدة والثابتة نسبياً بين الأفراد داخل المجتمع الحضري. والجانب الثقافي الممثل في أسس تلك العلاقات والقواعد التي تقوم عليها.

و قد تشمل الثقافة الحضرية كل مكونات الثقافة المادية واللامادية وكذا الفكرية . وأن لكل مجتمع ثقافته التي تميزه عن غيره من المجتمعات الأخرى، والثقافة تمثل حصيلة ما تعلمه أفراد مجتمع معين، وبذلك تتضمن نمط معيشتهم وأساليبهم الفكرية ومعتقداتهم ومشاعرهم واتجاهاتهم وقيمهم والأساليب السلوكية التي يستخدمونها في تفاعلاتهم اليومية، وكل ما يستخدمه أفراد هذا المجتمع من

¹ (حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المدينة (دراسة في علم الاجتماع الحضري)، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2006، ص42.

الآلات والأدوات في إشباع حاجاتهم وتكيفهم مع بيئتهم الاجتماعية الطبيعية، ويشكل أفراد المجتمع نمط معيشتهم ويعبرون عنها بأفعالهم وإنتاجهم وخبراتهم ومعارفهم وفنونهم.

ثالثا : أهداف الدراسة

هدف البحث إلى :

- ✓ دراسة التغيرات التي عرفتها فئة الشباب بالوسط الحضري وعلى طبيعة الممارسات الثقافية المنتشرة والسائدة في المجتمع الجزائري عموما ومجتمع الدراسة على وجه الخصوص ، وذلك من خلال الملاحظة والاستعانة بالموروث الثقافي الشعبي واستخدام المنهج البنائي الوظيفي من أجل تحليل وظائف البناء الاجتماعي.
- ✓ دراسة العلاقات الأسرية المتغيرة وأنماط الممارسات الثقافية داخل الأسرة (التواصل بين الشباب والجيل القديم).
- ✓ تحليل مظاهر التغير في الثقافة المعاصرة .

رابعا : أهمية البحث:

تتبع أهمية البحث كونه:

- يتناول طبيعة وأبعاد التغير لدى الشباب بالوسط الحضري الجزائري ، التي شهدت قفزة نوعية في التحضر ، فضلا على أن الأسرة تعتبر النواة الأساسي للمجتمع التي تبرز فيها عناصر التغير التي تنعكس على الممارسات الثقافية.
- يعكس واقع تطور الثقافة الحضرية التي طرأت على البناء الاجتماعي ككل.

- يضيف بعدا علميا جديدا في مجال الأبحاث الأنثروبولوجية المتعلقة بالتحضر والثقافة الحضرية لدى الشباب الجزائرية.
إن دراسة طبيعة الممارسات الثقافية لدى الشباب في الوسط الحضري تقتضي تحديد عناصر هذه الجدلية . فالتحضر في الجزائر تحضر متسارع غير منظم، وهذه الملاحظة تنطبق على جميع الظواهر في المدن سواء كانت اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية : إن الوضع الفوضوي الملاحظ على مستوى التحضر يتجلى بصفة عامة بسوء التخطيط العمراني ، وظهور الأحياء الهامشية المتميزة بكثافة سكانية عالية جدا وبتنوع الأمراض وسوء التغذية والبطالة والامية والانحراف...

إن الإمام بمشاكل التحضر وبالممارسات الثقافية في الوسط الحضري بصفة خاصة ، يقتضي منا طرح بعض المسائل المتعلقة بهذه الممارسات في إطار الأبعاد البنائية للمجتمع الجزائري:

* البعد الاقتصادي: وفيه تتحرك عمليات الممارسة الثقافية من خلال تحديد الأهداف المادية وحصر الموارد الموجودة في المجتمع ، تم رسم الخطط التي تضع في اعتبارها الأوليات والبدايل التي تقود إلى توفير أنشطة ثقافية تأخذ على عاتقها تحقيق الأهداف المسطرة ومنها استثمار التنوع الثقافي في تكوين الشخصية الاجتماعية وتجاوز التحضر المتسارع ومشاكله الهيكلية.

* البعد الاجتماعي: ونعني به الإنسان من خلال كل ما يمارسه من أنشطة اجتماعية وثقافية وفكرية وفن وأدب وسلوك ، وتأتي أهمية الممارسات ومدى جديتها في هذا البعد ، انطلاقا من أن العنصر

البشري هو المحور الأساسي في كل عمليات التنمية . وعلى هذا الأساس فإن الممارسات الثقافية ، لابد أن توظف في الأغراض التي تسعى إلى الارتقاء بالفرد الجزائري إلى المستوى الذي يؤهله للصحة النفسية والتطور...

* البعد السياسي: في هذا الحيز من البناء يكون اتجاه عمليات الممارسات الثقافية ماضيا إلى ضم دور الجمعيات الثقافية في إشعاع الثقافة وتهيئة الجو للتعبير عن المعتقدات والاتجاهات الفكرية، من خلال التعبئة العامة والحشد الجماهيري لإبراز التنوع الثقافي.

بهذا المنظور ، يمكن القول ، أن الدراسة الحالية تعتبر من الدراسات المحلية النادرة التي تناولت موضوع الممارسات الثقافية لدى في الوسط الحضري . لذلك فإنه من المتوقع أن تسهم في تقديم معرفة نظرية وتطبيقية لطبيعة وأبعاد الممارسات وما تكتسبه من خصوصيات ثقافية ، كما أنها تمثل محاولة علمية لدراسة بعض أنواع الأنشطة الاجتماعية والثقافية التي يمارسها الأفراد في حياتهم اليومية، ومن المتوقع أن تسهم هذه الدراسة في زيادة الفهم لأبعاد التغيير التي طرأت على الممارسات الثقافية التقليدية في الوسط الحضري ، خاصة في عصر العولمة مما يساعد المؤسسات الاجتماعية والثقافية في المجتمع على وضع الآليات اللازمة للحفاظ على التراث الثقافي الأصيل.

خامسا : المفاهيم الأساسية للدراسة

لا احد يجادل من قيمة المفاهيم بالنسبة لتحليل الوقائع الاجتماعية، فهي تسمح بإعطاء معنى لهاته الوقائع والعلاقات القائمة في إطارها، ومن أهم المصطلحات التي لها علاقة بالدراسة الحالية، يمكن الحديث عن:

5- الثقافة:

إن مفهوم الثقافة من أكثر المفاهيم تعقيدا ، وقد كان هذا مدعاه للاختلاف بين العلماء في تعريف ماهية الثقافة . فمن العلماء من استخدمها ليصف سلوكا لطبقة اجتماعية معينة، واستخدمها البعض الآخر ليعبر عن طاقة المجتمع على الخلق والإبداع ، واستخدمه فريق ثالث للتعبير عن مستوى تعليمي أو ثقافي معين. ومن العلماء من اعتبر الثقافة مرادف لمفهوم الحضارة civilization⁽¹⁾.

كلمة ثقافة culture إلى كلمة culture اللاتينية . وهي كلمة مأخوذة من الأصل الألماني kulture . وتعني فلاحه الأرض.

و في العربية ، وكما جاء في معجم لسان العرب⁽²⁾ :ثقف الرجل ثقافة ، أي صار حاذقا حفيفا، ورجل ثقف، أي حاذق الفهم ، والمهارة ، وذو فطنة وذكاء والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه ، ويقال ثقف الشيء ، وهو سرعة التعلم.

(1) عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي .مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 5 . 1986. ص ص 173 - 174 .

(2) معجم لسان العرب ، دار المعارف القاهرة .ص ص 492 - 493 .

و قد قدم ابن خلدون الثقافة في مقدمته الشهيرة على أنها العمران⁽¹⁾، والذي هو صنع الإنسان ، ويقول العلامة في هذا المجال⁽²⁾ : إن الاجتماع الإنساني ضروري ، ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : أن الإنسان مدني بطبعه ، أي لا بد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم، وهو معنى العمران.

وعالج ابن خلدون في المقدمة ظواهر التربية والعلوم وأصنافها والتعلم وطرقه، كما ناقش ظواهر أخرى مثل الظواهر القضائية والخلقية والجمالية والدينية واللغوية⁽³⁾.

أما علماء القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين فقد كان لهم شبه اتفاق على مفهوم الثقافة وقاموا بالأخذ بتعريف تايلور⁽⁴⁾ Tylor " إن الثقافة أو الحضارة هي ذلك الكل المعتقد الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والعادات والعرف وكافة المقدرات والأشياء الأخرى، التي تؤدي من جانب الإنسان باعتباره عضوا في المجتمع.

⁽¹⁾ د محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الثقافي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية . 2002 ص 20 .

⁽²⁾ د محمد الهادي عفيفي ، في أصول التربية . الأصول الثقافية للتربية ، مكتبة أنجلو المصرية ، القاهرة . 1980 ص ص 121 - 122 .

⁽³⁾ د علي عبد الرازق جلبي وآخرون ، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية . ص 20 .

⁽⁴⁾ المرجع نفسه ، ص 21

وعرف مالمينوفسى⁽¹⁾ الثقافة بأنها تشمل المهارات الموروثة، بأنها تشمل المهارات الموروثة، الأشياء، والأساليب، أو العمليات الفنية، والأفكار، والعادات والقيم. وكلمة العادات التي أشار إليها مالمينوفسى تخرج بالتعريف من حيز الوسط البيولوجي إلى مجال الدراسات الاجتماعية.

ومن العلماء من نظر إلى الثقافة باعتبارها نتاج العقل الإنساني عن تفكير وعلم وفن وآداب وتكنولوجيا. فقد استخدم ماكيفر وبيج⁽²⁾ المصطلح للإشارة إلى كل ما صنعه أي شعب من الشعوب، أو أوجده نفسه من مصنوعات يدوية ومجريات ونظم اجتماعية سائدة.

ويشير تعريف الثقافة على هذا النحو السابق عدة مشكلات ، فالثقافة برغم أنها تتميز بالعمومية في تجربة الإنسان، إلا أن هذا لم يمنع من تميز مظاهرها المحلية والإقليمية، كما أنه برغم ما تمتاز به الثقافة من ثبات، فهي في تغير دائم وحركة مستمرة ،ومع أنها تغلف كل جانب من حياتنا، فيندر أن تدخل في نطاق تفكيرنا الواعي⁽³⁾ .

ومن الملاحظ أننا لا نستطيع أن نلاحظ الثقافة بصورة مباشرة، فهي تتمثل في صورة مجردة، مأخوذة ومستخلصة من مواقف وسلوك الإنسان الجماعي، ومبسطة من المناهج والمعايير والقوالب الفكرية لأفراد الجماعة.

¹ (د حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الثقافة : دراسة في علم الاجتماع الثقافي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2006 ص 11 .

² (المرجع السابق ، نفس الصفحة .

³ (د علي عبد الرازق الجبلي ، المرجع السابق ، ص 276 .

وينقل الأفراد السمات الثقافية الأساسية، وينقلونها من جيل إلى جيل وليس معنى ذلك أن الثقافة هي نتاج شخصية إنسانية واحدة، فالفرد لا يستطيع أن يشترك في جميع عناصر ثقافة المجتمع التي يعيش فيها.

والثقافة بطابعها لا تتجلى لنا كظاهرة إلا بعد إدراك تأثيرها. فمنذ الطفولة تتشكل الثقافة في أنواع معينة من السلوك، تعاقب إذا انصرفنا عنها، وتثاب إذا فعلنا والتزمنا بما نؤمر. وكذلك يكتسب الفرد بالتعلم ما يعتبره أهدافا وغايات يشارك فيها مع باقي أفراد المجتمع. فالثقافة إذن هي مثل الهواء أيضا إذا ما خالطه الضباب فإنها غير واضحة لا يمكن تجاهلها.

والثقافة بطابعها لا تضم فحسب أشكال التنظيمات الاجتماعية وأشكال السلوك المكتسب التي تنبثق منها، ولكنها تضم كذلك القوة الخلاقة التي تمكن المفكر من إنتاج شيء جديد يتميز بالحدثة في نطاق الأشكال والأنماط التي تحقق التكامل داخل المجتمع. وتحتوي الثقافة كذلك على تلك القوى " المحافظة على الهوية "، وهي التي تمكن المفكر والفيلسوف ورجل الدين والأديب والفنان من التوفيق بين متطلبات المعايير الدينية والأخلاق وبين الواقع المتغير.

6- الحضارة:

ذهب " دونزو كورتيز " D.Cortes في إسبانيا منذ القرن الماضي إلى أن الثقافة والحضارة تمثلان مرحلتين، والثقافة هي التي تسبق الحضارة، لكن الحضارة لا

يتبعها انحطاط ، كما كان يرى شينغلر ، بل على العكس ، الحضارة صعود نحو الحضارات (1).

و قد فرق "الفرد فيبر" A. Weber بين الحضارة « على أنها جملة المعارف النظرية والتطبيقية غير الشخصية وبالتالي تلك التي يعترف إنسانيا بصلاحياتها ويمكن تناقلها» وبين الثقافة «هي جملة من العناصر الروحية والمشاعر والمثل المشتركة التي ترتبط في خصوصيتها بمجموعة وزمن معينين» (2).

على العموم لم يعر علماء الأنثروبولوجيا وعلم اجتماع أي اهتمام لهذا التمييز الذي بدا لهم تمييزا وهميا وموصوما بصورة خاصة بثنائية غامضة . إن الغالبية العظمى من علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا تتجنب استعمال مصطلح «حضارة» وتعتبر الاثنين (ثقافة وحضارة) من الممكن أن تحل إحداها محل الأخرى وهكذا فان الأنثروبولوجي الفرنسي كلود ليفي شتراوس، يتحدث عن "الحضارة البدائية" متبعا في ذلك مثل تايلور الذي على الرغم من إعطائه أحيانا للاصطلاحين معاني مختلفة ، إلا أنه كان يستعمل التعريف الواحد نفسه للثقافة وللحضارة» (3).

¹ مالك عبيد ابو شهيوه ومحمود خلف ، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع - مصر 1999 ص 109.

² د عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة ، مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 1 - فبراير 2006 ص 34 .

³ مالك عبيد ابو شهيوه ومحمود خلف - المصدر السابق ص 135 .

و عليه ، قد نجد بعض علماء الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع يميزون بين المصطلحين، فبعضهم يستخدم مصطلح « حضارة » لكي يشير إلى مجموعة من الثقافات الخاصة بينها تشابه أو أصول مشتركة .

و هكذا نرى أن مفهوم الثقافة يرتبط وفق هذا الاستعمال بمجتمع معين ومحدد الهوية، في حين أن مصطلح « حضارة » يستخدم ليشير إلى مجموعات أكثر اتساعا وأكثر شمولاً في المكان والزمان .

أما البعض الآخر فيستخدم مصطلح « حضارة »، للدلالة على المجتمعات التي بلغت درجة عالية من التطور ، وتتصف بالتقدم العلمي والتقني، والتنظيم المدني والتعقيد في النظم الاجتماعية، وهذا الاستعمال يعود بنا إلى أصل الكلمة بمعنى حضر أو تحضر في مواجهة البداوة والترحيل، وهكذا يؤدي هذا الاستخدام إلى مفهوم تطوري ، لذا نلجأ في العلوم الاجتماعية الآن إلى التغيرات مثل : التصنيع والنمو والتحديث والثقافة وعليه نستخلص الآن كل حضارة ثقافة بمعنى ما ، ولكن ليس كل ثقافة حضارة .

إن كلا من الحضارة والثقافة يشيران إلى نمط الحياة العام للبشر، وما الحضارة إلا ثقافة كتبت بحروف كبيرة، كلاهما تتضمنان « القيم والمبادئ والمؤسسات وأنماط التفكير، التي تعطي لها الأجيال المتعاقبة في مجتمع ما أهمية وألوية »¹. إن الحضارة «فضاء» ، «مساحة ثقافية» ، «إنها توليف من خصائص وظواهر ثقافية» وعرفت أيضا على « أنها سلسلة متميزة من العادات

¹) Richard mayne ، history of civilizations ، new york ، penguin press، 1994 ؛ pp : 4-5.

والبناءات الثقافية ذات الشبوع الواسع بشقيها المادي والمعنوي والتي تشكل نوعا من الكيان التاريخي «⁽¹⁾.

بينما الحضارة بالنسبة الى دور كايم وموس هي «نوع من البيئة الأخلاقية أو المعنوية وقد تضم في طياتها عدد معين من الأمم ، تمثل فيها كل ثقافة قومية فقط شكلا معيناً من الحضارة ككل»⁽²⁾.

أما شينغلر فيرى الحضارة على أنها «المصير المحتوم للثقافة ، وهي أكثر الحالات الظاهرية والاصطناعية التي تكون أجناس البشرية المتطورة قادرة عليها»⁽³⁾. يتبين من مختلف وأهم التعاريف أن الثقافة هي الموضوع المشترك في التعريف بأي حضارة. إذا الحضارات هي كيانات ثقافية ذات معنى ،ليس لها حدود قاطعة أو بدايات ونهايات دقيقة .

كي يعيش الإنسان ويستمر بقاءه ، غير كل ما حوله وابتكر في مجالات الاتصال بالعالم الخارجي بيئة صناعية ثانية ، فشيّد المنازل والأبنية ومهد الطرق ، واستعمل وسائل النقل ، فقد أشيع الإنسان العديد من احتياجاته بفضل المصنوعات حتى في أبسط أنواع الحياة الإنسانية. حتى قيل أن إنسان الطبيعة لم

¹)Immanuel WALLERSTEIN ، **Géopolitics and Géoculture : Essay on the Changing World System** (cambridge university) ، édition La Maison des Sciences de l'Homme، Paris 1991. P 215

²) Marcell MAUSS & E DURKEIM ، **Note on the Notion of Civilisation** ،édition Lafayette ، paris 1981 ، vol 29 p 901.

³)Charles Francis ALKINSON ، **The Decline of the West** ،édition Knopf ، New York 1970 ،p31

يوجد بعد، فهو دائما في الابتكار وتجديد من أجل تلبية حاجاته. وهذا هو مغزى الثقافة ومعناها، بصفاتها لحظة ما بعد الطبيعة حسب العبارة الأنثروبولوجية الدارجة ، أي لحظة التاريخ الذي يبدأ مع انتقال فعالية الإنسان إلى بناء النظام الاجتماعي على أنقاض النظام الطبيعي .

في الخلاصة يمكن القول أن مختلف التعاريف الانثروبولوجية حافظت على المقابلة بين الطبيعي والثقافي ، تدعمها المقارنات التي كانت رائجة بين الحيواني والإنساني وبين ماهر بيولوجي أو فطري وبالتالي مشترك بين كل الناس ، وبين ما هو مكتسب في الوجود الاجتماعي .

كما ينفرد الإنسان عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع ثقافته، كذلك ينفرد كل مجتمع بشري بخصائص ثقافية تميزه عن باقي المجتمعات. تتضمن ثقافة أية أمة أو جماعة وجهة نظر كل فرد عن السلوك الفردي والعلاقات الاجتماعية وموقفه من الآخرين وتفضيلا ته في ما يتعلق بمسائل الدوق والأخلاق والعلاقات الأسرية بين الآباء والأبناء وما يختزنه الفرد من القيم والمعايير الاجتماعية وما يقدهه وما يظهره من ولاء . ويشكل هذا بمجموعية وعن طريق الآباء وكبار السن الذين ينقلونها عن طريق التلقين أو عن طريق الدين والمدارس والقراءة ومختلف وسائل الإعلام والاتصال .

ولأن الثقافة مكتسبة وليست محمولة بيولوجيا فهي تسمى أحيانا "الموروث الاجتماعي" أو "المخزون الثقافي" ونظرا إلى القدرات الإنسان المبدعة فهو لا يكتفي بالتعلم واكتساب الثقافة فقط ، بل يضيف إليها إشكالا سلوكية مختلفة.

لا وجود للثقافة من دون مجتمع إنساني، ولا وجود لمجتمع دون ثقافة، العلاقة جدلية بينهما .

فالثقافة تنشأ عن الحياة الاجتماعية البشرية من خلال سعي الإنسان لابتكار سبل التكيف مع الظروف البيئية، ومحاولته بالتالي التحكم بالظروف المحيطة به. تختلف النظم الاجتماعية كما تختلف أنماط الثقافة في مدى شمولها، فهناك أنماط تشمل جميع أنماط المجتمع الواحد وتسمى العموميات من أنظمة الضبط الاجتماعي، بحيث يتعرض المخالف لها لعقوبات أو لنبد اجتماعي .

لا تتمتع كل الأنماط الثقافية لهذا الشمول وبخاصة في المجتمعات الحديثة، فهناك الكثير من الخصوصيات ' (spécialités) التي تشمل جماعة معينة داخل المجتمع الواحد، كما أن هناك بدائل (alternatives) وهي عناصر ثقافية متعددة ، للفرد حرية الاختيار بينها.

يكتسب الإنسان الثقافة منذ مولده عن طريق التفاعل، فهي لا تنتقل بالوراثة لكنها تتكون من خلال التنشئة الاجتماعية أو الانتشار أو التثاقف أو الاستعارة أو التماثل أو الاستيعاب ولا يدخل فيها السلوك الفطري والأفعال المنعكسة، ومع ذلك لا يمنع أن تكون بعض النظم الثقافية قد أوجدها الإنسان لإشباع حاجات فطرية، كنظام جمع الطعام أو الصيد أو الزراعة ، وهي تكتسب عن طريق التعلم ، ويمكن تطويرها كما تطورت قوانين التعلم وتقنياته، وبفضل اللغة يستطيع كل جيل أن ينقل خبراته بطريقة رمزية إلى الجيل الناشئ⁽¹⁾.

¹ (د عبد الغني عماد ، مرجع سابق ، ص 116 .

سمة المجتمعات دائمة التغيّر، والتغير قانون تخضع له جميع الظواهر "إذ التغير قانون الوجود وأن الاستقرار موت وعدم" وهنا يعنى بالاستقرار الثبات. وقد يتم التغير ببطء شديد بسبب عزلة المجتمع أو صغره وجمود تقاليدته. أمّا المجتمعات الحديثة والصناعية فوثيرة التغير فيها أسرع ، وذلك يعود لقوة التفاعل الاجتماعي وتكاليف الاحتكاك الثقافي.

وقد تموت الثقافة إذا تفكك المجتمع الذي يحملها عن طريق الفناء أو عن طريق الغزو أو عن طريق الاندماج بثقافة أكبر وظهور ثقافة جديدة نتيجة لانصهار الثقافات القديمة⁽¹⁾.

فعلى الرغم من استمرار المجتمع في المكان نفسه، فإن الثقافات تتوالى على مر السنين وهذا ما حصل مع ثقافة الهنود الحمر وثقافة السكان الأصليين في استراليا ولكن بكيفية مختلفة ، فقد جاء الغزاة والمستعمرون الأوروبيون بثقافة متقدمة وفرضوها بالقوة⁽²⁾.

أن الإنسان يتكيف مع الضرورات الجغرافية من خلال الثقافة، وعن طريق الاستعارة من الشعوب المجاورة وعن طريق الاستجابة للتغيرات المختلفة الطبيعية منها والتكنولوجية⁽³⁾.

1) عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديريون الأمريكية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971 . ص 95

2- المرجع نفسه ، ص 76 .

3) عاطف عطية البيئية والإنسان ، دراسة في جغرافية الإنسان، جروس برس لبنان 1997 . ص ص 93-45.

باختصار عندما تتغير ظروف الحياة، فإن الأشكال التقليدية للثقافة تتوقف عن مد الإنسان بالحد الأدنى من الإشباع لذلك فهي تستبعد أو تظهر حاجات جديدة وتكيفات ثقافية جديدة ، يعيش الإنسان من خلالها .

الثقافة وفق كلِّ هذا كلُّ يتحرَّك ويتطوَّر، وبالتالي فهو ينمو بما يشابه طبيعة النمو الحيوية، بالإضافة إلى آلية التغير الثقافي (changement culturel) آلية أخرى تجرى فيها الثقافة لتحقيق غايتها وهي آلية النمو الثقافي (croissance culturel) ، وهي عملية تحصل داخل الثقافة ذاتها ، والتي بطبيعتها تتجه نحو التغير التدريجي ، وذلك أن كل جيل يقوم بالإضافة إلى "الموروث الثقافي" من خلال التعلم والتجربة وتسمى هذه العملية بالتراكم الثقافي (accumulation) وكلما حصل التراكم بإيقاع سريع زادت إمكانية التغير وتسارعت حركته، ومن شروط هذه العملية "الاستمرارية" والتي تعتبر بمثابة تصفية وتنقية وتألّف .

فالعناصر الثقافية المتركمة تعمل وتستمر في صور كثيرة ، طالما استمرت الوظيفة التي تؤديها في المجتمع. فبعض العناصر قد تتغير ووظيفتها، وقد تتغير صورتها ، وتصبح جزءا من ظاهرة أخرى ، كما في بعض صور السلوك الديني والأخلاقي الذي أصبح في بعض أشكاله اقرب إلى الفلكلور

الشعبي، أو يتمثل في أساطير وأمثال، كمثل السيف الذي مازال يحتفظ بشرفه بعد أن ورثت وظيفته أسلحة أخرى، ومع ذلك لا يزال رمزا للقوة والنبيل (1).

فقد أصبحت الثقافة في عصر العولمة أكثر قدرة على الانتشار. فانتقال العلوم وحركه المعرفة أصبح أكثر يسرا بما لا يقارن مع ما كان يجري في القرون الماضية.

هناك عدة تساؤلات تطرح حول مصدر الثقافة، أهي تأتي من المجتمع؟ أم من الدين؟ أم التاريخ هو المسئول عنها أم عمليات التفاعل مع الأفراد بينهم وبين البيئة الذي ينتسبون إليها؟ هل يكتسب الفرد القيم والعادات والتقاليد أم ينتجها؟ وهل تأتي الثقافة من القيم والعادات أم أن القيم والعادات تأتي من الثقافة؟ أم يكفي الإنسان باكتسابها أم يضيف عليها ويعدلها؟

في الحقيقة تأتي الثقافة من كل الاتجاهات، فبقدر ما ينتج المجتمع ثقافة، تنتج الثقافة مجتمعاتها بكيفية خاصة. فبقدر تفاعل الأفراد مع بيئتهم، تنمو الثقافة ويتكون المجتمع، وبقدر ما تتراكم الخبرات وتتنقل عبر الزمن ويتم تعديلها والإضافة إليها يكتمل ببيان الثقافة والمجتمع (2).

وإن شئنا استعارة العبارات الأنثروبولوجية نقول أننا أمام نمطين من الثقافة هما الثقافة العالمية (culture savante) والثقافة الوحشية (culture sauvage) وهو

¹ (سناء الخولي ، مدخل الى علم الاجتماع ، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، مصر 1987 .ص 113.

² (عبد الغني عماد ، نفس المرجع ، ص 135.

تقاطب يمكن تسمية أيضا الثقافة العليا والثقافة الشعبية⁽¹⁾. في هذا التقسيم لا امتياز للثقافة المكتوبة (العامة) على الثقافة الشعبية (الشفوية) في مضمار التعبير عن الذات. فكلاهما طريقة من طرائف هذا التعبير، بغض النظر عما فيهما من تفاوت في درجة التنظيم والتعقيد. تبدو الثقافة المكتوبة أكثر من غيرها تراكما ونجاحا. غير أن المشكلة ليست في هذه الفوارق ودرجات التعقيد بل في التفاوت لجهة وعي المجال والديناميكية الخاصة بحقل كل منهما .

يجد المرء في الثقافة، وبخاصة في الشعبية منها، نماذج جاهزة تحوز على صدقيه كبيرة في بيئته ووسطه، كونها شائعة ومعمنة، وميزة الثقافة الشعبية أن أكثر أشكالها غير مدوّن في الكتب، بل محفوظ بشكل مادي (في اللباس، وأشكال الطبخ..) أو في الذاكرة الجماعية (كالأمثال والأغاني التي لا مؤلف لها ...) وفي القيم والعادات والتقاليد والأعراف والشعائر والطقوس التي يقع الجميع تحت وطأتها مؤمنا أكان غير مؤمن. فالكل مهيا ليتقبل ايجابيا ما يأتي في سياق التقليد القديم مقارنة ما يأتي عن طريق الشيء الجديد ففي هذا المضمون يقول فريدريك معتوق " أن الباحث لاستطيع الاكتفاء بالتوجه إلى المكتبة الجامعية لدراسة الثقافة ، بل ينبغي عليه أن يهبط إلى حقل الحياة العملية لكي يجمع عناصرها"⁽²⁾.

يمثل الدّين ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة ، ليس في كونه مجموعة نصوص وتعاليم وقيم فحسب، بل بما هو كيان محسر اجتماعيا، ومبلور

⁽²⁾ المرجع السابق ، ص 136.

(2) فريدريك معتوق، ، المجتمع والتاريخ، جروس برس المعرفة ، لبنان، 1991، ص 110

بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال، أي من حيث صيرورته نظاما من الممارسات فضلا عن كونه نظاما من التصورات، بغض النظر عن طريقة استيعابه وطرق التعبير عنه من طرق المؤمنين به.

القيم الثقافية:

يعتبر مفهوم القيم من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضها وارتباطا بعدد كبير من المفاهيم الأخرى كالاتجاهات، والمعتقدات والدوافع الرغبات... ويرجع هذا الغموض إلى أن المصطلح مرتبط بمجموعة من العلوم والمعارف.

لكي نعرف مفهوم "القيم" (valeurs) يجب أن يخضع التعريف لعدد من المعايير، منها أن يكون قابلا للترجمة الإجرائية، وأن يكون واضحا لجهة تميزه عن مفاهيم متقاربة مثل الاتجاهات والمعايير الاجتماعية والحاجات، وأن يكون بعيدا عن الغموض، حين نقول "أن شخصا ما لديه قيمة معينة" فإننا بهذا نصف شخصا يحتضن أو يتبنى قيمة محددة يعبر عنها بصورة مختلفة. و حين نقول " أن موضوعا ما لديه قيمة" هذا يعني أننا نتحدث عن القيمة بحد ذاتها بمعزل عن الشخص⁽¹⁾. على هذا الأساس تناول العلماء الاجتماعيين والأنثروبولوجيون مسألة القيم، فمنهم من درسها على أساس الموضوعات وما تنطوي عليه من قيمة، ومنهم من درسها كما يتبناها الأشخاص.

¹ (مصطفى دنشلي ، مقدمة إلى علم الاجتماع العام ، مكتبة الفقيه بيروت 2002 ، ص ص

و إذا كانت القيم ملهمة للأحكام بالنسبة إلى التصرفات والسلوك، فهي أيضا الأساس الضمني لأي نموذج ثقافي، فقواعد اللياقة وأصول الآداب والقواعد التي تنظم الطقوس والشعائر وكثيرا من المعايير التي تقود أفعالنا وتوجهها في حياتنا اليومية. لذلك نقول أن الارتباط وثيق بين القيم والنماذج الثقافية. تبدو العادات والأعراف من بين العناصر الثقافية الأكثر عمومية فهما بطبيعتهما استجابة لحاجات ثابتة نسبيا، وتتغير تبعا لذلك .

يتخطى مفهوم العادة الاجتماعية مسألة التكرار لعملية معينة. مفهوم العادة أضيق من المفهوم الاجتماعي لهذه الكلمة. وقد عبر " بوروديو " عن ضيق مفهوم العادة (habitude) على انه يشير "إلى عملية إنتاج الأفكار الاجتماعية، ثم إعادة إنتاجها مع تغير الظروف اجتماعية أيضا، واستمرارية هذا النشاط مع استمرارية تطور المجتمع. والتفاعل الدائم بين الاثنين أي النزوع الشخصي الاجتماعي (habitus) والمجتمع الذي يتحرك فيه هذا النزوع ما هو إلا الهاجس المعرفي أو الهم الذي يشغل المجتمع في الزمان والمكان..."⁽¹⁾

و تنقسم العادات التي يكتسبها الفرد إلى عادات فردية وأخرى جماعية :

فالعادات الفردية، ظاهرة شخصية يمكن أن تتكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع ويكاد الإنسان يكون مجموع عادات تمشي على الأرض، بل في بعض الأحيان قيمته تعتمد على عاداته فطريقة لبسه ونظافته

¹ (عاطف عطية، المجتمع الدين والتقاليد ، بحث في اشكالية العلاقة بين الثقافة والدين والسياسة ،

وكلامه ومشيته وأكله وشربه وعنايته بحاجات بدنه من الرياضة واستحمام وعقله من تهذيب وتربية وما شابه، كلها عادات فردية تسهم في نجاح المرء وانسجامه في الحياة .

العادات الفردية لا تستمر إلا لأنها تقوم بوظيفة فهي تسهل العمل المعتاد وتجعل تكراره سهلاً.

إذا نشأت عادة تبعا لظروف مشتركة في مجتمع معين ومارسها عدد كبير، فمن الممكن أن تصبح عادة جماعية. أنها مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها .

بعض العادات مفيدة للحياة الاجتماعية ويؤدي إلى تعزيز وحدة المجتمع وتقوية الروابط بين أفرادها، مثل آداب السلوك العام وآداب الحديث والمائدة وصلات ذوي القرية . وبعضها سلبي ويشيع التفرقة بين أبناء المجتمع مثل العادات الخرافية وتعادي الخمر والمخدرات، وهناك من الأسباب والعوامل ما يساعد على تقوية سلطة العادات الاجتماعية، منها صغر حجم المجتمعات وانعزالها وصرامة النظام العائلي فيها .

و لقد تحدث ابن خلدون عن أهمية العادات الاجتماعية وكيف أن الإنسان ابن عوائده لا ابن طبيعته "إن أهل البداوة أقرب الى الشجاعة من الحضرة

وأصله أن الإنسان ابن عوائده ومألوفة لا ابن طبيعته ومزاجه ، فالذي انه في الأحوال حتى صار خلقا وملكة وعادة تنزل منزلة الطبيعة الجبلية " (1) .

7- التنمية الإنسانية:

التغير حقيقة موجود في كل مستويات الوجود في المادة الحية، وكذلك في الحياة الاجتماعية فبالتغير يتحقق التوازن والاستقرار في المجتمع، وعن طريق التغير يواجه الأفراد والجماعات متطلباتهم وحجاتهم المتجددة .

إن ظاهرة التغير الاجتماعي قد أثارت كثيرا من الجدل والنقاش عند العلماء فهي تعد ملازمة للمجتمع البشري، وهي ليست ظاهرة حديثة فقد شدد انتباه العلماء والفلاسفة منذ القدم حينما أشاروا هؤلاء العلماء إلى الحقيقة والتي مفادها أن الإنسان لا يستطيع أن ينزل إلى النهر مرتين ويجد الماء نفسه جاريا فيه إذ أن نزوله للنهر في المرة الثانية لا يجد التيار المائي نفسه الذي كان فيه عند نزوله في المرة الأولى . فالتغير الاجتماعي دائم ومستمر وقد تختلف درجة التغير من مجتمع لآخر، فتجد بعض المجتمعات تمر بحالة تغير سريع وأخرى ببطء، وقد يظن الباحث في هذه الحالة أن هناك مجتمعات راكدة وأخرى متحركة ولكن الاهتمام بالتغير وسرعته يرجع إلى السرعة التي تحدث فيها المجتمعات والظروف السياسية والاقتصادية التي مرت بها المجتمعات كذلك (2) . إن النظريات

⁽¹⁾ ابن خلدون ، "المقدمة" نسخة محققة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان
⁽²⁾ عادل مختار الهواري ، التغير الاجتماعي والتنمية في الوطن العربي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1993 ، ص 43 .

السوسيولوجية الأولى كانت تخط بين مفاهيم (التغير، التطور، النمو، التقدم) أو يربط المفكرون بينها جميعا في مفهوم واحد.

وقد اظهر ايميل دوركايم Emil Durkeim - والذي يعتبر من أهم أعلام علم الاجتماع والأنثربولوجيا الاجتماعية - اهتماما بقضية التغير في العديد من كتاباته وخاصة في كتابة " تقييم العمل في المجتمع " والذي أوضح فيه كيف أدى تقسيم العمل المتزايد إلى تحول المجتمع الذي يقوم على التضامن الآلي إلى عدة مجتمعات متضامنة عضويا (1).

و تعتبر دراسة ماركس فيبير (Max Weber) لتأثير الأفكار الدينية على التطور الاقتصادي من أهم الدراسات التحليلية لظاهرة التغير، حاول ماركس فيبير تعريف علم الاجتماع باعتباره العلم الذي يحاول تحقيق الفهم التفسيري للعمل الاجتماعي بغرض الوصول إلى تفسير سببي لتطور وتأثير هذا العمل الاجتماعي (2).

إن مصطلح التغير الاجتماعي برز للإشارة إلى كل صور التباين التاريخي في المجتمعات الإنسانية على يد المفكر "أوجبرن" في كتابة "التغير الاجتماعي" سنة "1922" حيث ناقش مفاهيم التطور الاجتماعي وتحليله للعوامل البيولوجية والثقافية في التغير الاجتماعي (3).

2 (د. سليمان علي الدلمي ، أ. محمد عبد المحسن عبد الله، التغير الاجتماعي والتحديث في المجتمع العربي الليبي ، تالة للطباعة والنشر ليبيا. ط1 2001. ص 43

(²) المرجع السابق ، ص.34

(³) عادل مختار الهواري ، مرجع سابق ص 44 .

لقد اختلط مفهوم التغيير في الأحاديث العامة بمعنى النمو والتقدم والتطور واهتم علماء الاجتماع بمحاولة التمييز والفصل بين هذه المصطلحات، كل منها يتضمن معنى من المعاني يحدث عليها تبديلاً وتبايناً بمرور الزمن. لكن بالرغم من ذلك فإن كل مصطلح من هذه المصطلحات يختص بمعنى محدد خاص به.

و تمكن أهمية التمييز بين هذه المصطلحات في أنها تحاول الوقوف على نوع البناء الذي يصيبه هذا التغيير، وذلك لمعرفة ما يكمن بداخله أو خارجه من عوامل وأسباب، ولقد بُدلت محاولات تنظيرية عدة لتحديد ماهية هذه المصطلحات. فيها يتعلق بمفهوم التطور الاجتماعي فإنه يشير إلى تدرج المجتمعات في مراحل خلال فترات زمنية معينة تؤدي إلى ظهور عدد كبير من الصور البنائية في المجتمع، ويعتمد مفهوم التطور الاجتماعي أساساً على التصور الذي يفترض أن كل المجتمعات تمر خلال مراحل محددة في مسلك متدرج من البسيط إلى أكثر تعقيداً. وبذلك فإن هذا المفهوم يمتد ليشمل عملية التغيير التدريجي التي تتم في كل المجتمعات⁽¹⁾.

ويشير تقرير هيئة اليونسكو أن التغيير الاجتماعي يعني التحول والتطور والتقدم والتحول نوع من التغيير المستمر في حركته يتخذ اتجاهها واضحاً من اتجاهات أربع. فإما أن يكون إلى الأمام أو إلى الوراء أو إلى أعلى أو أسفل. والتطور نوع آخر من التغيير يأخذ صورة النمو من شكل بسيط إلى شكل أكثر

¹)Michell DUNCAN : Dictionary of Sociology، Rouledge & Kegan Paul édition – London – 1988.p 169.

تعقيدا. أما التقدم فلا يعرف سوى الاتجاه إلى الأمام بغرض الوصول إلى هدف مثالي يتخذه المجتمع ويسعى إلى تحقيقه (1).

يعني التغير الاختلاف ما بين الحالة الجديدة والحالة القديمة، واختلاف الشيء عما كان عليه خلال فترة محددة، ويعني التغير الاجتماعي التحول الذي يطرأ على البناء الاجتماعي في الوظائف والقيم والأدوار الاجتماعية خلال فترة زمنية محددة. ويعني التغير الاجتماعي كذلك التبديل أو التطور أي التحول من طور إلى طور، وهو الصيرورة أي الانتقال من صورة إلى صورة .

و التغير يتضمن معنى التغير المنشود نحو الأفضل، أي معنى التقدم والتحسين (2) .

8- التغير الثقافي:

يعتبر مفهوم التغير الاجتماعي (changement social) مصطلحا حديثا نسبيا، لكنه قديم من حيث الاهتمام بموضوعه، فكان مختلطا مع المصطلحات أخرى مثل التطور (evolution) التقدم (progress) والتنمية (development)

¹ (فادية عمر الجولاني ، التغير الاجتماعي: مدخل للنظرية الوظيفية لتحليل التغير ، دار الاصلاح للطباعة والنشر ، الدمام 1984 .ص 34 .

² (خليل أحمد خليل ، معجم مفاهيم علم الاجتماع ، معهد الإنماء العربي ، بيروت 1996 ، ط1 ، ص

والنمو (growth) . هذه المصطلحات التي بدأت العلوم الاجتماعية تميز بينها مع بداية هذا القرن، بحيث أصبح من غير الجائز الخلط في ما بينها مع الأبحاث والدراسات الاجتماعية. أما في عام 1922 ومع صدور الكتاب المعروف "التغير اجتماعي" اتخذت الدراسات في هذا الموضوع منهجا علميا.

كثيرا ما استخدم مفهوم التغير الاجتماعي ومفهوم التطور الاجتماعي كما لو كان يدلان على المعنى نفسه. والواقع أن مفهوم التطور (evolution) شهد انتشارا واسعا في الحقلين البيولوجي والاجتماعي مع ظهور نظرية تطور سلالات لداروين. وكان التطبيق الاجتماعي لهذه النظرية على يد المفكر الإنكليزي هيربرت سبنسر (H Spencer) وذلك من خلال المقارنة بين الكائن الحي والمجتمع .

كذلك في ما يتعلق بمفهوم التقدم الاجتماعي (social progress) الذي كان يعني في الاستخدام الشائع تغير المجتمع من حالة إلى حالة أفضل. وقد جاءت نظريات التقدم الاجتماعي لتفسر تغير المجتمعات من خلال تقدمها. ومن أبرز هؤلاء، الأمريكي جون بيوري (John Bury) ، الذي يرى أن مفهوم التقدم يعني أن الحضارة الإنسانية قد تطورت في الماضي، وهي تتطور في الحاضر ، سوف تستمر في التطور في المستقبل في اتجاه مرغوب. إذا مفهوم التقدم عن عملية ديناميكية تتحرك بالمجتمع نحو غاية معينة وهذا ما أدى إلى الخلط بين مفهومي التغير والتقدم الاجتماعيين. قد أشار المفكر جون إلى أن الخلط يعود إلى أن المجتمع الإنساني قد ظلّ لفترات طويلة في حالة من الإستاتيكية ساعدت عليها العزلة النسبية التي عاشتها المجتمعات القديمة وصعوبة اتصال المجتمعات

بعضها ببعض، إلى أن جاء العصر الحديث ومعهُ الكثير من وسائل الاتصال المادية والمعنوية، والتي أحدثت ثورة في عمليات التفاعل، ما أدى إلى تحطيم الحواجز التي فرضت العزلة على المجتمعات. وهكذا نشطت حركة المجتمعات بعد طول جمود لتشمل كل شيء وتحولت من الإستاتيكية إلى الديناميكية .

هناك عدة انتقادات وجهت إلى هذا الخلط بين المفهومين، ذلك أن مفهوم التقدم يختلف من مجتمع لآخر، بحسب ثقافة المجتمع ، كما أن فكرة التقدم نفسها قد تتغير بتبدل الظروف والأزمنة.و هي في كل الأحوال فكرة نسبية . فالتقدم في مجتمع ما قد يكون مختلفا في مفهوم مجتمع آخر.

و الواقع أن استخدام مفهوم التقدم الاجتماعي يواجه صعوبات منهجية، حيث يحمل معنى خط سير للمجتمع نحو الأمام، أي انه يسير في خط صاعد، في حين أن مفهوم التغير يتضمن إمكانية التقدم أو التخلف وبالتالي فهو أكثر علمية، لأنه يتوافق مع واقع المجتمعات التي ليست دائما في تقدم مستمر. و هذا لا يعني الاستغناء كلية عن استخدام مفهوم التقدم الذي يبقى متضمنا قيمة اجتماعية وإنسانية، تقوم على الاعتقاد بقدرة الإنسان على صنع أفضل شروط الحياة .

نخلص إلى أن مصطلحات التقدم والتطور والنمو لا توفر منهجيا البعد الموضوعي لدراسة عمليات التغير من الناحية العلمية ، فهي تحمل معنى قيمياً وأخلاقيا يتأثر بالمنطلقات الذاتية للدارس، في حين أن مصطلح التغير الاجتماعي يصف الواقع كما هو كائن فعلا وليس كما يجب أن يكون.

يبقى أن نطرح السؤال عن العلاقة التغير الثقافي بالتغير الاجتماعي والإجابة تقتضي الإشارة إلى النقاش حول مفهوم ومضمون الثقافة وهو النقاش

الذي كان يميز بين المظاهر المادية واللامادية للثقافة ، ودراسة التغير الثقافي تقتضي فحص كلا المظهرين ، حيث لا يمكن فصلهما، وبالتالي البحث في تأثير أحدهما في الآخر.

و بالتالي يكون التغير الثقافي هو ما يطرأ من تبدل في جانبي الثقافة سواء أكان ماديا أو معنويا ، إنه تغير يحدث في جميع نواحي المجتمع (اللغة ، الفن، العادات والتقاليد...)و على هذا يصبح التغير الاجتماعي جزءا من التغير الثقافي.

لذلك فليست جميع التغيرات الثقافية هي تغيرات اجتماعية ، بينما العكس هو جائز . ومادام التغير الثقافي هو كل ما يتغير في المجتمع ، سواء كان هذا التغير محدودا أو واسعا ، شاملا المظاهر المادية والمعنوية ، ومادام التغير الاجتماعي يتناول الجوانب المعنوية لجهة وظيفتها في البناء الاجتماعي وما يترتب عليها من علاقات وما ينتج عنها من قيم وعادات، أي جوانب لا مادية . فكل ما هو تغيرا اجتماعيا يعد تغيرا ثقافيا، وليست جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي، على الرغم من أنها قد تتراكم وتصبح مع الوقت سببا أو علة للتغيير، كما هو الأمر في دخول التكنولوجيا المتقدمة وغزوها للعديد من أوجه الحياة التقليدية .

التعامل مع البيئة التي يعيش فيها الإنسان بأنواعها المختلفة الاجتماعية والثقافية والطبيعية، يقوم على قاعدة التفاعل المستمر، ويلاحظ أن بعض هذه العلاقات تفرضها عليها "ثقافة" في المقابل يفرض "الإنسان" ثقافته على بعض عناصر هذه البيئة، ومن خلال هذا التفاعل يحدث التغير، وهناك العديد من

العوامل المساعدة أو المسببة للتغير الثقافي والاجتماعي، بعضها خارجة عن دائرة الفعل الإنساني، مثل العوامل الطبيعية والبيولوجية وأخرى ناتجة عن النشاط الإنساني مثل التكنولوجيا والثقافية وغيرها .

على الرغم من أن التغيرات في البيئة الطبيعية نادرة الحدوث، إلا أن تأثيرها عندما تحدث يكون عظيماً في حياة المجتمع، فقد تؤدي إلى الهجرة الجماعية أو إلى تغيير شامل في حياة الجماعات المتبقية، كذلك يكون للمناخ أثر كبير في نوع المحاصيل وفي الإنتاج الصناعي وفي طبيعة العلاقات الاجتماعية. ويتأثر الدخل ومستوى المعيشة في المجتمع بما تحتويه الأرض من ثروات .

إلا أن الإنسان لا يخضع للعوامل الطبيعية خضوعاً تاماً بحيث تتحكم في حياته ومصيره فبالعلم استطاع أن يطوع البيئة ويستخدم معطياتها لصالحه⁽¹⁾ .

و قد اهتم ابن خلون في مقدمته بأثر البيئة في العمران البشري، وأكد تأثير المناخ في طبيعة الظواهر الاجتماعية والنفسية للسكان. وهذه العناصر تعدّ من أبرز العوامل المحددة لنشاط الإنسان. وهي التي تؤثر في سلوكه وفي عملية إنتاجه، وما يجعل منه ممثلاً للاتجاه الإيديولوجي في التغير الاجتماعي.

لكن علماء الاجتماع والجغرافيا البشرية أكدوا في دراساتهم أن الكثير من الظواهر الاجتماعية وعمليات التغير في شتى الميادين لا يمكن أن تفسر إلا بالنشاط البشري الناتج عن التفاعل بين وعي الإنسان والبيئة الطبيعية .

¹ (عاطف عطية ، البيئة والإنسان، دراسة في جغرافية الإنسان - دار المختارات - بيروت 2002 ص 30.

و بهذا يعتبر حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم من العوامل المهمة في أحداث التغيير الاجتماعي وهذا ليس راجعا إلى أن الجماعات الإنسانية تنظم وتفرض أنواع السلوك المتوقع من أعضائها فحسب أيضا لأنها في الوقت نفسه عبارة عن وحدات تقوم ببعض الوظائف والسلوك المتوقع، فضلا عن العادات والتقاليد . ومثال ذلك أن حاجات الأسرة في المجتمع التقليدي الزراعي تختلف عن حاجات الأسرة في المجتمع المدني الصناعي، وبالتالي فإن الأسرة الريفية الكبيرة في المجتمع يمكن ان تقوم بعدة وظائف، تعجز عنها الأسرة المدنية الزوجية (الصغيرة). وينتج عن ذلك أن تتغير التوقعات الإحتتماعية بتغير النماذج والحجم وتعد البناء الاجتماعي .

كذلك يلعب "الاتصال" و"العزلة" دورا مؤثرا في التغيير الاجتماعي والثقافي، فالعزلة لا تشجع الانتشار بقدر ما تشجع الاتجاه المحافظ، ودرجات الاتصال أو العزلة نسبية، فمعظم المجتمعات البدائية تكون شديدة العزلة وكذلك المجتمعات الزراعية لذلك هي ترغب في حماية ثقافتها، وتسعى في الغالب إلى مقاومة ورفض الاتصال بالمجتمعات الأخرى .

هناك عامل الإيديولوجية بحيث يعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة، وتساندها تبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية، أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية .

و ينعكس أي تغيير يطرأ على أيديولوجية المجتمع على الظواهر والمؤسسات الاجتماعية المتعلقة بموضوع الأفكار التي تعتنقها الناس .

و قد استقطبت الإيديولوجية ودورها في التغيير الاجتماعي كتابات كثيرة منها ما كتبه كارل مانهايم (k . Mannheim) فعنده كل فكرة أما تكون طوبى، وإما تكون ايدولوجيا، وذلك يعود إلى الظرف التاريخي العام. فالطوبى ينفي تمثل المستقبل واستحضاره ، أما الأيديولوجيا عنده، فهي التفكير الذي يهدف إلى استمرار الحاضر كما هو عليه⁽¹⁾ .

أما ماكس فيبر فكان يرى أن هناك فترات تمر بالمجتمعات بفضل وجود عباقرة وأبطال، أو انبثاق فئة من الحكماء والأنبياء والمرشدين أو العلماء التكنوقراطيين، وتعكس كتاباته أهمية العوامل الفكرية والروحية في التغيير⁽²⁾.

إن أهم ما يميز الإنسان هو قدرته على الاختراع، فمند القدم اخترع الإنسان البدائي أشياء تتلاءم مع بيئته ووقته وظروفه، وعند ظهور أي اختراع فإنه يستمر كجزء من الثقافة، ولا نقصد بالاختراع ما هو مادي فحسب، بل كل تجديد أو اتجاه إلى التجديد في ميادين العلوم والفنون والنظم الاجتماعية.

و مع ذلك يمكن القول بأن التغيير التكنولوجي يصطحبه دائما تغيير اجتماعي. فالتغيير لا يحدث دون سبب يحركه ويدفعه إلى الأمام. والواقع أن البحث في أسباب وعوامل التغيير الاجتماعي عملية معقدة تثير بعض المشكلات النظرية والمنهجية، أولها مشكلة التداخل بين هذه العوامل. وعلى سبيل المثال فإن الاتصال الثقافي يعتبر احد العوامل الهامة بين إحداث التغيير. ولكن هذا

⁽¹⁾ فريدريك معنوق ، مرجع سابق ، ص ص 158 -160 .

⁽²⁾ المرجع السابق، ص 160

الاتصال يتم عن طريق أفراد يلعبون دورا داخل مجتمعاتهم. كما يربط التغير في أحيان أخرى بإشكال من التجديد الداخلي وهنا تتضافر العوامل الخارجية مع العوامل الداخلية للتغيير⁽¹⁾.

تعد العوامل الثقافية من العوامل المؤثرة في التغير الاجتماعي حيث تعمل وسائل الاتصال في اغلب بلدان العالم على نشر الثقافات، فالمجتمعات التي تقع عند مقترف الطرق، كانت وما زالت دائما مراكز للتغير .

فالالاتصال الثقافي عملية تسهم في إحداث تغير اجتماعي واسع النطاق خاصة في الثقافات المستقبلية.و يبتي تأثير هذا الاتصال في الأفكار والمعتقدات السياسية والدينية، وأساليب الحياة والتكنولوجيا وكافة عناصر الثقافة، مثل عمق الاتصال، ودرجة مقاومة الثقافة التقليدية ودور النظم السياسية في نشر الثقافة المسيطرة ومدى تعدد قنوات الاتصال⁽²⁾ .

في الخلاصة لا يمكن القول أن عوامل التغير الاجتماعي والثقافي ويمكن تحليلها بعامل "وحيد ولا حتى بالعامل الأساسي، فالواقع يبين تساند عدة عوامل لإحداث التغير. فتطور الاقتصاد وعملية التصنيع مثلا تحتاج إلى توافر الأيدي العاملة المدربة وتحتاج إلى توافر المواد الخام وإلى توافر التكنولوجيا وقادة مخلصين ، وإلى أيديولوجية دافعة وموجهة، بحيث تتفاعل مجمل هذه العوامل وتتساند لإحداث التغير. وقد تختلف قوة أحد العوامل تبعا لاختلاف المرحلة

¹ د. دلال ملحس استثنائية ، التغير الاجتماعي والثقافي، دار وائل للنشر والتوزيع ، الاردن 2004 ط1 ،ص 45 .

² المرجع السابق ، ص 50 .

والظروف، فليست كلها على الدرجة نفسها من الأهمية، لذلك هي تتميز بالنسبية تبعاً لاختلاف الزمان والمكان والظروف المحيطة.

6. الممارسة الثقافية:

يقصد بالممارسة الثقافية تلك الأنشطة الاجتماعية والثقافية والترفيهية المختلفة التي يمارسها الإنسان بكيفية حرة وتطوعية ، خارج أوقات العمل المعتادة ، مع جماعة معينة من أمثاله.

و قد دفعت الحياة الصناعية المعقدة الدول إلى الأخذ بأسلوب النشيط الثقافي ، حيث أن الفرد يحتاج إلى ممارسة أنشطة وهوايات تشعره بالاستقرار والصحة النفسية. وبالنظر لكون مدننا تزداد تعقيدا نتيجة عوامل متداخلة ، أبرزها ارتفاع نسبة التحضر وطموحات الأفراد ورغباتهم ، بالإضافة إلى رياح العولمة ، فقد اتخذت الدولة الجزائرية على عاتقها إنشاء دور الشباب والمؤسسات الثقافية ودعمتها بالإمكانيات المادية والبشرية التي تمكنها من لعب دورها في إثارة المبادرات الفردية ، وفي تعزيز التواصل بين مختلف الشرائح الاجتماعية المتواجدة داخل المجتمع ، مما يساعد على تدعيم الحوار والتواصل بين مختلف فئات المجتمع ، وبالتالي توفير مناخ يشعر فيه المواطن بالانتماء والأمن والاستقرار.

إن الممارسة الثقافية في الوسط الحضري في ظل مجتمع المعرفة يعد مدخلا هاما لتسليط الأضواء على المشهد الثقافي والاجتماعي في عالم جد متحول- بين الأجيال وخاصة لدى الشباب باعتبار هذه الفئة تشكل وزنا ديمغرافيا هاما والأكثر اقتدارا في الانخراط في ظل المنظومة الجديدة التي

بدأت تتشكل رهاناتها في العديد من المجالات الاجتماعية المختلفة لتظهر ملامحها على أنماط السلوكيات في اتجاه التكيف مع متطلبات المرحلة.

يرتبط موضوع الممارسة الثقافية والاجتماعية من المنظور السوسيولوجي بمحددات اجتماعية تنحصر في تعامل الأفراد مع ما يتاح من مادة ثقافية لا بمعناها الأنثروبولوجي بل بمعنى التعامل مع المادة الثقافية حيث لم تعد الثقافة اليوم خاضعة لوسائل تقليدية في النشر والانتشار بل أصبحت متأثرة بالتكنولوجيات الحديثة.

هي كل النشاطات الحياتية، المعنوية والمادية، الفردية أو الجماعية التي تخضع لمجموعة علاقات.

- علاقة الإنسان بربه.
- علاقة الإنسان بالكون.
- علاقة الإنسان بالإنسان.
- علاقة الإنسان بالطبيعة⁽¹⁾.

وهذه العلاقات تخضع لنظم اجتماعية محددة، وهي تعرف بأنها كليات ثقافية أساسية منظمة وهادفة تتكون من قوانين وقواعد ومثل عليا مدونة وغير مدونة، وتتكون من الأدوات والوسائل التنظيمية، وتحقق نفسها اجتماعيا، في الممارسات الموحدة والمقننة والشرعية، وفرديا، في الاتجاهات

¹ طرشاوي بلحاج، "تأثير الممارسات الاجتماعية على العمران" رسالة لنيل شهادة الدكتوراه قسم الثقافة الشعبية شعبة الفنون 2007

والسلوك التعودي للأفراد ويقوم الرأي العام على دعمها وتنفيذها بصفة رسمية وغير رسمية عن طريق الهيئات الخاصة التي ترعاها⁽¹⁾.

7 . الشباب:

مفهوم الشباب كمفهوم الثقافة من المفاهيم التي يصعب تعريفها أو تحديد معانيها بدقة. وفي هذا الإطار، لا يحق تجاوز أو إغفال أن الشباب من الفئات الاجتماعية العريضة في أي مجتمع. ومن الخطأ التعامل مع هذه الفئة على أنها وحدة متجانسة ومنسجمة ومتساوية. بل إنها كتلة تتباين من فئة لأخرى ومن مجتمع لآخر ، بحسب المستوى التعليمي والثقافي والوضع الاجتماعي والاقتصادي، ليس فقط بالنسبة لهؤلاء الشباب، ولكن أيضا، بالنسبة للمجتمع الذي يعيشون فيه⁽²⁾.

أما فيما يعود لمفهوم الثقافة، فإن عددا كبيرا من الباحثين يعتبرون بأن الثقافة سلوك يكسبه الفرد عن طريق التعليم. إلا أن عالم الأنثروبولوجيا المشهور تايلور، كان يرى بأن الثقافة، إذا فهمت بالمعنى الإثنوغرافي الواسع، فهي: " ذلك

⁽¹⁾ محمد التريكي وخالد بوريد: "المعمار والممارسة الاجتماعية"، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية، تونس، 1989. ص 10.

⁽²⁾ "الشباب العربي ورؤى المستقبل"، وهو كتاب مشترك ، صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة : "المستقبل العربي" رقم 48 بيروت 2006 .

الكل المعقد الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعرف، ومختلف القدرات التي يكتسبها الإنسان من المجتمع باعتباره عضواً فيه"⁽¹⁾.

أما الأستاذ مالك بن نبي فيقدم تصوراً شاملاً لمفهوم للثقافة ، بقوله : "هي مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه .. فهي المحيط الذي يعكس حضارة معينة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر .. والثقافة هي ذلك الدم في جسد المجتمع ، يغذي حضارته ويحمل أفكار الصفوة كما يحمل أفكار العامة، وكل من هذه الأفكار منسجم في سائل واحد من الاستعدادات المتشابهة والاتجاهات الموحدة ، والأذواق المتناسبة"⁽²⁾.

ويرى الدكتور "التركي الحمد" انه لو استعرضنا مختلف تعريفات مفهوم الثقافة الذي أورده علماء السوسيولوجيا والأنثروبولوجيا أو مالك بن نبي أو الجابري أو اليونسكو ، فإن تعريف الجميع ، ورغم الإختلاف النسبي ، لا يخرج في خلاصته عن القول بأن الثقافة عبارة عن تلك المعايير المشكلة لنظام العقل والسلوك في

(1) السيد عبد العاطي السيد : "صراع الأجيال ، دراسة في ثقافة الشباب" دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 1990 ص 45 .

⁽²⁾ محمد رمضان ، " الشباب ثقافة " وقائع الندوة الدولية التي انتظمت ببيت الحكمة يومي 11 - 12 أكتوبر 2010 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس وللبحث أكثر أنظر - مالك بن نبي : "مشكلة الثقافة" ، الطبعة الثانية ، بيروت دار الفكر 1959 ص 71- 75 .

مجتمع ما، أو لدى جماعة ما ، والتي تحدد نظرة الفرد والجماعة لنفسها وللآخرين، والكون من حولها ، وبالتالي طبيعة السلوك (1).

نستنتج مما سبق، أن مفهومي الشباب والثقافة يخضعان لمنطق التغيير الذي يخضع له المجتمع ككل. وفي نفس الوقت، هناك من الأوجه، فيهما معا، ما يجعلهما يخضعان أيضا لمنطق الثبات والاستمرارية.

مفهوم الشباب :

الشباب كلمة تبدو مجرد "كلمة" (2) ، بسيطة ، يسهل توظيفها في الواقع من دون أن تطرح أي إشكال ، بل يمكن نفي وجودها أصلا (3) ، إلا أن الحقيقة عكس ذلك ، فالكلمة لا ترتبط بمفهوم محدد، وقد اكتسبت من تعدد استخدامها في مجالات العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، وفي مجالات الخطب السياسية والدينية، وكثيرا من اللبس في المعنى، والغموض في المقتصد (4).

¹ التركي الحمد : "الثقافة العربية في عصر العولمة" ، الطبعة الثالثة ، دارالفكر للنشر بيروت 2003 ص 15-16.

²) Bourdieu Pierre : "La jeunesse n'est qu'un mot" une question de sociologie de minuit ، ED Paris، 1984، P3.

²) MAUGER G. : « Fruit de la passion، les 20-30ans se mettent à table »، Les éditions ouvrières. Paris، 1986، P7.

³ د. المنجي الزبيدي : "مقدمات لسويولوجيا الشباب" ، الكويت ، المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب عالم الفكر ، العدد 3 المجلد 30 ، يناير - مارس 2002 ، ص28.

لقد حظي مفهوم الشباب اهتمام العديد من علماء النفس والاجتماع كما تعددت محاولات وجهود المشتغلين مع الشباب لتوضيح ماهية الشباب وتباينت فيما بينها فمنها ما يوضح مفهوم الشباب وفق المعيار الزمني " السن " ومنها ما يتناوله من خلال الخصائص والحاجات وكذلك نجد من يحدد مفهوم الشباب في ضوء البلوغ الجنسي والنمو الجسمي ومع ذلك فان المفهوم يلقي مقبولاً هو أن الشباب مرحلة يكون فيها الشباب أو الإنسان قادر مستعد على تقبل القيم والمعتقدات الجديدة حيث أصبحت لهم مطالب قد لا تتصل بإشباع حاجات أساسية ولكنها تتصل بالتأكيد بإشباع حاجات اجتماعية محلية يتطلب إشباعها عادة إعادة صياغة النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي بكامله. يعتبر علماء السكان هم أول من حاول تقديم تحديد لمفهوم الشباب وفي هذا التحديد نجدهم قد استندوا إلى معيار خارجي يتمثل في " السن " أو " العمر " الذي يفيضه الفرد في التفاعل الاجتماعي.

أما علماء الاجتماع فلهم تحديدهم العلمي والموضوعي الذي يؤكد انه بالإضافة إلى التحديد العمري السابق فإن فترة الشباب تبدى حينما يحاول بناء المجتمع تأهيل الشخص لكي يحتل مكانة اجتماعية ويؤدي دوراً أو أدواراً في بنائه .

وتذهب هذه النظم العقلية أيضاً إلى انه إذا اصطلحنا على تسليم دورة حياة الإنسان بين الطفولة والشباب والرجولة والشيخوخة فان المرحلة الأولى في غالبها ذات طابع بيولوجي بينما الثانية بيولوجي نفسي اجتماعي وتعتبر الثالثة امتداد بهذه الاكتمال إلى أقصى مستويات النضج وهو المستوى الذي يبدأ في التحلل خلال المرحلة الرابعة حيث الشيخوخة والمرحلة الثانية هي مرحلة الشباب وهي مرحلة المعاناة لأنها مرحلة الاكتمال والاكتمال مرحلة فيها إضافة وتولد وذلك يعنى أن الشخصية الشابة تعتبر بناء يتكون من مجموعة من العناصر البيولوجية.

عادة ما يطلق الكبار نعوتاً وصفات على الشباب، وهم عندما يتداولون حول هذه الفئة الاجتماعية، فهم لا يرون فيها سوى الجوانب السلبية والقدرية. فهم لا يتحدثون إلا عن مشاكل الشباب وعن تمردهم وانفعالاتهم وعن أحلامهم الزائدة وطموحاتهم غير الواقعية، عن عنفهم وعدوانيتهم وانحرافهم، أو عن مخالفتهم للأعراف والتقاليد، وانتهاك القيم الدينية والأخلاقية والاجتماعية.

هذا هو الخطاب السائد حول الشباب. لكن، كيف يمكن تناول هذه الفئة الاجتماعية بالدراسة والتحليل، دون السقوط في التبسيط أو في الخطاب الضحل والديماغوجي؟ خاصة وأنها، في نفس الوقت، ذات أهمية كبرى، والتي تعتبر بالنسبة للبعض الآخر، هي عماد المجتمع وآمال المستقبل. كما أن هذه المرحلة تمثل لكل واحد منا، تلك المرحلة المشرقة من عمرنا. لقد عشنا ولا يزال البعض منا يعيشها، بأحلامها وتخيلاتها، بمشاكلها ومعاناتها. وكل واحد منا، عندما يخلو بنفسه يردد قول الشاعر وبحسرة: " ألا ليت الشباب يعود يوماً، لأخبره بما فعل المشيب". لقد مثل ولا زال يمثل لنا الشباب، تلك الصورة الجميلة التي كنا نرسم بها معالم المستقبل، ونخطط لتجاوز الواقع الذي لم نكن نقبل به أو نرتاح له؟

ويقول علي شعباني في مقال له : إن مرحلة الشباب ليست ثابتة ولا منسجمة، وهناك من يعتبرها مرحلة عائمة وغير واضحة: فمن حيث السن، نحن شباباً بالنسبة لمن هم أكبر منا سناً. وكباراً أو شيوخاً بالنسبة لمن هم أصغر منا سناً. وبالاعتماد على القوة البدنية، فنحن شباباً ما دمنا أقوىاءً بدنياً أصحاء جسدياً، وكهولاً أو شيوخاً كلما لم تكتمل هذه القوة أو وهنت بفعل الكبر والتقدم في السن. أما من حيث الاتجاهات الفكرية والإيديولوجية، فللسباب الأحلام والحب

عدم تقدير المسؤوليات، وللكبار والشيوخ، الحكمة والنضج. وأما بالنسبة لتقسيم العمل: للشباب التكوين أو البطالة، ولل كبار العمل وتقلد المسؤوليات (1).

لكن، مهما يكن، تبقى للشباب قوة وجوده وفاعليته وأهميته على الكثير من الأصعدة، سنحاول في دراستنا الميدانية، إبراز أهمية هذه الفئة الاجتماعية ومختلف أدوارها ووظائفها من خلال الممارسات الثقافية لها في المجتمعات المعاصرة على وجه العموم والمجتمع الجزائري على وجه الخصوص.

حدد كل علم من العلوم الإنسانية مفهوم الشباب من منظوره الخاص وإن اختلف الباحثون حول بداية ونهاية مرحلة الشباب العمرية فالبعض اهتم بالنمو الجسمي ووظائفه وآخرون يهتمون بالنمو النفسي وفريق ثالث يركز على تغيير الوضع الاجتماعي والأدوار الاجتماعية. ويعتبر علماء السكان هم أول من حاول تقديم تحديد لمفهوم الشباب مستنديين في ذلك إلى معيار السن أو العمر الذي يقضيه الفرد في أتون التفاعل الاجتماعي مع إختلافهم في تحديد بداية أو نهاية هذه المرحلة حيث يؤكد بعضهم على ان الشباب من هم دون سن العشرين محددين بذلك نقطة النهاية دون تحديد نقطة البداية وثمة من يؤكد أنهم يقعون في الشريحة العمرية ابتداء من سن الخامسة عشرة إلى سن الخامسة والعشرين بينما يذهب آخرون إلى أن الشباب هم من يزيدون على سن السادسة عشرة باعتبارهم المؤهلين للانضمام إلى قوة العمل. أما علماء الاجتماع فيميلون إلى تحديد مرحلة الشباب على أنها تبدأ مع محاولة المجتمع تأهيل الشخص لإحتلال مكانة اجتماعية وممارسة دوره في مسيرة البناء والتنمية وتنتهي حينما يتمكن الفرد من احتلال هذه المكانة وممارسة الدور المنوط به مميزين في ذلك بين السياقات

(1) علي شعباني، "الشباب وثقافة الشباب بين التغيير والثبات"، وقائع الندوة الدولية التي انتظمت ببيت الحكمة يومي 11 - 12 أكتوبر 2010، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس.

الإجتماعية التي يحيا فيها الشباب بمعنى أن المجتمعات النامية تكاد تشهد غيابا لمرحلة الشباب أو ينتهى الحد الأقصى فيها سريعا قبل المجتمعات المتقدمة التي تولى مرحلة الشباب أهمية كبيرة بوصفها مرحلة التدريب والإعداد للمسئولية وتحمل الأعباء التي تتصل بهذه المجتمعات وتتميتها اجتماعيا واقتصاديا .

ومن جانبهم يرى علماء البيولوجيا أن مرحلة الشباب هي التي ترتبط بنمو البناء العضوى الفيزيقي من حيث الطول والعرض أو من حيث نمو واكتمال الأعضاء فى الجسم فتنتهى مرحلة الشباب باكتمال هذا النمو وإن بدأت ببروز مجموعة التغيرات التي تحدث فى البناء البيولوجي للكائن الحى .

وأخذ فى الإعتبار تلك الرؤى جميعها يمكن القول بأن مرحلة الشباب هي مرحلة تغير كمي ونوعى فى ملامح الشخصية تتميز بدرجة عالية من التعقيد إذ تختلط فيها الرغبة فى تأكيد الذات مع البحث عن دور اجتماعى والتمرد على ماسبق انجازه . إلى جانب الإحساس بالمسئولية والرغبة فى مجتمع أكثر مثالية مع السعى المستمر إلى التغير . وبذلك فإن هناك من العناصر ماإن توافر فانه يعكس ملامح مايمكن أن يسميه البعض بالشخصية الشابة ومن هذه العناصر :

العنصر البيولوجي . والعنصر الإجتماعي الذى يتزود فيه الفرد ببعض الحاجات الإجتماعية التي يسعى لإشباعها جنبا إلى جنب مع حاجاته البيولوجية الأساسية . والعنصر السيكولوجي الذى يعنى مجموعة الخبرات التي يكونها الشخص نتيجة التعامل مع العالم الخارجى . إلى جانب اتجاهاته حول هذا العالم . وأخيرا المكون أو العنصر الثقافي والذي يتم من خلاله ضبط حركة الفرد فى السياق الإجتماعي.

(أ) ماذا يقصد بالشباب ؟

يستعمل مفهوم "شباب"⁽¹⁾ (ج. شاب) وبالغ ومراهق للدلالة على نفس المدلول. فحين نقول فلان شاب أو بالغ مراهق فهذا يعني أنه شخص وصل إلى فترة عمر تقوده من نهاية الطفولة إلى بداية سن الرشد. فالمرافقة هي مجموعة التغيرات الجسدية والنفسية التي تحدث بين مرحلة الطفولة وسن الرشد. والبلوغ يركز على الجانب الحيوي للمراهق وعلى الخصوص ظهور علامات نضج الجسد والعقل. والشباب هو المظهر الاجتماعي للمرافقة، ويعرف بكونه فترة النمو التي يتمكن فيها الكائن من كل وسائله وإمكانياته.

وقد شاع عند علماء الإسلام والأطباء استعمال مفهوم "بلوغ"، وشاع عند علماء النفس استعمال مفهوم "مرافقة"، بينما انتشر تداول مفهوم "شباب" بين علماء الاجتماع والأخلاق. وإن حاجة الباحثين لدراسة علمية موضوعية للشباب تستوفي شروط المعرفة العلمية، أدت إلى ظهور علم جديد متخصص هو "علم الشباب"⁽²⁾، وهو فرع المعرفة الذي يدرس الشباب من الناحية النفسية والحيوية والاجتماعية، ويحاول فهم وتفسير مختلف التغيرات والتطورات والمشاكل التي قد تعترض الشباب في طريقه نحو الرشد والاكتمال.

والشباب " كلمة" أصلها " شبيب" وتعني الفتاء والحدائثة، والفعل شبّب، والجمع شابات وشوائب، و"الكلمة" ولن لم ترد في القرآن الكريم ، فإن لها فيه مرادفات عدّة منها :

- "فتى" ، ومثناه فتوان وفتيان والجمع فتيان وفتية وفتوة وفتو، قال تعالى :

¹) Maurice Debesse : "L'adolescence" P.U.F2007 . p. 7

²) DMS III Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux. Masson, Paris. (V 62-89)

﴿ تَخُنُّ نَقْصٌ عَلَيْكَ بِأَهْمُ بِالْحَقِّ إِيَّاهُمْ فَتَبِعُوا بِرِهْمٍ وَمَرْدَنَاهُمْ هُدًى (13) ﴾ سورة الكهف.

وتعنى كلمة "فتى" (1)

- الشاب الحدث كما جاء في المنجد
- الكامل الجزل من الرجال
- الجدّ والامتناع عن العمل : " إذا فقيت الجارية منعت من اللعب مع الصبيان والعدو معهم ، وخدرت وبشرت في البيت "
- القوة والبيان، الفتيا : تبين المشكل من الأحكام فكأنه يقوى ما أشكل بيانه ويصير فتيا قويا واصله من الفتى وهو الحديث السلم.

- " صبى " قال عزّ وجلّ في كتابه الحكيم : ﴿ يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَأَنْبِئْهُمْ الْحُكْمَ صَبِيًّا (12) ﴾ سورة مريم.

وتدل كلمة "صبا" ومنها "صبى" على الخروج عن دين القبيلة ويقال: "تصبى المرأة أي خدعها وفتتها" (2).

- "مراهق" قال ابن فارس : "الراء والهاء والقاف أصلان متقاربان، فاحدهما : غشيان الشئ، والآخر : العجلة والتأخير فأما الأوّل فقولهم ورهقه الأمر : غشيه ... قال الله جلّ ثناؤه :

﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۚ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَسْرٌ ۚ وَلَا ذُلٌّ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) ﴾ (سورة يونس).

¹ لسان العرب لأبن منظور ، دار بيروت 1994 ، مادة فتا، ص 1051.

² المصدر نفسه ، مادة صبا ، ص 407-409

والمراهق كما جاء في المنجد هو الغلام الذي قارب الحلم. وجاء في مختار الصحاح والعق الغلام فهو مراهق مراهق أي قارب الاحتلام... وأرهق القوم الصلاة : أخروها حتى يدنو وقت الصلاة الأخرى ، والرّهق : عجلة في كذب وعيب " (1) والأصلان اللذان تدور حولهما هذه المعاني لهما صلة بمصطلح " المراهقة (2). وتعنى كلمة " المراهق" ومنها " المراهقة" الرجل في المتهم في دينه، والرّهقة هي المرأة الفاجرة.

وقد وردت مادة (رهق) في القرآن الكريم في نحو ثمانية مواضع (3) وتكرر مضارع رهق الثلاثي المجرد في نحو سبعة مواضع ، منها :

قوله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَسْرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (26) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ مِّمَّا كَسَبُوا ذِلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ غَاصِبٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (27) ﴾ (سورة يونس).

وجاءت مادة (رهق) مصدرا في قوله تعالى : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يُعُودُونَ رِجَالًا مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا (6) ﴾ (سورة الجن) ، وقوله عز وجل : ﴿ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا الْهُدَىٰ آمَنَّا بِهِ فَمَنْ يُؤْمِنُ بِرَبِّهِ فَلَا يَحَافِ بِحَسَابٍ وَلَا رَهَقًا (13) ﴾ (سورة الجن)

¹ معجم مقاييس اللغة ابن فارس دار الفكر (2 / 451)
² محمد بن عبد الله الدويش : "تربية الشباب - الأهداف والوسائل" - الطبعة الأولى، الرياض دار الوطن للنشر والتوزيع 1423هـ، 2002، ص20.

³ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - باب الرء - مادة رهق - مجمع اللغة العربية - نقلا عن د. محمد السيد محمد الزعبلوي "تربية المراهق بين الاسلام وعلم النفس"، الطبعة الرابعة ، الرياض، مؤسسة الكتب الثقافية ، مكتبة الثوبة، ص 16.

وجاء في لسان العرب معاني عدّة للرهبق منها : الكذب ، والخفة ، والحدة ، والسفه والتّوك ، والتهمة ، وغشيان المحارم وما لا خير فيه ، والعجلة ، والهلاك (1) ... ولعل الرهبق في اسوء صورهِ يعنِي الضلال والقلق والحيرة .. الرهبق الذي يركن معه القلب البشري إلى عدوه، ولا يعتصم بحبل الله ، فينا له الوهن ، وقلة الطمأنينة والسكينة والأمن (2) . والرهبق هو الطغيان والزيادة ، وذلك من خصائص الحياة الإنفعالية للمراهق.

وما يجب التأكيد عليه في هذه المسألة أن المراهقة ذات أصل عربي ، وفعلها الثلاثي رهبق - فعل متصرف- والمراهقة مصدر للفعل الثلاثي المزيد بالألف (راهق - مراهقة) جاء الفعل راهق في السنة النبوية الشريفة ، وهذا الفعل المشتق يتميز بكثرة معانيه وتنوعها ، ويغير علماء اللغة الفعل رهبق ب : السفه والكذب وغشيان المحارم وركوب المخاطر وحمل الغير على ما يكره والعجلة وهذه المعاني قد تجتمع في المراهق الذي تسوء تربيته (3) .

نقصد بمفهوم "شباب" في هذه الدراسة ذلك الشباب الذي وصل سن البلوغ الجسدي واكتسب القدرات والإمكانات النفسية اللازمة، لأنها تقع بين الطفولة وسن الرشد التي هي فترة تأكيد الذات بالنسبة للشباب وتشمل المراهقة والبلوغ.

عندما نتحدث عن الشباب، فالمسألة إذن، تتعلق بمرحلة النمو الجسدي والنفسي والعقلي والاجتماعي لهذه الفئة. إن الشباب يتميز بالحركة والتجدد والتغير، إلا أن كل هذا لا يمكن أن يتم في تجانس وانسجام. فالحركة قد تكون

¹ ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر ، المجلد 10 ص 128- 131
² سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، الطبعة الثانية عشرة ، جدة ، دار العلم الطباعة والنشر، الجزء السادس، 1406هـ، 1986، ص 3728.
³ د. محمد السيد محمد الزعبلوي، المرجع السابق، ص 19.

سريعة أو بطيئة، والتجدد قد يكون عميقا أو سطحيا، والتغير قد يكون شاملا أو جزئيا. وقد تختلف درجة كل ذلك، من عصر إلى عصر ومن جيل إلى آخر، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر. والشباب من الفئات الاجتماعية السريعة التآثر بالظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية السائدة في المجتمع الذي يعيشون فيه، كما يتأثرون بما يقع في المجتمعات الأخرى القريبة أو البعيدة منه، بفعل آليات التأثير الكثيرة، والتي أصبح دورها قويا في العصر الحاضر.

ومن أعمق التغيرات التي تهم شباب المجتمعات المعاصرة، إطالة مرحلة الشباب، تحت ضغط التحولات المورفولوجية وبفعل التحولات الثقافية. وهكذا فإن الدخول إلى مرحلة الإنتاج والاستقلال المادي، لا يياشرها الشباب اليوم، إلا في فترات متأخرة عما كان عليه الأمر في السابق.⁽¹⁾

وتزيد هذه التغيرات عمقا، كلما اقتربنا من جنس الشاب، لأن الاختلاف يكون واضحا بين أن يكون الشاب ذكرا أو أنثى، من كونه ابنا لعائلة ميسورة أو لعائلة فقيرة. فمرحلة الشباب هذه قد تكون قصيرة، عند الفتيات من الشباب، وتكون أطول منها لدى الذكور. وهي قصيرة عند أبناء الطبقات الفقيرة وفي البوادي، وأطول منها لدى أبناء الطبقات الميسورة وفي المدن.⁽²⁾

¹⁾ Olivier Galland : **Sociologie de la jeunesse** ; ed. A. Colin Paris 1997 (P 140)

Arles . ed. Actes-sud ، Voir aussi A. Cavalli : **L'allongement de la jeunesse** - 1993

²⁾ علي شعباني ، مرجع سابق ص 143

يرتبط الشباب بثقافة خاصة بهم تعكس مجموعة القيم والاتجاهات والعلاقات والأساليب السلوكية وغيرها من الأنماط الثقافية التي تعبّر عن فلسفتهم في الحياة وعن العالم الخاص بهم .

والواقع أنّ هذا المنظور لثقافة الشباب ينطوي على مفهوم الثقافة الفرعية : وهو المفهوم الذي اعتمدته الدراسات العلمية والسياسات الحكومة وغير الحكومية عند مناقشة قضايا الشباب واتجاهاتهم أو مشكلاتهم . ولقد تهب " فورد" إلى القول بان الثقافة هي السلوك المتعلّم لحل المشكلات ، واعتمد " كوهن" على فكرة " حل المشكلات " لتحديد طبيعة الثقافة الفرعية وأبعادها .

إن التطور التكنولوجي المعاصر وما صاحبه من أزمات إجتماعية ثقافية حادّة أثر في تشكيل ثقافة الشباب، وأصبحت الأفعال التي تمارسها هذه الفئة الاجتماعية تنطوي على أسلوب حياة معقّدة ، مثقل بالقيم المستحدثة ، وهذا ما يفسر وجود علاقة بين الثقافة الفرعية للشباب والمشكلات التي أفرزتها العولمة : الإرهاب ، المخدرات ، التهريب ، الشغب والعنف .. إلخ (1).

واليوم لا يمكن أن ننكر أن أغلبية الشباب الجزائري يعيشون ثقافة غير ثقافتهم الأصلية، ثقافة أملتها المؤسسات المالية والإعلامية العالمية المهيمنة ، وسخرت كل جهودها لتفكيك الثقافة التقليدية التي يرى فيها الإنسان الجزائري إحساسا بالطمأنينة وثقة بالمستقبل ، ومن تمّ التأثير في توجيه عقول الشباب تحت ستار الفنون والعلوم والتنوع الثقافي (2) ... الخ

¹ محمد رمضان، الشباب الجزائري و ثقافة الهجرة الغير شرعية،و قائع الندوة الدولية التي انتظمت ببنت الحكمة يومي 11 و 12 أكتوبر 2010 ص 230

² (رشيدة برادة : "المدرسة المغربية كما يراها المراهقون الشباب" الطبعة الأولى 2009 - ص 34.

إن تركيز الشباب الجزائري على ثقافة العولمة أدى إلى تشويش عقولهم ، ف شعروا بالاغتراب وانفصلوا عن ثقافتهم الأصلية ، وأصبحت اهتماماتهم تنصب حول ممارسة أي فعل وفي اعتقادهم أن يسكن رغباتهم ويحقق آمالهم وطموحاتهم ... وتبقى الهجرة غير الشرعية شاهدة على ممارسة شباب جزائريين للظاهرة ، وهي ثقافة فرعية جانحة مشتقة من الواقع الذي فرضته العولمة على المجتمع الجزائري بعد المعركة التي خاضها ضد الإرهاب خلال العقد الأخير من القرن الماضي وخرج منتصرا معافيا⁽¹⁾.

سادسا: البحوث و الدراسات السابقة:

إن الدارس لظاهرة تأثير الممارسات الثقافية على الوسط الحضري ، يجد نفسه أمام العديد من الدراسات في مجال علم الاجتماع الحضري أو الأنثروبولوجيا الحضرية ، و عليه فإن الاستفادة من هذه الدراسات ، و خصوصا فيما يتعلق بالمتغيرات التي تناولتها و المناهج التي اتبعتها لبحث تلك المتغيرات ، و كذا النتائج التي توصلت إليها، تعد من الأمور الهامة التي يجب مراعاتها في الدراسة الأنثروبولوجية للمجتمع. لتحقيق ذلك سوف نقوم بتقديم صورة تحليلية لمجموعة من الدراسات التي تتصل بدرجة أو بأخرى بموضوع دراستنا الحالية، و قد روعي في اختيارنا لهذه الدراسات بعض الاعتبارات و منها:

- اختيار بعض الدراسات التي لها علاقة بموضوع الممارسات الثقافية في المجتمع و لو من جانب عنصر واحد فقط.
- اختيار بعض الدراسات التي قام بها علماء الاجتماع و الأنثروبولوجيا في العالم الغربي عموما و في الولايات المتحدة على وجه الخصوص قصد

⁽¹⁾ رمضان محمد ، "المرجع نفسه" ص

معرفة مدى مطابقة النتائج الاجتماعية للممارسات الثقافية و التي تشكل محور دراستنا الحالية . في العالم الغربي لتمثيلها بمجتمع الدراسة إلى حد ما.

- اختيار بعض الدراسات التي حاولت البحث في طبيعة العلاقات في المجتمع في بعض البلدان العربية (تونس و المغرب) لكونها أكثر قربا ، و ارتباطا بظروفها و طبيعة المجتمعات التي أجريت عليها من ظروف مجتمع الدراسة الحالية.

- قلة الدراسات المتخصصة التي تناولت موضوع دراسة المدن و الممارسات الثقافية في الوسط الحضري (خصوصا على شريحة الشباب) في الجزائر على النحو التي سوف نتناوله هذه الدراسة. و حتى تلك الأعمال التي يمكن أنها قد تناولت هذا الموضوع. و لو بطريقة مقارنة - لم نتمكن من الاطلاع عليها ، لأن أغلب قد نوقش خارج الوطن و على الأخص في فرنسا أو سوريا، و مع ذلك فإنه يمكن الإشارة إلى بعض الدراسات التي اهتمت بهذا الموضوع على نحو من الأنحاء.

- و يمكن إجمال الدراسات السابقة التي استعنا بها فيما يلي:

بالإضافة للمراجع الاجنبية التي تطرقنا لها في هذا البحث خاصة في الجانب النظري منه ، إلا أنه قد ركزنا خصوصا على دراسات مغاربية ساعدتنا في جانبنا الميداني على اعتبار أن هذه المجتمعات قريبة من مجتمعنا الجزائري في عدة اعتبارات .

و كانت عبارة عن:

دراسات تونسية: من الدراسات التي اعتمد عليها بحثنا الحالي هو ما توصل

إليه المركز الوطني للشباب التونسي حول الممارسات الثقافية

والتعبيرات المستحدثة لدى الشباب حيث توصلت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات العامة و المفيدة التي تقيد بحثنا ، و من خلال هذه الأفكار إستطعنا أن نعد استمارة البحث التي اعتمدنا عليها في الدراسة الميدانية.

هدف المرصد إلى استجلاء حقيقة هذه الممارسات في إطار التحولات السريعة التي يمر بها المجتمع التونسي و ما يشهده من حركية و انفتاح ينبآن بتغير مختلف التعبيرات السوسيو ثقافية.

قد تمّ التركيز على موضوع الممارسات الثقافية لدى الشباب الحضري مع توجه مقصود نحو الممارسات المستحدثة بغية التعرف على خصوصية الممارسة الثقافية عند الشباب و مرجعياتها. وتنقسم الاستمارة إلى عدة محاور أساسية تتعلق بالممارسات والتعبيرات الثقافية وهي:

-الممارسات الموسيقية

-الممارسات السمعية البصرية والاتصالية

-المطالعة

-ممارسات الترويح

-الانخراط في النسيج الجمعياتي

-الممارسات الثقافية المستحدثة

ولقد توصلت هذه الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات العامة المفيدة ، و لقد خلصت في كون الشباب التونسي، متفاعل مع عصره و حركية مجتمعه النامي.

دراسات مغربية: و من الدراسات المغربية فقد اعتمدنا عليه في هذا البحث هو ما جاء به الدكتور علي شعباني في عمل له حول "الشباب و ثقافة الشباب

بين الثبات و التغيير " حيث اعتبر الشباب ، دوليا ، محليا ، ودائما الدعامة الرئيسية لاعادة إنتاج النخب الاقتصادية و السياسية والفكرية والثقافية والعلمية كما يشكل الركيزة الفعالة لاستثمار التراكمات بين الأجيال إستثمارا أمثل...و من خلال دراسته لواقع الشباب المغربي الذي يعتبره غير مستقر على الرغم من المكانة الهامة الذي يحتلها في المجتمع توصل الى عدة استنتاجات ، وقد ارتبطت هذه الأخيرة بالتعبير اللغوي و السلوك الثقافي للشباب في سياق الثقافة العامة السائدة في المجتمع... و يصرح الدكتور شعباني أنهم ، و يقصد الشباب المغربي على وجه الخصوص و المغاربي على العموم، بصدد نحت " هوية ثقافية خاصة" لا علاقة لها بالقيم التي تحتويها ثقافة المجتمع.

أما الدراسات الجزائرية فكانت دراسة مصطفى بوتفوشيت حول " العائلة الجزائرية ، التطور و الخصائص الحديثة" دراسة باللغة الفرنسية قام دمري أحمد بترجمتها إلى اللغة العربية في سنة 1984، و هو موضوع دكتورا درجة ثالثة في علم اجتماع التنمية في جامعة بوردو تقدم به مصطفى بوتفوشيت تحت عنوان " تطور البنيات العائلية- الإقتصادية من الجزائر التقليدية إلى الجزائر المعاصرة."

لقد اهتمت هذه الدراسة بالجانب البنائي للعائلة الجزائرية مركزا فيها الباحث على شكل العلاقات في إطار العائلة في الجزائر ، من خلال الإجابة عن الإشكالية التالية " : ما نوع التطور في الجزائر الذي خاض ثورة اشتراكية ،ماهي العائلة الجزائرية في بلد تحدث فيه تحولات بسرعة في مراحل للسير نحو التقدم؟"

فكل أثر ديناميكي يظهر في المجتمع الكبير على المستوى الاجتماعي و الاقتصادي و السياسي و الثقافي و غيره يؤدي إلى رد فعل معمم تقريبا في داخل المجتمع المصغر الذي هو العائلة و رد الفعل المعاكس يمكن أن يتحقق، فكل تحول

هام داخل العائلة لا يمكن إلا أن يؤثر في بنية مجمل المجتمع ، فالعلاقات بين المجتمع في مجمله ،أي الجسم كله و بين العائلة أي الجسم الجزئي و التي هي مجتمع مصغر جد مرتبطة و جد معقدة حتى يصبح من المستحيل الرجوع إلى المجتمع و الحديث عنه دون فهم العائلة.

من خلال تحليل ما جاءت به هذه الدراسة في جانبه المتعلق بإشكالية دراستنا نجد أن بوتفنوشت توصل لجملة من النتائج أهمها:
كل عائلة مركبة تقابلها عائلة بسيطة ، و تطور العائلة المركبة نحو العائلة البسيطة يتم ببطء شديد، رغم السرعة في تحول بعض البنيات الاجتماعية- الاقتصادية والاجتماعية-التربوية.

يتحكم العامل الاقتصادي بشكل واسع في الوضعية العائلية و بنيتها و بمجرد ما يتجسد الاستقلال الاقتصادي في بيت جديد يحدث تغير جذري في الوضعية العائلية، فيكون تحررها أكيدا.

تطور البنية الاجتماعية الجزائرية له علاقة بنظام القيم ،فالبنية الاجتماعية عرفت و لازالت تعرف أو تكتسب بعض الخصائص الجديدة و ذلك عن طريق الاستعمار الثقافي بالاتصال مع الغرب من جهة و مع القيم و التقنيات العالمية من جهة أخرى.

و تعتبر دراسة بوتفنوشت من أهم الدراسات إن لم نقل الوحيدة التي تناولت البنية الأسرية للمجتمع الجزائري و التحولات البنيوية التي عرفت العائلة الجزائرية مركزا في ذلك على أسبابها و نتائجها ، و قد يبدو للوهلة الأولى أن هذه الدراسة لا علاقة لها بموضوع أو إشكالية البحث ، ولكن الأساس في البناء الاجتماعي هي الأسرة أو العائلة و بالتالي فما يحدث من تغيير و تحول في البنية الأساسية أو

الجزئية فبالضرورة سوف يؤدي إلى تغيير البنية العامة و هي المجتمع و من هذا المنظور فقد رأينا في دراسة بوتفوشت ضرورة في بحثنا هذا¹.

خلاصة:

1 - مصطفى بوتفوشت، "العائلة الجزائرية، التطور و الخصائص الحديثة" ترجمة دمري أحمد - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - الطبعة الأولى - 1984 - بالتصرف.

في هذا الفصل حاولنا التعريف بميدان الدراسة و ذلك من خلال طرح إشكالية الموضوع و البحث في حقيقة الممارسات الثقافية في الوسط الحضري و ما تأثير ذلك على الموروث الثقافي للشباب مع إبراز أهمية الدراسة في هذا الموضوع.

إن التغيرات التي عرفها الإنسان خلال مساره التاريخي، و انتقاله من الحياة البسيطة إلى حياة كلها تعقيد كان له الفضل في تبلور و تطور وضعه و معاشه وحتى تفكيره، بما اكتسبه من المهارة ، وذلك لا يكون إلا باتصاله و تفاعله مع أفراد آخرين و مع الحركة في شكل تنظيم علاقات و روابط.

أما تحديدنا للمفاهيم و المصطلحات العلمية فقد يساعد الباحث في توضيح الغموض و يعمل على تسهيل فهم الإطار النظري و الكشف عن المتغيرات التي نحن بصدد دراستها.

الفصل الثالث

الثقافة الحضرية في المجتمع

الجزائري

أولاً: الاهتمامات العلمية لدراسة المجتمع الجزائري

اعتبر اصطلاح "المجتمع Society" من أكثر المصطلحات شيوعاً واستخداماً في الخطاب العام وفي الخطاب المتخصص في العلوم الاجتماعية ، ولكن الكثيرين يستخدمونه ليشيروا به إلى معنى عام يشوبه الغموض ودون تحديد ، مما يؤدي إلى صعوبات في الفهم والتواصل ، ومن هنا تأتي أهمية هذه الورقة التي نستجلي فيها أبعاد هذا المفهوم الحيوي انطلاقاً من المصطلحات والتعريفات المتفق عليها في محيط العلوم الاجتماعية ، فما هو المجتمع ؟ وما مكوناته ؟ وما هي طبيعة عملية التنظيم الاجتماعي التي يتم من خلالها تظهر المجتمعات البشرية ؟ وما هي العمليات الاجتماعية الأساسية التي من خلالها يقوم المجتمع بأداء وظائفه؟ وكيف يحافظ المجتمع على بقائه واستمراره بالرغم من عواصف التغيير التي تحيط به من كل جانب ؟ إن هذه بعض الأسئلة الأساسية التي سنحاول الإجابة عنها في هذه العجالة التي نعتبرها دليلاً يمكن أن يفيد القارئ المثقف المهتم بقضايا المجتمع من جهة ، ولكنها في الوقت ذاته تمثل دليلاً متماسكاً يمكن أن يقود خطى الباحث الراغب في مزيد من التوسع .

لا يختلف أحد على أن المكون الأساسي فيما يسمى بالمجتمع Society هو الناس أو البشر الذين يجتمعون معاً في نوع من التقارب المكاني في منطقة جغرافية كبيرة أو صغيرة ، وإذا تساءلنا عن السبب الذي يدفع الناس إلى التجمع معاً على هذا الوجه فإننا نقول أن الناس قد تجمعوا معاً "لإشباع حاجاتهم الإنسانية Human Needs" ، فأى إنسان لا يستطيع أن يعيش منفرداً ، وذلك لسبب معروف ... هو أنه سيعجز عن إشباع حاجاته بنفسه.

وحاجات الإنسان تتميز "بالتعدد والتنوع"... حيث أن له ألوانا متعددة من الحاجات الجسمية (البيولوجية) والنفسية والاجتماعية ، كما أن حاجات الإنسان تتميز "بالتجدد" بمعنى أن إشباع أي من تلك الحاجات مرة واحدة لا يكفي لإشباعها للأبد ، إذ سرعان ما يتجدد الشعور بالحاجة بعد فترة من الزمن طالت أو قصرت ، وهناك سمة أخرى لها أهمية خاصة وهي أن الحاجات الإنسانية "نسبية" ... بمعنى أنه ليست هناك أي وسيلة لتحقيق الإشباع المطلق للحاجات الإنسانية ،... أي أن حاجات الإنسان لا تقف عند حد حتى يتوفاه الموت . و على اثر ذلك يعرف مالك بن نبي " ان المجتمع هو الجماعة الانسانية التي تتطور ابتداءا من نقطة يمكن ان تطلق عليها مصطلح ميلاد"¹

و هو يقصد بذلك أنه- أي المجتمع - هو ذلك الجماعة التي تتغير دائما بإنتاج وسائل التغيير مع علمها للهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير. فهو ليس إذن مجرد مجموعة من الافراد بل هو حيز معين ذو طابع انساني يتم طبقا لنظام معين و هو يتسم بالحركة و الانتاج و الاتجاه .

أما البروفيسور هوبهوس فيعرف المجتمع بأنه" مجموعة من الأفراد تقطن بقعة جغرافية محددة من الناحية السياسية و معترف بها و لها مجموعة من العادات و التقاليد و المقاييس و القيم و الأحكام الاجتماعية والأهداف المشتركة المتبادلة التي .أساسها الدين و اللغة و التاريخ".²

و هناك من عرف المجتمع بأنه " جميع العلاقات بين الأفراد و هم في حالة

¹ - مالك بن نبي ، ميلاد مجتمع مرجع سابق ص16

² - ر.بودون ،ف.بوريكو ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة سليم حداد ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط1 1986 - ص226

تفاعل مع منظمات و جمعيات لها أحكام و أسس معينة¹.

مما سبق يمكن أن نخلص في النهاية أن المقصود بالمجتمع الجزائري " هو مجموعة من الأفراد عاشوا معا فترة طويلة من الزمن سمحت بنشأة قواعد و أحكام تنظم علاقاتهم الاجتماعية ، و سمحت أيضا بظهور شعور جماعي يجمع هؤلاء الأفراد في وحدة اجتماعية تتميز عن غيرها ، فهم بذلك توفرت فيهم الشروط التالية : أفراد عاشوا معا فترة زمنية طويلة ،مساحة معينة من الأرض يقيمون عليها، نظم تحدد علاقاتهم الاجتماعية و شعور جماعي بوحدتهم الاجتماعية".

كل مجتمع إنساني يضرب بجذوره في الماضي ولكن ذلك لا يمنعه من التغيير في نفس الوقت و ذلك بتأثير القوى التي تصطرح في داخله و بتأثير القوى التي تتجلى في العالم من حوله ،فالتغير الاجتماعي خاصية أساسية تتميز بها الحياة الاجتماعية فهو سبيل بقائها ونموها، و به يتهيأ لها التوافق مع الواقع ويتحقق التوازن والاستقرار الاجتماعي، وعن طريقه تواجه الجماعات متطلبات أفرادها وحاجاتهم المتجددة ، فالمتتبع لديناميات التفاعل الاجتماعي يستطيع أن يكشف ما طرأ من تغير كمي وكيفي في نمط التفاعل وفي المعايير الاجتماعية والقيم الأخلاقية، فالتغير الاجتماعي يتناول كل مقومات الحياة الاجتماعية والنظم والعلاقات الإنسانية،ويجب أن يقوم التغيير الاجتماعي على فكر واضح وعلى حشد قوي وعلى تخطيط دقيق لبناء الدولة العصرية التي تستند إلى العلم والتكنولوجيا وهذا يقتضي المواجهة العلمية المستنيرة لما قد يتمخض عنه التغيير الاجتماعي من مشكلات ومنتاقضات ومطالب واحتياجات، وعصرنا الحالي يتسم بظهور العديد من المتغيرات في النواحي الاجتماعية و الإنتاجية والتكنولوجية وبالتالي

¹ - المرجع السابق - ص 227

إتباع الأسلوب العلمي في التحكم في مسيرة التغيير الاجتماعي بحيث يكون تغيرا متوازنا متكاملا يفضي إلى التطور والنمو والتقدم.

إن الجزائر لم تولد في أول نوفمبر 1954 و إنما تمتد إلى ما يزيد عن 25 قرن ، ف نموذج المجتمع الذي نأمل أن نصل إليه أو نطمح أن نحققه لا يكون مكتملا إذا كان يخضع فقط للمقاييس الإجتماعية و الاقتصادية ، و إنما كان من الضروري تبني السياسات الإقتصادية التي تأخذ بعين الاعتبار الجانب الاجتماعي بما يحمله من معايير ثقافية تغذي و تثري بصورة أساسية الأهداف المنشودة ، و لمعالجة هذه المرحلة النوعية من تاريخ المجتمع الجزائري و تحليل سماتها و التحولات المرتبطة بها ، فإنه ينبغي معرفة التشكل التاريخي لواقع المجتمع الجزائري قبل الاستقلال السياسي ، و هو شرط أولي لا يمكن الاستغناء عنه من أجل فهم أرضية التحول البنيوي للمجتمع الجزائري ، و كل ذلك من خلال منظور شمولي و متكامل من خلال حصر التغيير الاجتماعي تاريخيا و معرفة آلياته الاجتماعية و الاقتصادية التي أنتجتها البنيات الاجتماعية السابقة و تأثيرها على البنية الحالية.

فالتحليلات ذات الطابع السوسيولوجي المتعلقة بالمجتمع الجزائري ،تظهر أن الديناميكية الواضحة فيه قد بدأت مع الحصول على الاستقلال السياسي و تطبيق المخططات التنموية المختلفة ، و التي آلت إلى هيكلة البنية الاجتماعية ، و لذا يمكن لمتتبع حركية المجتمع الجزائري منذ الاستقلال يمكن أن يلاحظ الانتقال النوعي المتمثل في عملية التحول التنموي المرتبط بالأبعاد المختلفة لحياة المجتمع ، الاقتصادية منها و السياسية و الاجتماعية والثقافية ، و سنحاول استعراض ما عرفه البناء الاجتماعي الجزائري

من تحولات و تغييرات في ظل السياسات الإصلاحية التي عرفتھا الأ بنية الإقتصادية و السياسية بدءا بمرحلة ما بعد الاستقلال مرورا بفترة الإصلاحات و وصولا إلى المرحلة الحالية.

إن التغير ظاهرة عينية موجودة في كل مستويات الحياة فأی نسق اجتماعي يتضمن نوعين من العمليات ، الأولى تعمل على الحفاظ عليه و ضمان استمراره كالتنشئة الاجتماعية ، الضبط الاجتماعي ، نقل الإرث الثقافي من السلف إلى الخلف و الثانية تعمل على تغييره و تبديله ، و في هذا المجال نجد روبرت ماكيفر و شارلز بيدج يقولان " المجتمع يوجد فقط في شكل تتالي زمني ، فهو دائم الحدوث و ليس شيئا حادثا بالفعل أو كائنا و هو عملية و ليس نتاجا أو بعبارة أخرى فإنه بمجرد توقف العملية يختفي النتاج ، على عكس نتاج الآلة مثلا الذي يبقى بعد زوالها¹ "

وعندما نقول التغير الاجتماعي فهو يعني " الانتقال من نظام اجتماعي إلى آخر تقليدي إلى مجتمع حديث ، فالنظام الاجتماعي الموجود الآن يختلف مثلا المجتمع الما قبل صناعي أي أن المجتمعات البشرية عرفت العديد من الأنظمة الاجتماعية .

و مصطلح التغير الاجتماعي يستخدم في دراسة التاريخ ، والاقتصاد ، والسياسة ، وتشمل موضوعات مثل نجاح أو فشل مختلف النظم السياسية ، والعولمة والتحول الديمقراطي ، والتنمية والنمو الاقتصادي ، و يمكن أن يشمل

¹ - - محمد أحمد الزعبي، " التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي و علم الاجتماع .

الاشتراكي" - مطبعة الداودي - دمشق ، سوريا - الطبعة الرابعة - 2000 - ص35

مصطلح التغيير الاجتماعي مفاهيم واسعة بقدر ثورة ونقلة نوعية ، لتضييق تغييرات مثل قضية معينة داخل الحكومة¹ . و مفهوم التغيير الاجتماعي ينطوي على قياس بعض خصائص مجموعة من الأفراد.

و في هذا السياق فالدارسين للتغيير الاجتماعي يتوجهون للإجابة عن التساؤلات التالية:

ما هو الشيء الذي يتغير؟ ، كيف يتغير؟ ، ما هو اتجاه التغيير؟ ، ما هو معدل التغيير؟ ، لماذا يحدث التغيير، ولماذا كان ممكناً؟ ، ما هي العوامل الرئيسية في التغيير الاجتماعي؟² "

إن كل مجتمع يمثل بناء اجتماعيا و هذا البناء يتكون من وحدات مترابطة و هي الأفراد ، غير أن وجود و بقاء هذا البناء غير متوقف على وجود و بقاء الأفراد بعينهم ، فلأفراد يتركون المجتمع عن طريق الموت أو غيره ، كما ينظم إلى المجتمع أفراد جدد ، و مع هذا فإن البناء يبقى ثابتا و مستمرا ، و يع رف براون الحياة الاجتماعية بأنها " البناء الاجتماعي في قيامه بوظيفته ، و يؤكد براون أن المجتمع إذا ما قابلته حالة من الاضطراب أو المرض الوظيفي فهو يجاهد ليحقق نوع من الشفاء . أو الصحة الاجتماعية و قد يغير خلال محاولته هذه من نوع بنائه³ "

تتعدد عوامل التغيير الاجتماعي وتتفاعل ومن أهمها:

¹ - أحمد زايد، "دراسات في علم الاجتماع" - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية - كلية . الآداب - جامعة القاهرة - 2003 - ص109

² مقدمة الماكرو ديناميكا الاجتماعية :النمذجة الرياضية لتطور المنظومة العالمية قبل -سبعينيات القرن الماضي- مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة - مجلد 68 - سنة 2008 (الجزء الثاني - ص148)

³ - محمد أحمد الزعبي " التغيير الاجتماعي " مطبعة الداودي - دمشق ، سوريا - الطبعة .الرابعة - 2000ص112

✓ البيئة :وخاصة العوامل المادية التي تشمل الأحداث الطبيعية مثل الزلازل ونقص الموارد الاقتصادية والمناخ ويتفاعل الإنسان مع طبيعته وما بها من موارد أولية ويلعب دورا هاما في إحداث التغير.

✓ الأفراد : يؤدي ظهور أفراد مصلحين إلى تغير اجتماعي ملحوظ مثل ظهور الأنبياء والرسل والقادة الوطنيين.

✓ العامل البيولوجي : وهذا يشير إلى توالي الأجيال و اختلاف بعض خصائصها جيلا بعد جيل.

✓ الأفكار والمعتقدات : وهي القوة الفكرية التي تعمل على تغيير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقا لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة وتساندها تبريرات اجتماعية.

✓ التقدم التكنولوجي : إن للاختراعات والابتكارات والاكتشافات العلمية الجديدة المتجددة أثرها الكبير على التغير الاجتماعي مثل اكتشافات وسائط النقل المتطورة ووسائل الاتصالات و الإعلام.

✓ الاتصال الثقافي : ويشمل الاحتكاك والتبادل الثقافي بين جماعات مختلفة ثقافيا وان الانتشار الثقافي الذي حدث عن طريق تقدم وسائل الاتصال قد أدى إلى كثير من التغيرات الاجتماعية.

✓ عامل الزمن : إن عامل الزمن له قيمته في تحديد دينامية الجماعة والمجتمع ويجب أن ننظر إلى الجماعة على أنها تنظيم متحرك متغير.

✓ الثورات و الحروب : إن الثورات الوطنية تقوم من أجل إحداث تغيرات جزئية أو شاملة في بناء المجتمع ونظامه، والحروب تعد من العوامل المهمة في

إحداث التغير الاجتماعي إما بسبب ما يفرضه المنتصر حتى يدعم انتصاره، و إما بسبب ما يفرضه على نفسه المهزوم حتى يزيل آثار الهزيمة ويحقق النصر.

لا يوجد مجتمع لا يتغير ويبدو المجتمع مستقرا ساكنا سائرا في انجاز وظائفه في هدوء طوال أجيال متعاقبة، ولكنه حين يصل إلى درجة من التجمع الحضاري يبدأ في التغير بسبب وجود قوى تعمل في أعماقه لتجديد الاتساق أو لتأسيس نظم جديدة ومن أهم ملامح التغير الاجتماعي:

- النمو الحضري والتغير العمراني المصاحب للتغير السكاني.
- تغير الأسرة من حيث حجمها ووظائفها والمراكز الاجتماعية لأركانها وعناصرها وعادات الزواج بها ووسائل تكوينها وعوامل استقرارها وتفككها مع تغير الشكل الأسري من الأسرة الكبيرة إلى الأسرة الصغيرة المستقلة اقتصاديا عن الأسرة الكبيرة.
- خروج المرأة من دائرة البيت الضيقة إلى مجتمع العمل والإنتاج وما إلى ذلك من دعم اقتصادي للأسرة والمجتمع.
- التغير في التركيب الاجتماعي الاقتصادي وزيادة تعقد الحياة الاجتماعية ونظرة الناس إلى العمل وما يصاحب ذلك من تغير في السلوك.
- زيادة اعتماد الأفراد والجماعات على بعضهم البعض.
- تغير بعض القيم الاجتماعية التقليدية التي كانت تسود المجتمع وتحكم سلوك أفراد.

ومن آثار التغير الاجتماعي :

✓ الهجرة :وخاصة تلك التي تحدث بسبب الفقر، وقد تكون الهجرة إجبارية بين مصادر الثروة أو النشاط الاقتصادي.

✓ التغير في بناء الأسرة :يؤدي التغير الاجتماعي خاصة في الظروف الاجتماعية والاقتصادية إلى حدوث تغير في بناء الأسرة ما يؤدي بدوره

إلى تغيير حجم الأسرة أو تفكك الأسرة و مخاطر الشيخوخة والشعور بالوحدة.

✓ التصنيع: إن التصنيع والتقدم التكنولوجي قد أحدث آثارا هائلة في تقدم البشرية والتغيير الاجتماعي إلى الأفضل.

- البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري

إن الهدف من تحليل الواقع الطبقي في الجزائر و التطرق للأوضاع والعلاقات الطبقية في الجزائر حتى يومنا هذا. لقد رأينا أنه قبل التطرق إلى التكوينات الطبقية الاجتماعية في الجزائر و تصنيفها ،لابد من تسجيل جملة من الملاحظات التي تصب في خدمة الإطار العام لهذه القراءة.

إذا ما حاولنا النظر إلى التركيب الاجتماعي للمجتمع الجزائري في الفترات من حيث ارتباطها بالمدينة و الريف يتبين لنا أن المدن في ظل التواجد التركي مثلا كانت مدن هامشية و منطوية على نفسها و الريف هو السائد فكان مجتمع المدينة مقسما إلى طبقة سائدة من الأتراك يمتلكون أراضي هامة و طبقة الأهالي التي لا تملك إلا قطعا صغيرة لا تتعدى المستوى الضروري للمحافظة على قوة العمل وعدم المساواة الإقتصادية هاته أدت إلى توريث علاقات استغلال جديدة بين الحاكمين و المحكومين لذلك قامت كثير من الأرستقراطيات التي استفادت من علاقات الهيمنة و بقيت الفئات الاجتماعية في الريف معزولة و بذلك زادت عملية الهجرة الريفية كلما توجهنا من الشرق إلى الغرب. أما باقي الفئات الاجتماعية فكانت تتمثل في الفئات الوسطى التي كانت تستعملها الدولة الإقطاعية التركية

للقضاء على الإقطاعية المحلية و تتشكل غالبا من قبائل المخزن،وما لا يجب أن نهمله في هذا التحليل هو"وجود السلالات العرقية الذي ظهرت في التركيب الاجتماعي و هي تمثل البرجوازية و التي كانت تحمل ألقاب مختلفة فنجد (أندلسية / يهودية بقسنطينة ، يهودية /فاسية بتلمسان ، أندلسية/ يهودية بالجزائر العاصمة)و لم تتمكن هذه البرجوازيات من الاندماج في المجتمع المحلي و ارتبطت ارتباطا وثيقا بالسلطة .السياسية¹ "

أما بنية المجتمع الجزائري في الفترة الاستعمارية بالذات يشكل حجر الأساس الذي من خلاله يمكننا الانطلاق لمعرفة و فهم حقيقة الظروف التي حاول المجتمع الجزائري في ظلها أن يعيد بناء نفسه قبل حرب التحرير و بعد الاستقلال .

إن أول شيء سعت إليه الحكومة الفرنسية في الجزائر لضرب البنية الاجتماعية هو تدمير نظام الملكية المحلي الذي ورثته الجزائر عن الوجود التركي ،حيث أصدرت ثلاث قرارات ألغت بموجبها الأشكال الثلاثة للملكية واعتبرت نفسها وريث الدولة التركية و أعلنت بذلك مصادرة جميع الأراضي التي بدت لها غير مستثمرة و هنا شرع في تدمير المجتمع الجزائري على ثلاث أصعدة:

1-على الصعيد علاقة الفرد بالملكية.

2-على الصعيد البنيوي.

3-على الصعيد المؤسساتي.

¹ - عبد العزيز رأس مال " كيف يتحرك المجتمع و نتائج ذلك على العلاقات الاجتماعية ، -دراسة سوسيولوجية- ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر- الطبعة الأولى1993 - ص.118

حيث سعى المستعمر إلى وضع سياسة مضادة تهدف إلى " تفكيك بنية المجتمع الجزائري و الإدماج عن طريق محاولة التصيير و الفرنسة والتجهيل والتفكير كأسس للسياسة الاستعمارية للتمكن من السيطرة¹ " ،فأدى التحويل القصري لوسائل الإنتاج بصورة محتومة إلى انتقال ما كان حتى ذلك الوقت ملكية لا تقبل التقسيم و أصبحت عمليات البيع أكثر انتشارا و حتى من كان من غير مقدوره بيع حقه كان يؤجره للأوروبيين و تدريجيا أصبح الفلاح الذي كان في وقت من الأوقات يملك أرضه مجرد خماس أو حصاد مشارك عليها أما أولئك الذين كانوا لا يملكون أرضا لتأجيرها فكانوا يؤجرون خدماتهم للمستعمرين ، و أولئك الذين كانوا عاجزين عن التكيف مع وضعهم المادي الجديد نزحوا نحو مناطق نائية داخل البلد أو إلى الخارج و خاصة إلى المغرب و سوريا.

و قد لاحظت إدارة شؤون الأهالي في عام 1879 أن " جميع الطبقات الوسطى القبلية تنهار تحت وطأة الربا ، فهم مدانون بمبالغ طائلة و لكن تكون المحاصيل الجيدة إلا علاجا مؤقتا لهم إنهم يندفعون نحو الخراب² "

أما على الصعيد البنيوي فقد أثر التغير الجذري في بنية الملكية الجزائرية بطبيعة الحال في التنظيم الاجتماعي للقبائل ، فنجد أقساما من قبائل مختلفة تجمعت معا لتشكّل دوارا واحدا أو أقساما من القبائل ذاتها قسمت إلى عدد صغير من الدورات الأمر الذي أثر على تكوين الجماعات الاجتماعية التي كانت تشكل القبائل فقد تأثرت الأرستقراطية الدينية و أرستقراطية المخزن على نحو مختلف فنجد الأولى حاربت مع الأمير عبد القادر في حين نجد الثانية حاربت ضده

1 - أسعد السحمراني " مالك بن نبي " مفكرا إصلاحيا - دار النفائس - بيروت، لبنان - الطبعة الأولى - 1984 - ص35

2 - مغنية الأزرق - نشوء الطبقات في الجزائر، دراسة في الاستعمار و التغير الاجتماعي السياسي - ترجمة سمير كرم - مؤسسة الأبحاث العربية - الطبعة العربية الأولى - بيروت، لبنان 1980 - ص59

و جنحت قبائل كثيرة إلى جانب أو آخر حسب قدرتها على احتمال حرب طويلة ،
و نجد أن الحرب خلفت خسائر للأرستقراطية الدينية و حاربتها في سلطتها
الإقتصادية و الإجتماعية.

و بعد أن كسرت المقاومة الجزائرية كانت التمردات القبلية تعاقب بفرض
الحجوزات على الأراضي و بهذا أكملت عملية إفقار الأرستقراطية القبلية ، و لقد
اقترح البعض من الإدارة الفرنسية الاستعاضة عن الأرستقراطية القديمة
بأرستقراطية جديدة تتألف من أولئك الذين عينوا للخدمة في الإدارة العسكرية .

أما المجموعات الجديدة التي اكتسبت مزيدا من الأراضي فقد كانوا
أرستقراطية جديدة أقل مما كانوا برجوازية ريفية و نظير ذلك نجد في المراكز
الريفية البرجوازية التقليدية بعدما كانت تتفاخر بروحها الإسلامية و أسلوب حياتها
الراقي و عدائها للثقافة الفرنسية و أصبحت فئة اجتماعية جديدة تتألف من رجال
أعمال و مصدرين للمنتجات الزراعية و سماسة و تجار الغلال و التبغ بالجملة
و المفرق و منتجي الزيت و مالكي الأراضي و أصحاب الفنادق، أما المثقفون من
أساتذة و معلمون و قضاة شرعيون و محامين و مترجمين فقد كانوا يمثلون جزءا
من هذه الفئة و كانت بمثابة شبه البرجوازية.

و فيما يخص العمال الريفيين فقد ضموا فئتان اجتماعيتان جديدتين هما
المزارعون و العمال المأجورون ، حيث أدخل المستعمر الفرنسي مؤسسة الزراعة
كبديل أكثر اقتصادية عن نظام المشاركة في المحصول حيث أصبح المستعمرون
يستأجرونه على صورة تعاقد سنوي و تدفع الأجر نقدا.

و نجد من ذهب في تحليله لهذه البنية إلى التركيز على ثبات و حركية الفئات الإجتماعية فيه ، فنجد أن البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري قد " عرف ثلاث أنواع من الفئات الإجتماعية ، فئة أولى بقيت ثابتة في مكانتها الاجتماعية و فئة ثانية تحركت تصاعديا و الفئة الأخيرة تحركت تنازليا¹ ."

لقد كان أهم تطور ذي مغزى في هذه الفترة (الاستعمارية) هو نشوء فئة اجتماعية من المثقفين المهنيين المدربين في المدارس الفرنسية الذين شاركوا فيما بعد في تشكيل الحركات الوطنية التي قادت فيما بعد الثورة التحريرية في نوفمبر 1954، و في سنة 1961 و خلال مؤتمر طرابلس الذي وجه لأجل صياغة برنامج جديد ليتم تنفيذه بعد الاستقلال و قد قدم هذا البرنامج تحليلا موجزا لأحوال الجزائر الإقتصادية الإجتماعية منذ استعمارها حتى يبدأ البرنامج بتحليل طبقي قصير للمجتمع الجزائري... " :الفلاحين الفقراء الضحايا الرئيسيين لإستلاء المستعمرين على الأراضي والتفرقة.

و نخلص إلى أن الاستعمار في الجزائر أدى إلى ردم بعض الطبقات و خلق الشروط المادية لظهور طبقات أخرى و مباشرة بعد الاستقلال نشأة أزمة بين ما كان يعرف بالحكومة المؤقتة التي تسودها أغلبية من الاندماجين الذين يمثلون فئة اجتماعية ميسورة الحال متعلمة ترمي إلى استخدام الاستقلال لإقامة و دعم سلطتها و بالمقابل نجد مجموعة " بن بله " التي ضمت رجال أقل تعليما أو عصاميين مرتبطين بطبقة الفلاحين و كانوا معنيين بالعدالة الإجتماعية ، و هي الفئة التي قادت البلاد بعد الاستقلال لتبدأ معها مرحلة الإصلاح ،حيث تم تبني

¹ - عبد العزيز رأس مال - مرجع سابق - ص120

نموذج التسيير الذاتي كتنظيم اقتصادي اجتماعي يحمل في جوهره سيطرة المجتمع على السلطة السياسية.

أما في هذه الفترة ما بين الاستقلال و الوقت الحالي ميز البناء الاجتماعي للمجتمع الجزائري هو تداخل في البناءات الطبقية بين القديم و الجديد و هي متعلقة بصعود و هبوط الطبقات الاجتماعية أي بطبيعة عملية إعادة التشكيل الواسعة للبنى الاجتماعية و الاقتصادية منذ الاستقلال و حتى وقتنا الراهن فثمة عملية إعادة صياغة مستمرة للمراكز و الأوزان النسبية للقوى الاجتماعية و للعلاقات الطبقية و في هذا السياق نجد الدكتور عبد الفضيل يؤكد أن " معظم البلدان العربية تمر بمراحل انتقالية نجد على أساسها تدهور طبقات سائدة أبان فترة العشرينات و الثلاثينات من هذا القرن على حساب بروز طبقات صاعدة جديدة و يقدم مثالا عن الأرستقراطية الزراعية و الصفوة التجارية التقليدية حيث كانت طبقات سائدة ثم أخذت تتدهور في الفترات الأخيرة نتيجة سيادة قوى طبقية جديدة و في أسفل السلم الطبقي الاجتماعي ، يمكن الحديث عن بداية اضمحلال أرباب الحرف و الصناع و في المقابل نمو أعداد أشباه البروليتاريا في المدن¹ ."

خلال هذه الفترة غزت معايير المجتمع الصناعي فأصبح المهندس أو الطبيب أو المقاول يحتل صدارة السلم الاجتماعي و بالمقابل نجد سيطرة فكرة العصبية تفرض نفسها من خلال جعل الرابطة الدموية فوق كل اعتبار ، فنجد

¹ - محمود عبد الفضيل " تضاريس الخريطة الطبقية في الوطن العربي: نظرة إجمالية نقدية" مركز دراسات الوحدة العربية - جامعة الأمم المتحدة - بيروت، لبنان - بدون رقم طبعة- - 1987. ص272

أن " أحد الأشخاص الذين وجدوا منصبا مناسباً يستطيع تسهيل كل الإجراءات لصالح أقاربه (الشغل - سكن) و هذا بحكم مكانته¹ . "

ثانيا : سمات التحضر في المجتمع الجزائري

أما التحضر فالمقصود به الدلالة على تمام عملية من عمليات التغير الاجتماعي تتم عن طريق انتقال أهل البادية أو الريف إلى المدينة أو إقامتهم بمجتمعها المحلي ومن تم يكتسبون تدريجيا أنماط الحضر فإذا تم لهم امتصاص الأنماط الحضرية قيل أنهم قد تكيفوا حضريا أو بمعنى آخر تحضروا أي تحولت أساليب معيشتهم على طريق أهل المدن، وقد يحدث التحضر بطريقة على عكس ما تقدم كأن تغزو الأساليب الحضرية الريف وقراه بأي صورة من الصور ينتج منها امتصاص تقييم وأنماط الحضر، وهناك من يرى أن التغير في الاتجاهين يسير في عصرنا الحالي بسرعة فائقة تفوق أي عصر من العصور التي مرت بها البشرية².

إن ارتباط الحضر الحديث بالتصنيع أفسح مجال الهجرة من الريف إلى المدينة، تعددت أساليب النقل والانتقال والاتصال بين الريف والحضر لدرجة أنه يقال ما من قرية إلا وستكون في المستقبل على أبواب مدينة تتأثر بها وتقتدي بأساليبها فضلا عن الغزو الثقافي الذي تثبته المدينة في القرية عن طريق الإذاعة والتلفزيون والصحافة والكتب والمعاهد والمؤسسات وغيرها، والمدينة من الوجهة لها

¹ - P.Bourdieu " **Algérie 60** " Edition minuit - PARIS - 1977- P 60

² (د.محمد عبد المنعم نور، الحضارة و التحضر، دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري، مكتبة القاهرة الحديثة - ط1- 1970.

الغلبة وقد اعتاد الريف أن يتلقى منها الثقافة أكثر مما يصدر لها، لأنها على الدوام قبلة أنظاره.

و لهذا السبب أيضا نجد بعض الكتاب والمفكرين يتوقعون مزيدا من التغيير في المستقبل في السلوك الجماعي وسبل الحياة لسكان القرى، بل يذهب بعضهم إلى أبعد من ذلك فينتبئون باختفاء معظم سمات الريف الاجتماعي بسبب تحطيم حواجز العزلة النسبية بين الريف والحضر، لقد دخلت المرافق والمهمات التكنولوجية الحديثة في الريف وأصبح متوقعا أن يعيش أهل القرية داخل نطاق الحضر اجتماعيا وتفاعليا وإن بعدوا جغرافيا عنه، والعبرة في صياغة الأنماط وتشكيلها بهذا التفاعل وما يتصل به من قدرة ومحاكاة.

حيث هيا لها الوضع الاقتصادي المزدهر، الظروف الملائمة، لنشأة وتطور العديد من المدن⁽¹⁾، ويضيف الهادي لعروق إلى أن هذه المدن كانت عبارة عن مجتمعات متميزة، ذات بناءات اجتماعية واقتصادية معقدة، تتميز بالمركزية الشديدة وتمارس نوعا من السيطرة الحضرية على بقية التجمعات الواقعة حولها، بحكم انفرادها بمقام الحكم، والتخزين والسواق الرئيسية، ومقر الخدمات والشؤون الدينية والأعمال.

كما توفرت هذه المدن على عدد من الحرف والصنائع حيث اختص بعض صناعاتها في صناعة الأسلحة الحربية والخناجر والرماح وصناعة الأدوات الزراعية الخاصة بأعمالهم (المحراث، المناجل، المجارف، العربات....).

¹ محمد الهادي العروق، النمو الحضري في الشرق الجزائري- رسالة دكتوراه، قسم الجغرافيا، جامعة الإسكندرية- 1989- ص 88.

كما تتميز المصادر إلى وجود فئة الحرفيين كالحدادين والنجارين والبنائين والمعماريين بالإضافة إلى وجود الصناعات النسيجية نظرا لتوفر الصوف، والفخار، والمنقوشات.....⁽¹⁾.

لا يمكننا التطرق لعملية التحضر في الجزائر دون التلميح إلى جذورها التاريخية، فقد شهدت الجزائر منذ زمن بعيد نموا حضريا متسارعا حيث اتسعت المراكز الحضارية القديمة، وظهرت أشكال جديدة للمدن خاصة بعد الاستقلال.

مع أن التحضر قديم العهد في الجزائر، إلا أنه يستحيل تحديد حقبة زمنية تمثل أول ظهور لتجمع بشري يحمل السمات الأساسية للتحضر، وأول إشارات حول نشأة الدولة النوميديّة وعامتها سيرتا (قسنطينة الحالية)، والتي كانت وأغناها اقتصادا، وأقواها تجارة.

أما في العهد الروماني فقد زاد عدد المدن بصورة ملحوظة، لأن الاستعمار الروماني كما كان يعرف هو استعمار مدن واستيطان حيث أخذت البنايات بذلك طابع المدن العسكرية ذات القلاع العالية والحصون. كما كانت ذات أهمية إستراتيجية وتحتوي على جميع متطلبات الحياة العامة كالمحلات والأسواق والمنازل والمطاحن والملاعب والحمامات، ورغم اهتمام الرومان بالزراعة والصناعة التحويلية للزيوت والكروم، إلا إن المدن الرومانية ظلت رغم عظمتها وكثرتها لا تنمو إلا في ظل القوى العسكرية.⁽²⁾

¹ نفس المرجع السابق- ص 89.

²) Roger Le Tournau – villes romaines à travers l'Algérie 1947. P 51- p 61.

إن دخول الجزائر في العهد الإسلامي هو عهد جديد بالنسبة لتاريخ الحضرة حيث تغير التوجه الحضري الذي كان متمركزا في الساحل نحو الداخل وبالتالي انتقال المراكز الحضرية من الساحل إلى الهضاب والمرتفعات الأطلسية فيقول أبو القاسم سعد الله في هذا المجال انه ساعد على انتشار الزراعة وتربية الماشية وتعزيز العلاقة بين المدينة والريف كما كان دورها التجاري رائدا.⁽¹⁾ وهذا ما يؤكد جغول حيث يضيف قائلاً: «أنه قد كانت للمراسم الحضرية بالمغرب العربي الفضل في التكوين الاقتصادي العام للأمة الإسلامية، حيث أنه قد ساعد على نمو في الاقتصاد ودور المدن في التجارة ورواج الحرف، وقد كان لهذا الإدماج دور في تطوير النسبة الاجتماعية للمدينة الجزائرية، التي أصبحت تتأثر جزئياً ببنية مدن الشرق الأوسط»⁽²⁾.

أما عند مجيء عهد الأتراك فلم يعمل العثمانيون إلا على تطوير المدن الساحلية (عناية، القل، جيجل، الجزائر، تنس، مستغانم، المرسى الكبير)، يضمن بقاء حكمهم وسلطتهم ولم تكن هذه المراكز الحضرية إلا قواعد لعملياتهم البحرية «و نظراً لعدم استقرار الحكم العثماني فقد استنقل القحط، وحدثت مجاعات رهيبية وتقلص نشاط الملاحة البحرية، وهذا قد أثر سلباً على المبادلات التجارية، وبذلك العديد من المدن العليا شأنها بعدما تلاشى دورها التجاري والصناعي»⁽³⁾.

⁽¹⁾ أبو القاسم سعد الله- مدن المغرب العربي في الأدب الجغرافي العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر.

⁽²⁾ عبد القادر جغول- مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط - دار الحداثة- بيروت- 1982- ص 43.

⁽³⁾ ناصر الدين سعيدوني، مقالات في تاريخ الجزائر، الديوان الوطني- للمنشورات الجامعية- الجزائرية- 1984- ص 110.

و مع بداية الاحتلال الفرنسي، بدأت تتضح معالم التوسع الحضري حينما شرعت السلطات الاستعمارية في إقامة المستوطنات التي كانت في بداية الأمر على شكل قواعد عسكرية لتتحول فيما بعد إلى مراكز عمرانية بعدما استولوا على أخصب الأراضي و وزعوها على المستوطنين الجدد.

وقد تميزت هذه المرحلة بالتوسع الكبير للمدن ومواجهة الزيادة السكانية الكبيرة الناتجة عن زيادة عدد المستوطنين الأوروبيين بسبب هجرتهم المكثفة إلى الجزائر خاصة بعد سنتي 1886 إلى 1954 لما كانت تحتاجه الإدارة الأوروبية من عمال وموظفين لإنشاء العديد من المستوطنات في هذه الفترة، هذا إلى جانب هجرة السكان المحليين بعدما تطورت القاعدة الاقتصادية للمدن وذلك بإقامة صناعات مستثمرة من طرف الفرنسيين، وقد تركزت ورشات صناعية في مدن الساحل على وجه الخصوص لتمكنهم من وضع حلقة وصل بين الجزائر كبلد مصدر لمواد أولية وفرنسا كبلد مصنع لهذه المواد.

وقد تركزت هذه ورشات صناعية في مدن الساحل على وجه الخصوص لتمكنهم من وضع حلقة وصل بين الجزائر مصدر لمواد أولية وفرنسا مصنع لهذه المواد. وقد تركزت هذه الورشات الصناعية في مدن الساحل على وجه الخصوص حيث كانت تشكل حلقة وصل بين الخارج والداخل.

و أمام هذه المستجدات، تعرضت النوايا الحضرية التاريخية في الجزائر إلى تدهور حاد في قاعدتها الاقتصادية لأنها لم تستطع أن تصمد أمام الوظائف والأنشطة الاقتصادية التي أنشأها المستوطنون في الامتدادات العمرانية الجديدة

مما كان له عظيم الأثر في القضاء على الأنشطة التقليدية والحرف* التي تزخر بها هذه المراكز⁽¹⁾ .

أما من الناحية العمرانية فالمنشآت التي أقيمت من طرف الفرنسيين داخل النواة الحضرية التاريخية، أصبحت تشكل عمراناً متميزاً ذا طابع مرفولوجي أروبي خالص، وبذلك أصبحت المدن الجزائرية ذات طابع تاريخي في الجزائر تتميز بظاهرة الثنائية الحضرية المتمثلة في تداخل السمات الحضرية القديمة التي تفتقر إلى الخدمات الحضرية، والحضرات الحديثة ذات الطابع الأوربي والمخصصة للمعمرين بحيث يمكن التمييز داخلها بين مدينتين متباينتين في تركيبهما المرفولوجي والاجتماعي⁽²⁾.

فقد عرفت المناطق الريفية هجرة واسعة إلى المدن بفضل البطالة الذي عرفها الريف الجزائري خاصة بعد الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929، " فقد أدى تقلص الأراضي الزراعية المخصصة لزراعة الكروم والقمح، وكذا هبوط الإنتاج الزراعي إثر عمليات التصدير إلى تفشي البطالة في الريف، بلغ عدد البطالين

¹⁾ Djilali Sari, problèmes démographique de l'Algérie Machrek N° 63 1978.p.12.

* بموجب مرسوم الحكومة الفرنسية لسنة 1868، تم إستكمال الإجراءات الخاصة بالقضاء على الحرفة، مما كان له الأثر البالغ في القضاء على الأنشطة التقليدية و الحرف.

²⁾ Henin Stéphane, Aménagement rural en Algérie Encyclopédie Universalis . 2000

40 ألف عاطل" (1) فكانت المدن بمثابة جذب لهؤلاء الأفراد الذين كانوا يودون العمل، هذا إلى جانب عمليات التهجير الجماعي الذي قام بها الاستعمار الفرنسي بعد الإستلاء على الأراضي الزراعية وطرد السكان الجزائريين خاصة بعد تصاعد الثورة.

فنستخلص مما سبق أن التحضر ظاهرة تاريخية قديمة عرفت الجزائر التي كانت لها علاقة مع أشكال الاستعمار التي تعرضت لها على مر التاريخ، وقد تطورت خلال الاستعمار الفرنسي الحديث لها حيث كان له علاقة مباشرة بنمو عدد السكان الحضر في المدن وخاصة الساحلية منها بعد إنشاء موانئ ارتبطت ارتباطا وثيقا بالمصالح الاستعمارية مما استمر بعد الاستقلال وذلك بعد وضع خطط تنموية ساعدت على توسيع نطاق التحضر.

عوامل التحضر في الجزائر:

تعددت العوامل التي أثرت في عملية التحضر في المدن الجزائرية منها ما هو تاريخي، ومنها ما يرتبط بالتحضير الاقتصادي الذي كان بالماضي اقتصاد غير منتج متمثل في التجارة إلى اقتصاد حديث يعتمد بالدرجة الأولى على الصناعة،

(1) أجبيرون (شارل روبيرت)، تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة عيس عصفور منشورات عويدات -

ومنها ما هو اجتماعي له اتصال مباشر بالاقتصاد. ومن آثاره البارزة، تصاعد في حدة النزوح الريفي نحو المدن أو من مراكز حضرية أخرى بصورة متوالية وهو ما أنعكس على ارتفاع عدد السكان.

تظهر أهمية الاقتصاد وبالخصوص الجانب الصناعي في تدعيم ظاهرة التحضر في الجزائر من خلال التطور الكبير الذي أحدثته في القاعدة الاقتصادية للمدن، وما صاحب ذلك من تطور في الخدمات، فقد تميزت العديد من المناطق بإنجاز وحدات صناعية كبيرة متوسطة وصغيرة، إذ أن بعض المدن الصناعية إلى ولايات وفقا للتقسيم الإداري الذي حولها بدوره إلى مدن خدمات متعددة الوظائف. وهي مدن تتجانس فيها الصناعة مع باقي الاستخدامات الحضرية داخل النطاق العمراني للمدن وخارجة، وقد عملت هذه السياسة على خلق توازن نسبي بين مناطق التراب الوطني وتحقيق نمو عمراني منسجم⁽¹⁾.

عامل ثاني أساسي ساعد على تطور التحضر في الجزائر، الهجرة. الحركة هي من الضروريات في الحياة، يمكن أن تعرف بالانتقال من نقطة إلى أخرى أو من وضع إلى آخر، فمختلف أنواع الحركة متعلقة مع مختلف أنواع الأسباب، كالانتقل للعمل، للرحلات، للاستكشاف ... على كل حال عملية.

¹) Dahmani B. Planification et Aménagement du territoire. OPU Alger 1984 p.211.

الحركة بالنسبة للفرد لا يمكنها أن تتعدى القرائن الاجتماعية أو التاريخية أن تدون، هذه القرائن تجتمع في أشكالها الاقتصادية والرمزية والسيكولوجية ... في مكان وزمن ما⁽¹⁾.

ظاهرة الحركة كما يسميها البعض، والهجرة كما يسميها البعض الآخر تؤثر على شخصية الأفراد وبالتالي المجتمعات والأماكن والمواطن. ومهما يكن سواء كان الأمر متعلقا بالأماكن الحضرية الوطنية، الدولية ذات الطبيعة السكنية العملية أو اليومية، فالفرد يبقى دائما سببا ومصدر للتغير. بما أن الأفراد يعيشون في تجمعات سكنية داخل حدود جغرافية معينة، فيمكنهم أ، يكونوا مختلفين سواء في اللغة أو في العادات أو التقاليد أو في نمط التنظيم وكذلك في نظرتهم لمن يحيطون بهم.2 لأن كل مجتمع له توسعته السوسيو تاريخية الخاصة له مما لا شك فيه الهجرة في إفريقيا تعكس التحول الذي أصاب البناء الاجتماعي والإقتصادي التقليدي، فضلا عن كونها تمثل العامل الرئيسي في تشكيل الطبقات الاجتماعية الجديدة. وقد لخص الباحث الاجتماعي الألماني " رودولف شتقنهاجن " Rodolfo Stvenfagen " خصائص هجرة العمال في : أن المهاجرون يتألفون من ذكور بالغين، يجري تشغيلهم بوجه عام لفترة ما، حيث تتكرر هجرتهم عدة مرات في حياتهم (الريفية) قاطعين بذلك مسافات بعيدة من أجل حصولهم على هذا العمل وكثيرا ما تحدث هذه الهجرات على مدى واسع، لدرجة أنها تسبب

¹)Mireille Meyer et autres "**des migrants et des villes : mobilité et insertion**" :

Travaux et documents de L'I.R.E.M.A.M N° :6 Aix en Provence 1988.

p.109.p.111

2)Ibid. p- 111.

اضطرابات بين سكان المدن والأرياف⁽¹⁾ و يعرفها آخرون: " بأنها إحدى الظواهر الديمغرافية المميزة لبلد ما، وهي فيما الزيادة الطبيعية، وتعد المصدر الوحيد في تغير سكانها⁽²⁾.

كما تتميز الهجرة في البلاد النامية بأنها ذات اتجاه واحد من الريف إلى المدينة، ولهذا فهي تتسبب في مشاكل عمرانية في ضواحي المدن مثل نمو الأحياء القصدية والتلقائية، وما يترتب من مشكلات عديدة الآن الهجرة إلى المدينة تؤثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية للدولة وتقلل من عدد الأيدي العاملة في الزراعة وتؤدي إلى ازدحام المراكز الحضرية بالسكان الأمر الذي يعق البناء الاجتماعي عن أداء وظائفها الأساسية⁽³⁾.

إن الجماهير الريفية الجزائرية عرفت منذ الاستعمار بالإضافة إلى عملية الأرض المحروقة، عمليات أخرى كالعيش في تجمعات بعيدة عن أراضيها فعاشت فيها أنواع الفقر والحرمان المصحوبين بالضغط والإرهاب. إن سياسة التقدير التي أنتهجت من طرف السلطات الاستعمارية، والتي تأسست على قاعدتها البرجوازية الكولونيالية في الجزائر، كانت من أهم الأسباب التي حولت السكان الأصليين إلى "جيش متنقل" كما كان يسميهم المعمرون، ووصفهم أحدهم " بالتجمع الفردي من

¹ د. محمد السويدي : بدو الطوارق بين الثبات و التغير، دراسة أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي، ديوان الامطبوعات الجامعية، الجزائر 1986 ص.169

² د. فتحي محمد أبو عيانة، السكان و العمران الحضري، دار النهضة العربية بيروت، 1984 ص.38

³ د. محمد السويدي، المرجع السابق ص.170

المنبوذين من مختلف الأصول الذين يعيشون مجموعات و زمرا، سكان أصليون نزع الملكية من أراضيهم وممتلكاتهم ورمي بهم على قارعات الطريق⁽¹⁾.-

كانت هذه الحركة السكانية نتيجة لأسباب الفقر والبؤس التي لحقت بالفلاحين وكان الهدف من هذه الهجرة في أغلب الأحيان هو البحث عن العمل، وهناك دراسات أجريت في مجال الهجرة حيث توضح لنا نتائجها أن الفرد الجزائري يغادر وطنه من أجل عدة أسباب كالدراسة والعمل والصحة والزواج، ولكن ما يتجلى لنا من هذه البحوث أن العمل هو العامل الأساسي للهجرة.

ومن خلال رجوعنا إلى الوراء في تاريخ العمل الجزائري، يتجلى لنا بوضوح، صفات وخصائص المجتمع الجزائري التي تعبر عن البنية الزراعية العميقة التي تعبر وتكشف عن نفسها اليوم من خلال الفئات الاجتماعية الفلاحية العريضة المتواجدة في الريف والمساهمة اليوم في عملية التنمية وبنا مجتمع جديد.

تتقسم الهجرة إلى نوعين: داخلية وخارجية، وكلا النوعين عرفته الجزائر في فترة الاستعمار أو بعدها، و لازالت تشهدها إلى غاية الساعة.

فقد عرفت المراكز الحضرية في الجزائر موجات مكشوفة من الهجرة الريفية نجمت عنها امتدادات عمرانية جديدة معظمها من أشكال أحياء الصفيح Bidonville والبناء الفوضوي العشوائي مما نتجت عنه ظاهرة تريف المدن

⁽¹⁾ عبد اللطيف بن أشنهو، تكون التخلف في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1979 ص.451

الجزائرية إضافة إلى الضغط على المرافق، وعدم كفاية الخدمات كالسكن، التعليم، الصحة، التموين، ...

"... أصبحت المدينة هي الملجأ الوحيد، لتلبية الحاجات الاجتماعية. ونتيجة لذلك أدى توقف التوازن الاقتصادي والاجتماعي بين الريف والمدينة إلى اندماج الفلاحين بصورة جماعية في سوق العمل الحضري، وإلى تسارع وتيرة التحضر داخل المدن الجزائرية، وبروز الأحياء القصدية التي تمثل أرقى حالات أزمة الإسكان"⁽¹⁾.

إن الهجر الريفية تحدث نتيجة عوامل وتتمثل في قوى طاردة من الأرياف كالأوضاع الاقتصادية الصعبة وتفشي البطالة، وضعف الخدمات العامة كالصحة والتعليم، أما القوى الحاذبة لهؤلاء الريفيين فهو توفر فرص العمل بالدرجة الأولى إلى جانب الارتفاع النسبي للأجور والمستوى المعيشي في المناطق الحضرية، ووجود مسائل الترفيه حيث أن الجمعيات والنوادي ظاهرة اجتماعية تدل على النضج والاستجابة لمتطلبات الحياة المدنية الحديثة"².

ارتبطت أسباب النزوح الريفي بالعهد الاستعماري ففي المصادر الفرنسية تواريخ مختلفة للهجرة نحو المشرق، فالسنوات التالية تعتبر كالمعالم بارزة في تاريخ الهجرة [1830 - 1832، 1854 - 1860، 1870 - 1875، 1888 - 1898،

¹) Mohamed hasnaoui . **L’habitat dans le développement Algérien**. Colloque sur l’habitat précaire et les bidonvilles à l’est Algérien, OPU Alger Mai 1983.

² أبو القاسم سعد الله. **تاريخ الجزائر الثقافي في دار المغرب الإسلامي**. بيروت ح5 ط 1. 1998 ص 313.

1910-1911] ونعرف أ، سنة 1911 قد شاهدت هجرة غير عادية نتيجة فرض التجنيد الإجباري حيث كان بعض الحكام الفرنسيون يرخصون بالهجرة أحيانا من الجزائر لأسباب مختلفة، من ذلك الكثافة السكانية وفقر السكان بعد انتزاع أراضيهم⁽¹⁾.

عرفت الجزائر نزوحا ريفيا مكثفا بعد اندلاع الثورة التحريرية نتيجة لعمليات التشريد ولعل استمرار موجات النزوح الريفي في الجزائر بعد الاستقلال مرتبط بـ سياسة التنمية الاقتصادية والاجتماعية وعوامل أخرى كعدم توفير الحياة الضرورية بالأرياف كالكهرباء والطرق والمرافق الصحية، والهيكل التعليمية وغيرها من الخدمات الاجتماعية والامتيازات التي تحظى بها المناطق الحضرية⁽²⁾.

إلى جانب العامل السابق، ساهم العامل الإداري بدوره في تطور التحضر في الجزائر، فقد ساهم التقسيم الإداري في الجزائر إلى خلق الكثير من المراكز الحضرية وما تصاحبه من صلاحيات، إذ أن القانون الجزائري يعطي صلاحيات واسعة وهامة للمجموعات المحلية كالبليات والدوائر والولايات وهذا ما ينعكس

⁽¹⁾ المرجع السابق ج5 ص 478، ج 6 ص 313

⁽²⁾ عبد الطيف بن أشنهو، الهجرة الريفية في الجزائر، المطبعة التاريخية. الجزائر 1986 ص 11، 12.

* كانت الجزائر مقسمة إداريا على 15 ولاية ثم ارتفع العدد إلى 31 وقف التقسيم الإداري لسنة 1974،

و قد ارتفع سنة 1984 إلى 48 ولاية

بصورة واضحة على عملية التحضر ونمو المدن إذ أن هذه الهياكل تقوم بعمليات تنموية وإحداث تجهيزات في المراكز الحضرية.

و هذا العامل الإداري*يلعب دورا حاسما في تطور عملية التحضر وما ينتج عنه من إدارات وهذا ما يزيد في الوحدات الحضرية وبالتالي عدد سكان الحضر.

مشكلات التحضر في الجزائر

طرحت حركت التحضر في الجزائر عدة مشكلات اقتصادية وديمغرافية واجتماعية يمكن حصرها فيما يلي:

الهيمنة الحضرية: ظلت معظم المدن الجزائرية، تنمو حتى وقت قريب بطريقة عشوائية وفوضوية مما أدى إلى تدعيم الهيمنة الحضرية، بفعل استقطاب المراكز الحضرية للمشروعات الصناعية والهياكل الاجتماعية والثقافية، وبدأت الدولة في تنظيم نطاقها الحضري عن طريق إنشاء مراكز حضرية في الداخل والصحراء وإتباع خريطة تنموية جديدة ومدقوقة وذلك لكي تحقق توازنا نسبيا بين مختلف مستويات الهرم الحضري.

مشكلة الإسكان: تعيش معظم المدن الجزائرية اليوم، أزمة سكنية حادة بفعل النمو الحضري السريع، تحت ضغط موجات النزوح الريفي الحضري " ولعل سبب تفاقم هذه المشكلة يعود إلى نموذج التنمية الذي تبنته الدولة الجزائرية في منتصف الستينات "(1).

¹) Chérif Rahmani, Croissance urbaine en Algérie, O.P.U Alger, 1982. p.264.

و يمكن التفسير العجز في الإسكان ليس فقط بزيادة معدلات النزوح الريفي الحضري وإنما بارتفاع معدلات الزيادة الطبيعية. ومن الأسباب الأخرى التي ساهمت في مشكلة السكن، تغير نمط الأسرة من العائلة الممتدة La famille extensive إلى العائلة النووية La famille nucléaire⁽¹⁾ ولذلك زاد الطلب على السكن وتضاعف الضغط على المرافق العامة والخدمات الاجتماعية في الحضر. فقد أصبحت قضية الإسكان تشكل محور اهتمامات الدولة، حيث أن الدولة تكلفت بتمويل وإنجاز وتشجيع البناء والجهود الذاتية، وتشجيع الادخار الوطني وإنشاء البنك الوطني للإسكان إلا أن المشكلة بقيت دائما موجودة.

فقد واجهت المراكز الحضرية في الجزائر صعوبة في النمو إذ كان من أجل تلبية الحاجات الملحة فرض نمو مشاريع العمران مما أدى بالقضاء على الأراضي الزراعية التي كانت تعد مخزن المدينة.

انعكست التحولات العمرانية الواسعة التي عرفتها المدن الجزائرية إلى استقطاب أشكال جديدة من الحياة الاجتماعية، والأنشطة المتنوعة، حيث تقلصت فكرة الأرض كمحور للحياة الاقتصادية والاجتماعية وكمورق إقتصادي أساسي وعامل قوي في تماسك الأسرة، ... فكان لهذه الأسباب تأثيرات على البنية الاجتماعية ووظائفها وإلى ظهور أسلوب جديد في العيش والسلوك².

¹) Djilali Benamrane, crise de l'habitat- perspectives et développement socialiste, S.N.E.D 1980. p.173

² - محمد الهادي لعروق، المرجع السابق ص.390.

ثالثاً: البناء الاجتماعي والثقافي لمدينة الغزوات

أصبح التخطيط إحدى السمات المميزة لعصرنا الحاضر ولا شك أنه أسلوب علمي يضمن تخلص البلاد من المشكلات التي ترسبت وتراكمت عبر السنين.¹ ويضيف مالك بن نبي قائلاً: أنه أسلوب تنظيمي يهدف إلى تحقيق التنمية الاجتماعية والإقتصادية وذلك لتحقيق المجتمع وغايته حيث أن المجتمعات في تغير مستمر. إن التغيرات التي تطرأ مكونات الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ليست قضية إنشاء بنك وتسير مصنع، بل هي قبل ذلك تشيد الإنسان وإنشاء سلوكه الجديد أمام كل المشكلات⁽²⁾.

و إثر تطبيق المشاريع التنموية استفادت منطقة الغزوات كغيرها من المدن الجزائرية بإنشاء مصنعين الأول يتمثل في وحدة صناعية للتحليل الكهربائي للزنك سنة 1974 والثانية وحدة الخزف الصحي التي أنشأت سنة 1976 بضواحي المدينة.

بالإضافة إلى موقعها الاستراتيجي وإطلالتها على البحر الأبيض المتوسط وعلى ساحل طوله 50 كلم الأمر الذي ساهم في عملية الاستيراد والتصدير من أجل تدعيم الصناعة و الاقتصاد.

¹ - د. محمد السويدي. " المرجع السابق "، ص.5، 6 .

² (مالك بن نبي، " المسلم في عالم الإقتصاد"، دار الفكر - دمشق 1985 عن ط 1979 ص.61

إن التطور كان دائما سنة الحياة، ونلمس هذه الخاصية في نشأة مدينة الغزوات وأصولها المتباينة، فقد ساهمت في تأسيسها جماعات بشرية مختلفة تعود إلى عهود غابرة حيث انعكس أثر هذا التواجد نمو عمران المدينة، على طول الوادي حتى وصل الساحل وكذلك على تطور الميناء وازدهار نشاطه التجاري. فيقول " كانال. Canal " " المدينة (الغزوات) مبنية على طول الساحل لتوانت أمام شاطئ رائع يقع فوق منحدر رطب"¹ فهذا الشاطئ لم يعد موجودا اليوم بعدما أسس ميناء وازدادت أهمية المدينة الإستراتيجية بعد الحملة الفرنسية حيث اتخذتها مركز ومقر لجيشها.

فلقد شاهدت مدينة الغزوات تحولات اجتماعية وثقافية مرتبطة بالمسار التاريخي لنشاط الاقتصاد للمدينة وكذا المشاريع الحضرية المنجزة في الميدان فتحوّلت من مدينة قائمة على نشاط الصيد البحري وانتشار ثقافة بحرية في أوساط السكان إلى مدينة صناعية مع بناء مؤسسات صناعية ذات تكنولوجيا عالية².

ومن الظواهر الجديرة بالبحث، مرحلة التغير البنائي وعلاقته بالتغير الاجتماعي والثقافي لهذا المجتمع خاصة لفئة الشباب وماله من آثار مادام هؤلاء هم مستقبل المدينة ، وما آثار هذه التغيرات على استقرارهم وكذا عاداتهم.....

- الموقع الجغرافي والطبيعة المناخية لمدينة الغزوات:

¹) Canal, les villes de l'Algérie, "Nemours" Paris 1888 p.319.

² مراد مولاي الحاج، "الغزوات في ظل التحولات السوسيو ثقافية"، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجية الإجتماعية و الثقافية -هران- الجزائر العدد 5 ص. 46، 47 .

الغزوات مدينة ساحلية تقع في شمال غرب الجزائر، في سفح جبال - ترارا- تشكل في موقعها العلاقة ما بين الساحل وباقي البلاد، تبعد عه مقر ولاية تلمسان ب: 75 كلم. تمتد على مسافة 228 كلم² ¹ يحدها شمالا البحر الأبيض المتوسط، جنوبا تينانت، ومن الجنوب الشرقي ندرومة ومن الغرب السواحية ومن الشرق دار يغمراسن. أما عدد سكانها فقد بلغ 20785 نسمة سنة 1966، وارتفع إلى 64573 نسمة في آخر إحصاء سنة 1998.

إن قطاع الصيد البحري والقطاع الفلاحي يعتبران من أهم موارد معيشة السكان بالإضافة إلى قطاع الصناعة، ومن الملاحظ أن مدينة الغزوات تحتضن ميناء يعتبر من أهم موانئ الصيد البحري بالغرب الجزائري والذي أصبح يساهم بدوره بصفة فعالة في النمو الاقتصادي للمدينة وذلك بفضل نشاطاته التجارية التي تتوسع شيئاً فشيئاً. فبعدما كان يعرف بميوله نحو الصيد البحري، يتوجه اليوم نحو الصناعة بفضل الإمكانيات التي بدأت تتوفر بالناحية. "فكان الميناء يمثل بالنسبة للاقتصاد الوطني نقطة وصل مع الخارج من خلال تصدير السلع المغربية من جهة، ومن جهة أخرى من خلال تصديره المعادن من مناجم العابد"⁽²⁾. وبحكم موقعها الجغرافي الهام تتوفر مدينة الغزوات على إمكانيات معتبرة جعلت العديد من المستثمرين الخواص يهتمون بها وينوون إقامة مشاريع مختلفة تمس كل القطاعات.

¹) Pdau- phase3. Année 1995. p :2.

²) Djilali Sari." Ghazaouet, les mutations socio-économique et spatiales en Algérie . O.P.U Alger edit 1993 p.310.

وما يجب الإشارة إليه أنه رغم الإمكانيات الهائلة لمنطقة الغزوات وكذا الجهود المعتبرة للمصالح المحلية في مجال تحسين وجلب رؤوس الأموال الخاصة من أجل الإستثمار .

و على الرغم من فتح الخط البحري باتجاه إسبانيا إلا أنه لم يتم تكريس مشروع منطقة التبادل الحر⁽¹⁾.

أصول نشأة مدينة الغزوات:

الغزوات في العهود القديمة:

لو تغير الزمان واختلف المكان ورجعنا إلى هذا المكان لنعرف أصل حكايته نجده يحكي عن قصته في كل زمان، قصة مدينة الغزوات والتي هي ثمرة إنشاء مقرّ عسكري فرنسي مؤقت سنة 1844⁽²⁾ من أجل التدعيم المادي للجماعات التي تنتشط على الحدود الجزائرية المغربية وأنداك، أعطي لهذه الرقعة من الوطن " نمور - Nemours " وظهر هذا على شرف الأمير والإبن الثاني " لويس فيليب * " والملكة " أميليا " وهذا بحكم ملكي موقع بباريس في ديسمبر 1846 ونفذ في 15 فبراير 1847.

تعد مدينة الغزوات من بين المدن العريقة التي غطتها العديد من الأحداث التاريخية التي غيرت أو أثرت إلى حد ما على ثقافتها والعادات والتقاليد التي عرفت بها، ويعود ذلك لجذورها التاريخية العريقة التي اجتاحتها من الحضارات

⁽¹⁾ المصدر: دائرة الغزوات في حوصلة النشاطات لسنة 1998 .

⁽²⁾ Nemours : B.C.E.O.M. Equipement urbains Octobre 1959, p :3.

* Duc de Nemours, deuxième fils de Louis Philippe et la reine Emilie.

بموجبها غيرت من مجرى حياة شعوب هذه المنطقة. فبعدما يراها المشاهد يلمس فيها البعد التاريخي وقدم نشأتها، فأثارها لا تزال شاهدة على تلك الجذور الضاربة في تاريخها الحضاري.

ومن أهم هذه الآثار بقايا حائط لآلة غزوانة التي يطوقها وكان الحاسم في مناعتها، وآثار معركة سيدي إبراهيم التي خاضها الأمير عبد القادر أمام القوات الاستعمارية وكذلك وجود آثار المدينة التي لم تندثر وهي مدينة " تونت " العتيقة. فمنذ عهد بعيد كان خليج الغزوات محطة لفتت الأنظار وجلبت انتباه البحارة والمكتسحين الغزاة الذين تعاقبوا عبر حقبة زمنية من التاريخ.

جميعهم من الوهلة الأولى جذبوا بموقعها الجغرافي المميز وكذلك محاسن صورة خليجها الخاص والمتميز الذي اعتبر ملجأ حسن القوارب القدماء.

و إذا تحدثنا عن المدينة القديمة لا نتحدث عن غزوات اليوم، فالمدينة نفسها لم تنشأ إلا مع قدوم الفرنسيين أما المدينة القديمة فأثارها باقية في أعلى قمة الجبل من الجهة الشرقية للمدينة الحالية. فمن خلال البحوث القديمة التي أجريت على المنطقة توصل علماء الآثار لخلاصة أن " منطقة الغزوات ونواحيها كانت ومنذ أمد بعيد معمورة من شعوب مجهولة أو إذا صح القول لم يعرف أصلها. وذلك لما وجد في نواحيها من حفريات وأدوات استعملت من طرفهم "(1).

و هكذا فشاطئ الغزوات قد جلب أعين شعوب قديمة وكانت أولا مرسى للرومان القدامى الذي كان لهم الفضل في تأسيس مقر " أدفرا تراس - Ad-Fratres "(2) وتعني هذه التسمية نجو الأخوين نسبة إلى الصخرتين العظيمتين بالقرب من الميناء والتي تدعى اليوم بالأخوين أو " Les deux frères ". وقبلهم

¹) Bulletin de la SOC de GEO et D'ARCH. D'eau Tome XLV. Page :278.

²) IBID. page : 38.

الفنيقيين (1) ممن تبين أن لهم آثار ما بين مدينة الغزوات وبني صاف تدل على أنهم قد حطوا الرّحال في المدينة العتيقة وربّما كذلك اليونانيون . أما تاونت " الأمازيغية فأثارها لازالت قائمة على ارتفاع 130 متر في رأس الجبل من الناحية الشرقية للمدينة. أما إبان الحكم التركي أعطي لها اسم جماعة الغزوات.

نمت الغزوات في بداية عهدها على شكل بلدة صغيرة تمتد على الضفة لواد غزوانة ولم يسكنها إلا بعض الجنود والعساكر الفرنسيين، ثم بدأت بالتوسع خاصة بعد قدوم المزارعين والتجار الأجانب.

و لما كانت الغزوات تتميز بموقعها الجيّد، فقد كان لها الأثر في اجتذاب عدد كبير من سكان المناطق المجاورة وكذلك من أوربا. وبذلك أخذت الحياة العمرانية تتطور والمدينة تنمو وتتوسع .

النظام الهيكلي لمدينة الغزوات بعد الإستقلال إثر وضع المخططات التتموية:

تقوم مدينة الغزوات بوظائف متعدّدة تلبي حاجات ومتطلبات سكانها وإنّ التطوّر العمراني والبشري الذي مرت به هذه المدينة عبر فترات عديدة ، أدى إلى ظهور نوع من الخلط الشديد في تركيبها الداخلي واختلاف في وظيفة مناطقها المختلفة، حيث تتحوّل بعضها من أماكن تجارية إلى أماكن سكنية والبعض الآخر تحول إلى أماكن صناعية.

¹) Bulletin de la SOC de GEO et D'ARCH. Tome XLI. 1939 Page :35.

تمثل التجارة إحدى الوظائف الرئيسية لأي مدينة ، أما بالنسبة لمدينة الغزوات وبفضل موقعها على البحر ونشاط مينائها أدى بهذه المدينة إلى جلب العديد من التجمعات البشرية مما أدى إلى نموها وامتدادها وتوسعها.

ظهرت الصناعة في الغزوات في بداية الأمر على شكل حرف وخدمات صناعية، ووجود مصانع صغيرة للمعمرين الفرنسيين خاصة بتصبير السمك. وما ساعد المعمرين على إنشاء هذه المصانع الصغيرة لتصبير السمك هو وجود الميناء ووجود ثروة سمكية هائلة، وكذلك التصدير للخارج .

و بعد الاستقلال واثـر ظهور مشاريع تنمية آنذاك، شاهدت المنطقة إنشاء أهم مصنعين هما مصنع الحديد والصلب والأخر مصنع الخزف الصحي الواقع على بعد بعض الكيلومترات في غرب المدينة أما المصنع الأول فقد شيد في سنة 1947 والثاني في 1976.

و ضمن هذه الإستراتيجية التي انتهجتها الجزائر، عرفت مدينة الغزوات تغيرا صناعيا كبيرا مستفيدة في ذلك ببعض العوامل ومنها إطلالتها على البحر وتوفرها على ميناء ذوي إستراتيجية هامة وسهولة اقتنائها للمواد الأولية عن طريق البحر وعن طريق البر وذلك لتواجد سكة حديدية تربطها بداخل الوطن.

سكان مدينة الغزوات:

تعتبر دراسة سكان المدينة ذات أهمية كبرى، نظرا لأنها تسهل في فهم جميع الخصائص الطبيعية، التاريخية والوظيفية في الحياة البشرية التي تظهر عن طريق تفاعلها مع بعض، لكي تشكل " وبوضوح" العلاقة المكانية التي تربط بينهما.

و لذلك سنتصّب دراستنا في هذا الفصل بالدرجة الأولى على الجانب الجغرافي من موضوع السكان، مع تناول بعض الأسس الديمغرافية بالقدر الذي يفيد البحث.

لم تكن الغزوات في بداية نشأتها سوى بلدة صغيرة تقطنها بعض القبائل البربرية. كما كان لموقعها الإستراتيجي على البحر الأبيض المتوسط أهمية كبرى في جلب عدد من المهاجرين إليها من الخارج والداخل وذلك قصد التبادل التجاري مع دول العالم.

وهذا التأثير له علاقة بعاملين أساسيين الزيادة الطبيعية والهجرة والنزوح السكاني من الأماكن المجاورة على الغزوات وهذا لعدة أسباب سواء الأمنية منها التي عرفتها المنطقة كغيرها من مناطق الجزائر، أو المعاشية أو المهنية...

المدينة الحالية

بالنسبة للمدينة الحالية فهي مسجده فيما يلي أي فقد لخصت النمط المعيشي و كذا الأصول الجغرافية للسكان الحاليين لهذه المدينة من خلال نتائج الدراسة الميدانية المنجزة من خلال رسالة الماجستير و التي هي عبارة عن دراسة في البناء الاجتماعي لمدينة الغزوات.

الأصول الجغرافية :

كان من الضروري معرفة الأصول الجغرافية للمبحوثين باعتبارهم أفراد يعيشون حاليا في المنطقة، فهذا يعطينا فكرة عن انتمائهم. بما أن مدينة الغزوات كغيرها من المدن الجزائرية وبعد تطبيق المشاريع التنموية على هذه البقعة من الوطن، وإنشاء المصنعين بالإضافة إلى نشاط الميناء ، أصبح من المعقول أن تكون أداة جذب لليد العاملة التي كانت بالأمس تمارس نشاطات زراعية، والتي تركت أراضيها متجهة إلى المدن رغبة منها في العمل بالمصانع والحصول على مستوى معيشي رفيع وذلك بما توفره هذه المدن من رفاهية في العيش (حسب ما يضمنون) كتوفير المساكن والخدمات الاجتماعية والراتب الشهري المضمون نهاية كل شهر والتعليم بالنسبة للأبناء والتقاعد... مع أن معظم مظاهر هذه الحياة أصبحت إلى حد ما موجودة في الريف الجزائري.

و في هذا الصدد يقول بورديو *Pierre Bourdieu* "الفلاحون يتمنون كلهم وجود الفوائد في الزراعة المقترنة بالعمل الصناعي"⁽¹⁾ .

و من خلال التطلع على السجلات الانتخابية بالبلدية استطاع المسؤولون معرفة أهم التحولات على مستوى نسبة السكان⁽²⁾ للمدينة ، فمن خلالها نستطيع التأكيد على ارتفاع نسبة النزوح الريفي وقدم السكان من مناطق أخرى بغرض العمل سواء في ميادين التصنيع أو التعليم أو أعمال حرة ...

¹⁾ Bourdieu p., & Sayed : « *Le Déracinement* » édition de minuit , paris 1964. P 67.

²⁾ Pdau , plan directeur phase 3 .1995,p3.

و من نتائج قيام المشاريع التنموية في الجزائر بصفة عامة وفي مدينة الغزوات بصفة خاصة ، فقد لعب إنشاء المصانع دورا فعالا، وجاء كنتيجة لهذه العملية ، فالتغير الاجتماعي والاقتصادي للبلاد إذ أن التصنيع " يشكل الركيزة الأساسية للمشروع التنموي الذي يستهدف تكيف الجزائريين في تحويلهم إلى مواطنين عصريين"(1).

فتؤكد المعطيات الإحصائية أن في الفترة الواقعة ما بين 1966-1978 (2) نشطت فيها الهجرة نحو الغزوات حيث إن المعدلات الهجرة في هذه الفترة أكثر من غيرها ، أما عن سبب ترك الأفراد محل سكانهم الأصلي ، فتوصلت الدراسة إلى أن الرغبة في الحصول على فرص العمل تعتبر من العوامل الأساسية للنزوح حيث بلغت نسبة من أكدوا هذا الكلام ب 45 % عن القادمين المناطق الريفية وبنسبة 21 % من القادمين من المدن المجاورة .

كما توصلت الدراسة إلى إن الرغبة في تعليم الأبناء كانت من العوامل التي أدت بهؤلاء الأفراد للنزوح كما يرجع الفضل للأهل حيث ساهموا في عملية الجذب وتوفير شروط الاستقرار

الأماكن التي قطنها قبل الاستقرار:

(1) د. جمال غريد ، العامل الشائع ، انسانيات 1 1997 ص 10 .

(2) المصدر بلدية الغزوات .

بالنظر إلى تعريف الهجرة نجد انه يمكن القول أنها حركة سكانية يتم فيها انتقال الفرد أو الجماعة من الموطن الأصلي إلى وطن جديد يختاره نتيجة أسباب عديدة .

إن الهجرة حراك اجتماعي تعبر عن ردود أفعال قوية ودان أبغاد اجتماعية ونفسية واقتصادية ، والفرد يلجأ إلى الهجرة عن وعي ،لذلك تعتبر هامة في حياة الإنسان ومسار تحوله ومع ذلك يظل المهاجر مرتبطا بموطنه الأصلي عاطفيا وتاريخيا وعضويا وحتى تاريخيا .

عندما طرح السؤال حول المناطق التي قطنوها من قبل وحتى استقرارهم في مدينة الغزوات وما لاحظناه أثناء قيامنا بإلقاء الأسئلة ان أعلى قيمة سجلت هي التي خاصة بالأفراد الذين أقدموا من اجل العمل والاستقرار بعائلتهم وقد قدرت ب41% حيث ان الأفراد العينة قد قدموا من المناطق مجاورة (تونان ، لجمالة ، سواحلية جامع الصخرة ، البور ، مسيردة، باب خروفة ،تيانت ...).

أما الفئة التي تليها فقد قدرت ب 29% وقد قدموا من مدن مجاورة وتعتبر مناطق حضرية (مستغانم ، تلمسان ن وهران، ندرومة، سطيف، العاصمة ، سيدي بلعباس ، مغنية ، بني صاف ، سكيكدة، عنابة ، عين تموشنت..).

و كملاحظة هؤلاء الأفراد قد قدموا من مراكز حضرية واستقروا في البداية بمناطق ريفية مجاورة ثم انتقلوا إلى المدينة بعد ما استطاعوا الحصول على سكنات وفروها لعائلاتهم وأبنائهم.

أما ادني قيمة سجلت فقدرت ب 3% من هؤلاء الأفراد الذي سكنوا إحياء شعبية وبقوا فيها إلى مناطق ريفية محيطة بالمدينة نفسها .

ناهيك عن النسبة المقدرة بـ 7 % من الأفراد العينة تلك ، هم أبناء المغتربين الذين قضوا فترة من حياتهم في الغربية سواء في فرنسا أو المغرب وقد رجعوا إلى الغزوات قصد الاستقرار والزواج ، وهنا يمكننا التحدث عن الطابع القبلي للهجرة ومدى تمكنهم بالمحافظة على التقاليد والأعراف وهذه الأسباب كلها دفعتنا للقيام بدراستنا الحالية على الشباب ..

و بعد ما تعرضنا إلى كيفية الهجرة إلى المدينة وكيفية الاستقرار كان لابد لنا أن نطرح سؤالاً حول العلاقات الاجتماعية التي كانوا يحرصون عليها سواء في مقر سكنهم أو عملهم أو ما إذا كانت هناك علاقات مع الريف ، أو وجود أقارب لهم في المدينة، وهل هم حارسين على تبادل الزيارات مع الأقارب .

فمن خلال الدراسة الميدانية التي قمنا بها في المااستير فقد تبين من ضمن 100 مبحوث أن 40 % من أفراد عينة البحث لهم أقارب بالريف تليهم 20 % من أفراد العينة أن من ضمن الأقارب الموجودين بالريف نجد الأبوين، أما من لهم أسرهم النووية فيقدر عددهم ب 15 % ، وتعتبر أقل النسب التي سجلت إثر قيامنا بالدراسة تلك الخاصة بمن لا يزالوا يمتلكون سواء قطعة أرض أو بيتاً عائلياً (قديمًا) بالريف.

وعليه عدة أسئلة طرحت لمعرفة ما إذا كان المهاجرين الريفيين أو غير الريفيين إلى المدينة لا يزالوا حارسين ومحافظين على العلاقات العائلية و الجوارية .

حيث أن العائلة تشكل الإطار الذي يتحرك داخله الفرد في القرية في ظل انحصار القبيلة ، لان الحياة العائلية حياة إعالة وتعاضد ، يصبح الاعتداء على أي فرد من أفراد العائلة اعتداء على الذات . يكون الفرد أشبه بجزء متكامل من أداة كبيرة تؤدي عملها ككل⁽¹⁾. يتميز العمل بالطابع الجماعي العائلي ويخضع أفراد الأسرة لسلطة أكبرهم سنا .

و قد اتضح من خلال الأسئلة المطروحة على عينة البحث حيث بلغت نسبة الحرص على العلاقات القرابية والمعبرة من خلال تبادل الزيارات ، العيش بجوار الأهل وكذلك العيش معهم في مسكن واحد ب 8 %، وعلى الرغم من تأكيد الدكتور محمد السويدي في دراسة قام بها على مجتمع بدو الطوارق في الجزائر⁽²⁾ حيث يقول أن العلاقات الاجتماعية لم تتغير ، وحتى أنماط التفكير والسلوكيات التقليدية الريفية ، لا تزال تهيكلي وعي الأفراد وتتعكس في الواقع وتسير باتجاه معاكس للمشروع الحضاري القومي. وهو ما جعل المجتمع يعرف خلال واضحا في ديناميكيته . حيث أن الدكتور السويدي يؤكد في دراسته أنه نادرا

⁽¹⁾ د. محمد عاطف غيث ، "علم الاجتماع الحضري" ، مدخل نظري ، دار النهضة العربية بيروت .بت. ص 85 .

⁽²⁾ د. محمد السويدي ، "بدو الطوارق بين الثبات و التغيير ، دراسة سوسيو أنثروبولوجية في التغيير الاجتماعي" ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر. 1986. ص ص 247 -248.

ما تسكن الأسرة النووية المهاجرة في حوش مستقل ، فقد بلغت الأسرة النووية الذي يشاركها الأقارب في الحوش نفسه 53,3 % . وكذلك استمرار الزواج الداخلي داخل العشيرة .

أما العلاج فلا يزال الريفي يستخدم العلاج من المرض الطرق التقليدية الى جانب الطرق الحديثة ، أهمها زيارة أضرحة الأولياء الصالحين.

هذا ما توصلت إليه الدراسة حيث أن أفراد المبحوثين وجدوا أنفسهم مرة أخرى أمام الأهل ، أو حتى لهم أقارب يسكنون بجوارهم ، فوجودهم يشكل حافزا لارتباطهم بالقيم والمعايير ، لأنهم دائما في تفاعل فيما بينهم ، وخاصة أن هؤلاء يتبادلون الزيارات ، فهذه الأخيرة بالإضافة إلى العلاقات الحسنة مع الأقارب والجيران ترفع معنويات الفرد وتجعله يرتبط¹ أكثر بمقر سكناه.

لقد ركزت دراستنا السابقة على البحث في كيفية تحديد النمط المعيشي للأفراد في مدينة الغزوات . حيث كشفت العديد من الدراسات السابقة التي أجريت على المجتمعات الحضرية وما يميزها من تفاعل اجتماعي حضري واتساع نطاق التسامح وسيطرت وسائل الضبط بينما تسيطر قوة العرف والتقاليد على المجتمعات غير الحضرية ومن اهم هذه الدراسات تلك التي قام بها صموئيل ستوفر *Sammuel STAUFFER* والتي قام بقياس حدود التسامح في مناطق تختلف فيها درجات التحضر ، وقد توصل الى "أن سكان الحضر أكثر تسامحا من سكان المدن الصغيرة والريف الاقل تسامحا".

¹ السيد عبد العاطي السيد ، " التصنيع و المجتمع ، دراسة تطبيقية في علم الاجتماع الصناعي " ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية 1986 ص 113 .

و ما لاحظناه في دراستنا السابقة عن مدى تمسك الأفراد بالعادات والتقاليد مع دخول بعض القيم المستحدثة في طرق الحياة على الرغم ما أوضحت دراست غربية عن تحرر الفرد في المراكز الحضرية من سلطان العادات والتقاليد . وتبقى مدينة الغزوات مع أن سكانها تبنا بعض القيم الحديثة ، متشبثة بسلطان العادة والتقاليد المسيطرة عن طريقة وكيفية العيش وتوريثها للأجيال القادمة . وهذا ما يراه كذلك مصطفى بوتفوشات في تحليله للتغير الاجتماعي في المجتمع الجزائري حيث يقول : "إن استمرار تشبث الحضريين بالعادات والتقاليد تبقى يبقى الفرد دائما خاضعا لسلطانها ، إذ أنه على الرغم من أن التنمية الحضرية كان من الممكن أن تؤدي إلى التغيير بانهايار النسق القديم إلا أنها دعمت على العكس من ذلك بعض أشكال النسق القديم وخاصة في الأحياء الفقيرة"⁽¹⁾.

فطبيعة الحياة لدى سكان المدينة تبين من خلال المعطيات التي تحصلنا عليها إثر دراستنا الميدانية أن معظم أفراد العينة يقرون عن وجود روح التعاون بين الأفراد في المجتمع ألا فئة قليلة ترى أن السكان تغيروا عما كانوا عليه في السابق : أي على الرغم من وجود تعاون بين الأفراد إلا أن الفرد أصبح يعتمد على نفسه ويرى مصلحته بنفسه دون أن ينتظر المساعدة من أحد .

أوضحت الدراسة السابقة على المجتمع الغزواتي من خلال العينة المختارة أن النمط المعيشي للأفراد كرد فعل لطبيعة الحياة داخل المدينة وإبراز روح التعاون بين السكان . وقد لا يعني هذا أن الأحياء السكنية خالية من المشاكل بل فقد أبرزت الدراسة وجود مشاكل داخل الأحياء نظرا لما تعانيه المدينة من انحرافات ، الى جانب المكان الذين يعيشون فيه على الرغم من تغير السكن وتوفر جميع

¹) BOUTEFNOUCHET Mustapha ; "systeme social & changement social en Algerie" , opu Alger 1986 p 25.

متطلبات الحياة الحديثة من تأثيث وتنظيم لهذا الوسط إلا أن شكل السكن يبقى دائما يستوفي شروط البناء في هذه المدينة .

كما تغيرت أدوار الزوجة في طبيعة العلاقات الأسرية وأصبحت من ذوي الحقوق ، ولكن تبقى العادات والتقاليد هي الطاغية في تسيير هؤلاء الأفراد .

و يمكننا أن نستخلص مما سبق أن النتائج المتوصل إليها في البحث كانت عبارة عن تمهيد لما سنقدمه في بحثنا القادم ، حيث أنه من خلال المعطيات الأولى عن عينة البحث يمكننا أن نتطرق إلى مدى حرص هذه الفئة (ونقصد فئة الشباب التي ستقام عليها دراستنا الحالية) على العلاقات الأسرية والنمط المعيشي ، هل لا يزالوا متمسكين بقيم وعادات آبائهم وأجدادهم أم هناك قيم ومعايير وأفكار حلت محلها ؟ عدة أسئلة لا بد من طرحها والإجابة عنها في الفصل الموالي (الدراسة الميدانية) من بحثنا هذا .

خلاصة :

إن اهتمام الأنثروبولوجيين بدراسة البناء الاجتماعي لمجتمع ما ، هو الكشف عن خصائصه العامة و طبيعته الحضارية. و للحديث عن التحضر في الجزائر لا بد من الرجوع إلى الجذور التاريخية لظهور تجمع بشري يحمل السمات الحضرية ، و هذا يكون مشروطا بنشأة أول المدن في الجزائر و التي تعود إلى عهود قديمة ، و عملت عوامل عديدة على انتشارها و تطورها كظهور الصناعة مثلا و منها ما هو اجتماعي و علاقته بتصاعد الهجرة .

و ختمنا الفصل بتعريفنا لمدينة الغزوات الذي هو مكان إجراء الدراسة و تعتبر أقصى مدن الساحل الغربي الجزائري بما تحملها من مميزات المدينة الحضرية و المجتمع الذي نحن بصدد دراسته، علما أن المعطيات الميدانية و النتائج المتوصل إليها في دراستنا السابقة للماجستير كان تمهيدا و أرضية للقيام بالبحث الحالي و الذي سوف نرى نتائجه في الفصل الموالي.

الفصل الرابع

المهانة الميدانية للممارسات الثقافية في الوسط الحضري

أولاً: إجراءات الدراسة الميدانية

- منهج الدراسة:

في ضوء طبيعة الدراسة ، وهدفها ، يتم بحث التساؤلات التي أثارها مشكلة البحث ، في إطار تركيبة منهجية ، و في إطار تركيبة أخرى من الأدوات التي تناسبها تحقيقا للأهداف المكتبية و الميدانية.

اعتمدت دراستنا على المنهج التاريخي ، في بعض جوانبها النظرية خصوصا فيما يتعلق بتناول وضعية المجتمع الجزائري. كما أن هذا المنهج يتيح لنا فهما أوسع للتغيرات الاجتماعية التي مست مجتمع الدراسة ، و ذلك عند استعراضنا لتاريخ مدينة الغزوات ، نشأتها و تطورها عبر مختلف الفترات التاريخية.

و قد استعانت دراستنا الحالية ببعض مبادئ المنهج الأنثروبولوجي* من خلال التعرف على الخلفية الاجتماعية للوسط الحضري.

- عينات الدراسة:

اقتضت طبيعة هذا الموضوع الذي تدور حوله الدراسة ضرورة بحث ميداني على مستوى العينة، وقد اعتمدنا اختيار عينة من عدة أحياء سكنية بالمدينة و قد قمنا باختيارها سعيا لتحقيق أعلى درجات التمثيل .

إن هذا الاختيار يمكننا من تحليل الممارسات الثقافية في المدينة و المعرفة أوجه ردود الفعل نحو نوعية الحياة و من تم يمكن لهذه الطريقة أن تساعدني في معرفة تأثير في الحياة الفرد و من هنا تمكن الأهلية العلمية للبحث.

* من الدراسات التي اعتمدت على المنهج الأنثروبولوجي في الجزائر ، دراسة : محمد السويدي : التخطيط و التغيير في مجتمع الطوارق (مرجع سبق ذكره في البحث).

كما كان من المستحيل إجراء الدراسة على كل التجمع البشري فقد عمدنا إلى طريقة العينة ونظر للعدد الكبير لأفراد الشباب وصعوبة الحصول على المعلومات من كل أفراد علاوة عن محدودية الإمكانات الزمنية والمادية، فقد عمدنا إلى استعمال "العينة الحصية"⁽¹⁾ وهي العينة الاحتمالية تقدم لنا مجتمعا صغيرا تتجلى فيه مميزات المجتمع الكبير ولذلك يمكن الاعتماد عليها كوسيلة أساسية في البحث.

و فيما يلي بيان يوضح خصائص عينة البحث ، حيث بلغ حجم عينة البحث حوالي 100 فردا منتقاة من أحياء سكنية مختلفة من مدينة الغزوات التي تعتبر المكان الذي أجريت فيه الدراسة الميدانية و قد روعي في اختيارها المعايير و الصفات التي سوف نتطرق الى تجليها من خلال التعريف بأفرادها وهي موزعة كالتالي:

1. توزيع أفراد عينة الدراسة حسب الجنس :

جدول رقم 01

الجنس	التكرار	النسبة
-------	---------	--------

¹ - محمد رمضان، "أنماط التكيف الاجتماعي و الثقافي في الأحياء الجامعية، دراسة ميدانية"، رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص أنثروبولوجيا ، معهد الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان 1995 ص 21. *يعتمد الباحث في هذه العينة على اختيار حصة من مجتمع البحث ، شأنها في ذلك شأن العينة الطبقية، إلا أن عملية اختيار العينة الحصية لا تعتمد على العشوائية ، بل أن الباحث يملك من الحرية لتحديد الحصة التي يرغب فيها داخل كل الفئات و تساعد هذه التقنية على التخفيف من مشاق البحث و تكاليفه . لأن العينة الحصية تعتمد على اختيار أفراد العينة من بين الجماعات أو الأفراد ذات الخصائص المعينة و ذلك نسبة الحجم العددي لهذه الجماعات.

68	%68	ذكر
32	%32	أنثى
100	%100	المجموع

يتضح من خلال الجدول أعلاه أن اغلبيه أفراد عينة الدراسة من الذكور

حيث بلغ عددهم 68% فيما لا تتعدى عدد الإناث 32% ويمكن تفسير نسبة

ارتفاع الذكور على نسبة الإناث يرجع إلى مدى تجاوب فئة الذكور إلى

مجريات البحث والتعاون مع الباحثة .

2. توزيع فرد عينة الدراسة حسب السن :

جدول رقم 02

النسبة	التكرار	السن
%25	25	20-28
%12	12	23-21
%11	11	26-24
%18	18	29-27
%21	21	23-01
%13	13	35-33

كان القصد اختيار فئة الشباب والذي يتراوح معدل سنهم بين 18-35 سنة
قصد القيام بهذا البحث . لأنها

3. جدول يمثل الحالة العائلية للمبحوثين :

جدول رقم 03

النسبة	التكرار	الحالة العائلية
39%	49	أعزب
57%	47	متزوج
01%	01	أرمل
03%	03	مطلق
100%	100	المجموع

خصوصيات المبحوثين

لمعرفة خصوصيات أفراد العينة طرحنا عدة أسئلة تمثلت فيما إذا كان المبحوثين يتابعون دراسة ، تكوين أم دو مهن ثابتة فعندما تكون العينة متنوعة يعملون بالشركة الوطنية الحديد والصلب، ومن يعمل صياد والبطالون و تجار منتمين إلى قطاع رسمي والغير رسمي وحرصنا على طرح العديد من الأسئلة أخرى مرتبطة كل بمستواهم الدراسي ن ما إذا كانوا يزاولون تكويننا والحرص على إتقان اللغات الأجنبية .

4. جدول يمثل تقسيم أفراد العينة حسب المهن

جدول رقم 04

المهنة	التكرار	النسبة
عمال	11	11%
طالبة	23	23%
صيادون	23	23%
تجار قطاع الرعي	32	32%
الحرف	11	11%
المجموع	100	100%

ذو يتضح من خلال الجدول انه قد تم تقسيم العينة حسب الفئات منهم 11% من العمال الذين ينتمون إلى قطاع العام فمنهم من يعمل في الشركة الوطنية للزئك ومنهم من يعمل بشركة تحويل الخشب ومنهم يعمل بشركة الخزف الصحي.

إما الفئة الثانية فهم صيادون ويقدر عددهم بـ 23%، أما نسبة الطلبة فقدت نسبتهم 23% أيضا ينتمون إلى مستوى جامعي والثانوي فئة التجار الذين ينتمون إلى القطاع الرسمي فقد عددهم بـ 32% أما الباقون هم على حد سواء إما من يمارسون التجارة الغير مشروعة التهريب عبر الحدود أو البطالون .

5. جدول يمثل أفراد العينة حسب المستوى الدراسي

جدول رقم 05

العينة	التكرارات	النسبة
لاشيء	-	-
الإبتدائي غير مكمول	-	-
الإبتدائي مكمول	-	-
المتوسط غير مكمول	-	-
المتوسط مكمول	19	19%
الجامعي	56	56%
التمهين	10	10%
أخرى	15	15%
المجموع	100	100%

من خلال ملاحظة الجدول أعلاه يتضح إن أكثر نسبة هي 65 % وهي نسبة من هم متحصلين سواء على شهادات جامعية أو هم مازالوا يزاولون دراستهم في الجامعات تليها نسبة 19 % وهم من زاولوا دراستهم المتوسطة وهم أما ثانويين أولهم مستوى ثانوي اننا 15 % فهي الفئة التي تزاول أو حصلت على

شهادة التكوين المهني سواء في حرف كالسباكة والتلحيم أو في السكرتارية والإعلام الآلي .

أما النسبة الباقية 15 % فمثلتها الفئة المتخصصة على أما تكوين بالمراسلة لإتقان اللغات أو امتنعوا عن الإجابة .

جدول يمثل تقسيم أفراد العينة حسب إتقان اللغات الأجنبية

جدول رقم 06

العينة	التكرار	النسبة
فرنسية	40	40
ألمانية	02	02
انجليزية	23	23
اسبانية	19	19
ايطالية	08-	08-
أخرى	08-	08-
المجموع	100	100

نستخلص من خلال الجدول أعلاه أن نسبة كبيرة من عينة الدراسة تتقن اللغة الفرنسية وقد قدرت بـ 40 % تليها الانجليزية بنسبة 23 % ثم الاسبانية بـ 19 % والايطالية والالمانية على التوالي بنسبة 08 % و 02 % .

- تقنيات الدراسة:

تتجسد القيمة العلمية و الاجتماعية في البحث العلمي و النتائج المتوصل إليها جوهر المشكل و هذا لن يأتي إلا باستخدام تقنيات البحث التي تعتبر أساس نجاح أي عمل علمي⁽¹⁾.

كل بحث سواء كان نظري أو ميداني مبني على أساس منهجية مدققة ، و محكمة من اجل الوصول إلى هدف المرجو منه ، وبالتالي إيصال للقارئ الفكرة المراد إبرازها للوجود ، في هذا البحث استعنا بطريقة منهجية تتماشى مع طبيعة موضوعنا ، بعبارة أخرى، أن إشكالية بحثنا و الفرضيات هي التي فرضت علينا التقنيات التي أوجبت استخدامها. لهذا استعملنا المقابلة الحرة، وخاصة في الاتصالات الأولية و هذا يرجع إلى عدة أسباب منها:

- كسب ثقة المبحوث من خلال التحدث عن مواضيع مختلفة و بالتالي معرفة بعض المعلومات و اكتساب بيانات مسبقة لتحضير أسئلة هادفة .
- جمع معلومات و اكتساب بيانات مسبقة لتحضير أسئلة هادفة .
- جمع معلومات أكثر من ميدان البحث لمعرفة أبعاد الموضوع.
- تشكيل و بناء الأسئلة النهائية لاستمارة المقابلة .
- اختيار الأسئلة الجيدة التي تمس من قريب الموضوع .
- و الهدف من هذه التقنية تعود المبحوث على رؤيتنا ، و اطمئنانه على كل معلومة يفيدنا بها ، و في هذه الآونة بالذات استخدمنا المقابلة المقننة ، كما أن طريقة المقابلة هي الوسيلة لتحقيق فرضياتنا. ما دام أن إشكالية البحث

¹ رمضان محمد ،المرجع السابق ، ص 20 .

تدور حول جمع معلومات كيفية أو مبينة، فالأسئلة التي استوحيناها بشكل عام تحتوي على المتغيرات التالية: العمر - الحالة الاجتماعية - المستوى الدراسي - العلاقات العائلية...إلخ.

إلى جانب المقابلة الحرة و المقننة استعملنا أيضا الملاحظة المباشرة و كان الهدف منها هو تفادي طرح بعض الأسئلة المتعلقة بالتغيرات كعملية التقليد و الحداثة و كذا التحول و الاستمرارية التي يعرفها المجتمع و غيرها ، فإن مثل هذه المعلومات تستجيب استخدام الملاحظة المباشرة و تدوينها.

- الأدوات الإحصائية:

نريد من خلال هذه الدراسة الإجابة عن بعض الجوانب الهامة التي ينفرد بها الشباب و لعل من أهمها :

- الإجابة عن بعض التساؤلات الهامة و فحص أبعادها للوقوف عند بعض القضايا التي تبرز تصرفات يومية.

- إبراز العلاقة بين هذه المعطيات و مجال آخر من الممارسات الثقافية التي يلتزم بها الشباب في تصرفاتهم اليومية سواء في علاقته بالآخرين أو من حيث العلاقة مع القيم و العادات و التقاليد...

بعبارة أخرى مدى تأثير و تمثل الشباب للثقافة الحضرية ، إن هذه الأبعاد هي التي ساعدتنا على اعتماد التحليل الإحصائي الاستدلالي بالإضافة إلى الإستدلال الوصفي . و هي تعتمد على الأساليب البسيطة التي استعملها " Lazarfield " ⁽¹⁾.

- صعوبات الدراسة:

¹ د . بوشنافي بوزيان ، التحضر و الثقافة الحضرية، مرجع سابق ص 63 .

مما لا شك فيه أن إنجاز أي بحث يواجه فيه الباحث جملة من الصعوبات، يمكن إجمالها فيما يلي:

- قلة المراجع التي تعالج الموضوع باللغة العربية فأكثرها باللغة الأجنبية و غير متوفرة في معظم المكتبات.
- صعوبات في إجراء المقابلات مع أفراد العينة .
- قلة المراجع التي تتحدث عن النمط المعيشي لسكان السواحل إن لم نقل انعدام هذه المراجع في المكتبات.

ثانياً: عرض و تفسير نتائج الدراسة:

مهنة و خصوصيات أولياء المبحوثين:

- المستوى الدراسي للوالد:

(جدول رقم 07)

الأب	التكرارات	النسبة
------	-----------	--------

لا شيء	15	15%
الابتدائي	29	29%
المتوسط	32	32%
دراسات عليا	00	00%
أخرى	24	24%
المجموع	100	100%

يلاحظ من الجدول أعلاه أن أعلى نسبة بالنسبة لأولياء المبحوثين قدرت بـ 32 % و أن هذه الأخيرة تمثل المستوى الدراسي المتوسط للآباء, كما نعلم أن هذه الفئة من أولياء المبحوثين تعتبر الجيل الثاني من الأبناء المهاجرين إلى المدينة و استقروا فيها أو هم من السكان الأصليين للمدينة الذي كان لهم احتكاك بالفرنسيين . كما نعتبر أن التدريس أصبح من الضروريات فنجد أن الفئة الثانية والمقدرة بـ على التوالي 29% ثم 24 % ، فالأولى مستواها الدراسي لا يتعدى الابتدائي أما الثانية فهي ذات أصحاب الشهادات و الكفاءات المهنية . أما 15 % فهم الأفراد الذي لم يكن لهم الحظ في التعليم . بالنسبة لذوي الشهادات الجامعية فهي منعدمة بالنسبة لأفراد هذه العينة.

- المستوى الدراسي للأم:

(جدول رقم 08)

الأم	التكرارات	النسبة
لا شيء	10	10%
الابتدائي	19	19%

المتوسط	23	%23
دراسات عليا	02	%02
أخرى	37	%37
المجموع	100	%100

كشفت الدراسة كما يتضح من الجدول أن المستوى الدراسي للأمهات تختلف نسبة من تلك التي قد لاحظناها في الجدول السابق و الخاص بالآباء ، و هذا لا يذل إلا على أن نسبة الفتيات أكثر تفوقا في الدراسة من الذكور .

على الرغم من وجود أمهات ماكنات بالبيت و التي تقارب نسبة 55 % إلا أنه نجدهن متحصلات على شهادات سواء عليا و قد قدرت بـ 02 % على الرغم من انعدامها لدى أرباب الأسر . بالنسبة للتعليم المتوسط فقدت بـ 23 % تليها مباشرة الابتدائي بـ 19 % ، أما ذوي الكفاءات ، فقد قدرت بأعلى نسبة 37 % . فنجد أن معظم هؤلاء الأمهات على الرغم من مكوثهن في البيت إلا و أنهن يقمن بأعمال منزلية سواء الخياطة ، الطرز ، نقش الصوف ، الحياكة ، صنع الحلويات ...

- نوعية الحي السكني للمبحوث:

يُعدُّ الاجتماع الإنساني والعيش في مجموعات من أهم الخصائص البشرية، بل عدّه ابن خلدون من "الضروريات الإنسانية، وذلك للأُنس بالعشيرة ولزوم اقتضاء الحاجات كما في طبع الإنسان من التعاون على المعاش؛ فالقبائل الرحل تنتقل في جماعات، وتضرب خيامها على شكل مجموعة"¹. وعندما استوطن الإنسان

¹ ابن خلدون ، مرجع سابق ص 219

وظهرت القرى، وخطاً بعد ذلك المدن؛ تميزت مستوطناته العمرانية بمكوناتها من الأحياء السكنية. والحي السكني نسيج عمراني بخصائص اجتماعية وبيئية وخدمية تحقق متطلبات سكانه ضمن مفهوم الطبيعة البشرية للاجتماع والتعارف - ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا﴾ "سورة الحجرات الآية رقم 13" - والتعاون فيما بينهم .

وتُعدُّ الأحياء السكنية إحدى حلقات الانتماء الإنساني للمكان، التي تبتدئ بانتماء الإنسان إلى المسكن، وتنتهي بانتمائه لمدينته و لوطنه؛ فيجب - إضافة إلى ما يوفره الحي السكني من متطلبات الحياة اليومية للسكان - أن يقوِّي روح الجماعة والتقارب بين سكانه .

وما الحي السكني إلا جسد وروح، يتكون الجسد من عناصر الحي ومكوناته العمرانية والمعمارية، (مثل: الشوارع وبنائها التحتية، والحدائق، والساحات والمسكن، والمساجد، والأسواق، ومباني الخدمات الأخرى)، وأما روحه فتظهر وتسمو بالعلاقات الإنسانية (الاجتماعية منها والبيئية والنفعية) بين السكان وبينهم وبين محيطهم العمراني والبيئي .

وإذا عُلم ذلك وجب على المصممين والمخططين العمرانيين التعامل مع تصميم الحي السكني بوصفه كياناً يتفاعل مع متطلب العلاقات الإنسانية الإيجابية بين السكان وبيئتهم السكنية العمرانية والطبيعية، وأن يعامل الحي السكني بوصفه كائناً حياً قابلاً للنمو الديناميكي المتفاعل مع الاحتياجات المتغيرة للسكان، مع العناية بالاستدامة البيئية، وتقوية الروابط الاجتماعية، والعمل على خفض تكاليف إقامة الأحياء السكنية وصيانتها.

جدول يمثل نوعية الحي السكني

(جدول رقم 09)

النسبة	التكرارات	نوعية الحي
12%	12	راقي
40%	40	متوسط
30%	30	شعبي
00%	00	ريفي
18%	18	أخرى
100%	100	المجموع

من خلال ملاحظة الجدول يتضح أن أكثر من نصف أفراد عينة الدراسة يتمركزون في أحياء سكنية متوسطة و شعبية مقدرة بـ 40 % للأحياء المتوسطة أي تلك الأحياء التي تتوفر فيها مرافق الحياة الحضرية و لكن لا تصل إلى الرقي فهي إلى حد ما بعيدة عن تلك الأحياء الشعبية التي أزقتها ضيقة غير معبدة ولا يصل إليها الغاز الطبيعي ، أما النسبة التي تلي النسبتين السابقتين ، و هي الأحياء الوظيفية و قدرت بـ 18 % أما 12 % من أفراد عينة البحث يسكنون في حي راقى. فنجد أن مثل هذه الأحياء أصبحت منتشرة عبر جميع مدن الجزائر، بينما كانت جد منتشرة في الفترة الكولونيالية ، و أصبحت مثل هذه الأحياء خاصة في المدن الصغيرة التي عرفت نزوحا ريفيا بعد الاستقلال تعرف بأحياء سواء متوسطة أو شعبية ، في الآونة الأخيرة عرفنا أحياء تميزت بالرقي في البناء ، نظافة في شوارعها و طرقاتها ، إضافة إلى نوعية الخدمات بهذه الأحياء ، و حضرية ممارسات أهاليها لطرقت عيش راقية.

السكن: (نوعية السكن)

تم تعريف السكن من قبل العديد من فقهاء القانون، حيث كانت هذه التعريفات على النحو التالي¹:- "المسكن هو المأوى الذي يقيم فيه الإنسان والمكان الذي يعده لسكنائه حتى ولو لم يكن فيه، وهو مستودع أسرارته ومكان راحته".

أما الدكتور ممدوح بحر فقد عرف المسكن على أنه "المكان الذي يخلو فيه الإنسان إلى نفسه فيعيش في مناجاة مع ذاته بعيداً عن أعين الرقباء، نائباً عن عيون وأسماع الآخرين. فيودع فيه خصوصياته وأسراره وينفرد بذاته وبأسرته وبالمقربين إليه¹".

و قد عرف على أنه " كل مكان يتخذ الشخص لنفسه على وجه التوقيف أو الدوام بحيث يكون حرماً آمناً لا يباح لغيره دخله إلا بإذن منه²". وهو أيضاً " المحل الذي لا يسمح بدخول الناس فيه إلا بإذن أصابه أو بإذن من القاضي أو وكيل النيابة المختص".

ويعتبر مفهوم السكن مفهوم نسبي يختلف باختلاف الزمان والمكان، بمعنى أن ما يعد عند أهل البادية والصحراء مسكناً لا يكون عند غيرهم من أهل المدن، فبيت الشعر بالنسبة للبدوي هو مسكنه الذي يعيش فيه وهو المكان الخاص الذي يأوي إليه.

ويكفي أن يكون ساكن البيت مالكاً لحق الانتفاع دون الرتبة أو مستأجراً أو مستعيراً أو حائزاً حياة عرضية ترتكز إلى أسباب ظاهرة مشروعة. ولا أهمية لهيئة السكن ولا للمادة التي صنع منها فيصح أو يكون بيتاً أو كوخاً أو خيمة وقد يكون مصنوعاً من الطوب أو الخشب أو القماش.

¹ ابراهيم، حازم وآخرون "الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدن"، مركز الدراسات .التخطيطية والمعمارية، القاهرة 1986 . ص 32 .

² أكبر، جميل : "عمارة الأرض في الإسلام" - دار القبلة - جدة 1992 . ص 98

- جدول يمثل مسكن المبحوث خلال السنة:

(جدول رقم 10)

النسبة	التكرارات	السكن
67%	67	- مع العائلة
03%	03	- وحده
04%	04	- مع الأصدقاء
26%	26	- داخلي
100	100	المجموع

يتضح من خلال الجدول السابق أن 67 % من أفراد العينة يسكنون مع الأهل ، أما الفئة المتبقية مقسمة على أن 26 % من الأفراد هم طلبة داخليين في جامعات أو مؤسسات تعليمية أو تكوينية ، أما 07 % من أفراد العينة فهم إما يتقاسمون مساكنهم مع الأصدقاء : فهم من مدن أخرى قد قدموا إلى هذه المدينة من أجل العمل سواء في الميناء أو أحد المصنعين أو حتى التجارة . أما 03 % ممن يسكنون وحدهم فهم إما مستأجرين مساكن بالمدينة أو أولياءهم يمتلكون هذه المساكن ، و بعدما رجعوا الى مواطنهم بقي الأبناء بهذه المساكن.

- جدول يمثل مسكن المبحوث خلال الصيف : (العطلة)

(جدول رقم 11)

النسبة -	التكرارات -	السكن -
70%	70	مع العائلة
03%	03	وحده
26%	26	مع الأصدقاء
01%	01	

		داخلي
100	100	المجموع

خلال فترة الصيف أو العطلة السنوية الصيفية، يقصد معظم المبحوثين منازلهم. قدرت بـ 70 % فهم يعيشون بصفة دائمة في فترة الصيف مع الوالدين أو العائلة. أما 26 % فهي فترة متقلبة بالنسبة لبعض أفراد العينة الذين يقصدون الأصدقاء لقضاء فترة الصيف على شاطئ البحر أو غيره ... بالنسبة للداخليين فهم من طلبة الطب و يقضون فترة الصيف في تريض بالمستشفيات.

- جدول يمثل ما إذا المبحوث له غرفة خاصة :
(جدول رقم 12)

النسبة	التكرارات	
49 %	49	نعم
51 %	51	لا
100	100	المجموع

فقد طرحنا سؤالاً على أفراد العينة لمعرفة ما إذا كانوا يمتلكون غرفة خاصة بهم ، فنجد أن الإجابة كانت متقاربة ، فالفارق كان 02 % فقط . فنجد أن 51

% من أفراد العينة لا يمتلكون غرفا خاصة بهم ، أما 49 % من أفراد العينة يمتلكون غرفا خاصة بهم . و على إثر هذا السؤال طرحنا سلسلة من الأسئلة كانت على النحو التالي:

فقد كان بوجدنا أن نعرف ما إذا كان لهم ممتلكات خاصة بهم ، هذه الممتلكات الثقافية التي يمكن أن تحدد لنا الممارسات الثقافية و الاجتماعية التي يمكن أن توجه الأفراد في حياتهم اليومية ، و مدى تشبثهم بثقافات الأهل: أي الثقافة الأصلية ، و ما هي التغيرات الثقافية التي يمكن أن توجه ممارساتهم اليومية من خلال اهتماماتهم.

و قد تمثلت هذه الممتلكات الخاصة في:

المدياع ، الأشرطة و الأقراص المضغوطة ، التلفاز ، الحاسوب ، آلة رقمية للتصوير، الهوائي المقعر ... وغيرها مما ابتكرت التكنولوجيا الحديثة من وسائل الاتصال

و على إثر طرحنا لهذا السؤال و المتمثل في ما إذا كان بحوزتهم مثل هذه الممتلكات الثقافية الخاصة ، فقد كانت إجابة معظم المبحوثين على امتلاكهم لأكثر من شيء ، باعتبار أن معظم لهم القدرة في شراء هذه المواد لعرضها و توفرها في السوق الوطنية ، و كذا التسهيلات التي قدمت لهم من أجل الحصول عليها، سواء الشراء بالتقسيط أو لاقتناء مختلف المواد بأسعار مختلفة سواء الثمينة أو الرخيصة .هذا ما كنا لا نراه في الفترة التي تلت الاستقلال : أي سنوات السبعينيات ، حيث أن معظم العائلات لم تكن تستطيع الحصول حتى على ضروريات الحياة اليومية كوصول المياه في الحنفيات ، الثلاجة ، الغاز الطبيعي

... و غيرها ، فأصبحت اليوم مثل هذه الكماليات (آلة التصوير مثلا) من الضروريات لدى شبابنا مهما كان مستوى عيشه .

ارتأينا أن نطرح سؤالا على أفراد عينة البحث و هو يتعلق بما إذا كان لهم مكتبة خاصة ، بما أن التكنولوجيا الحالية و المكتبة الغير مرئية أو - le virtuel - أصبحت اقتناء سهل بحوزة معظم من يستعمل الإنترنت. فيمكنك البحث عن أي مرجع أو مصدر قديم بمجرد أنك تدعك على زر و تشغل محرك بحث على الوب أو أأنت . فهل امتلاك الكتب أصبح ممارسة ثقافية قديمة لدى شبابنا؟.

- جدول يمثل ما إذا المبحوث له مكتبة خاصة :

(جدول رقم 13)

النسبة	التكرارات	مكتبة خاصة
86 %	86	نعم
24 %	24	لا
100 %	100	المجموع

يتضح لنا من الجدول أعلاه أن 86 % و هي الأغلبية لأفراد مفردات البحث تمتلك مكتبة خاصة ، أما الباقي و المقدر بـ 24 % فهم الذين ليست لهم ميول للقراءة أو المطالعة .

ولهذا كان لا بد من طرح سؤال آخر و هو عدد الكتب الذي هي بحوزتهم ، هل تكفي لأن نقول أنهم يمتلكون مكتبة خاصة . و السؤال كان على النحو التالي على كل فرد من أفراد العينة:

- فإذا كان لك مكتبة خاصة فبكم يقدر عدد الكتب الذي تمتلكها؟".

- جدول يمثل عدد الكتب الذي بحوزة المبحوث:

(جدول رقم 14)

عدد الكتب	التكرارات	النسبة
أقل من 10 كتب	30	30 %
أكثر من 10 كتب	35	35 %
أكثر من 20 كتابا	45	45 %
أكثر من 50 كتابا	11	11 %
المجموع	100	100 %

أجاب 45 % من أفراد العينة أنهم يمتلكون أكثر من 20 كتابا ، و 35 % أكثر من 10 كتب أما الذي بحوزتهم أقل من هذا العدد فهم يقدرون بـ 30 % ، الفئة الضئيلة المقدرة بـ 11 % ممن يمتلكون أكثر من 50 كتابا .

و من هنا طرحنا سؤالا آخر ما إذا كانت لهم اهتمامات طول السنة لاقتناء و شراء كتب هم بحاجة إليها أو لمطالعتها ، فأجاب المبحوثين على النحو التالي:

- جدول يمثل عدد الكتب المشتريه من طرف المبحوث خلال السنة

(جدول رقم 15)

شراء كتب	التكرارات	النسبة
نعم	45	45 %

لا	55	55 %
المجموع	100	%100

إن معظم المبحوثين و المقدرين بـ 55 % لم يشتروا ولا كتبا واحدا خلال هذه السنة ، و بالتالي طرحنا عليهم سؤالا ما إذا كانوا يحبذون قراءة المجلات أو الجرائد.

نلاحظ أن معظم أفراد عينة البحث يفضلون قراءة الجرائد اليومية لما تحمل لهم من أخبار خصوصا الرياضية بالنسبة للذكور و كل ما هو متنوع من أخبار بالنسبة للفتيات . أما المجلات فنرى أن الفتيات هم الأكثر إقبالا على قراءتها لما تتضمن مواضيع تهمهم.

- جدول يمثل مكان شراء الكتب
(جدول رقم 16)

النسبة	التكرارات	مكان شراء الكتب
13 %	13	مكتبة
17 %	17	على الرصيف
00 %	00	الأكشاك
03 %	03	معرض للكتاب
67 %	67	حالات أخرى
%100	100	المجموع

نلاحظ من خلال الجدول السابق أن 17 % من أفراد العينة يشترون كتبهم على الأرصفة لما تقدمه مثل هذه المبيعات كتب نادرة و قديمة ، يمكنهم الحصول عليها ، و لا توجد بالمكتبات ، بينما يفضل 13 % من أفراد العينة

شراء كتبهم في مكتبات خاصة بذلك. 03 % يفضلون معارض الكتب لشراء ما يلزمهم و هم يعللون أن المعارض لا تلبى ما يحتاجونه من متطلبات و لكن ما يجلبهم إليها هو الثمن ، أما الفئة الباقية و المقدرة ب 67 % فسواء قد امتنعوا عن الإجابة أو يفضلون الحصول على كتب من طرف أصدقاء أو أقارب أو الوالدين أو المطالعة في أماكن عمومية . أما الأكتشاك التي تباع الكتب فهي تتعدم في مكان الدراسة.

- جدول يمثل نوعية الكتب التي يقرأها المبحوث :

(جدول رقم 17)

النسبة	التكرارات	نوعية الكتب
03 %	03	قصص
21 %	21	تاريخية
06 %	06	فلسفية
08 %	08	سياسية
22 %	22	دينية
03 %	03	فنية
24 %	24	علمية
13 %	13	أخرى
100 %	100	المجموع

من خلال البيانات المتضحة على الجدول يتبين لنا أن معظم الأفراد يودون القراءة أو مطالعة ما يروق لهم و هم يميلون بالخصوص إلى الكتب العلمية بـ 24 % ، ثم الدينية بـ 24 % بعدها التاريخية بـ 21 % أما الباقي فقد انقسم على النحو التالي 08 % من أفراد العينة يودون قراءة الكتب السياسية ، 06 % يفضلون الكتب الفلسفية أما الكتب الفنية و المتمثلة في كتب الطبخ و التدابير المنزلية فقد قدرت بـ 03 % .

- جدول يمثل لغة القراءة

(جدول رقم 18)

النسبة	التكرارات	اللغة
43 %	43	عربية
50 %	50	فرنسية
07 %	07	أخرى
100 %	100	المجموع

يتضح من خلال الدراسة أن معظم أفراد عينة البحث يفضلون القراءة سواء باللغة الفرنسية أو العربية و كانت النسب إلى حد ما متقاربة ، فبالنسبة للغة الفرنسية فقدرت بـ 50 % و العربية بـ 43 % .

07 % من الفئة المتبقية فهي تفضل المطالعة بلغات أجنبية تتقنها، فتعلل إجاباتها على أن لغة المطالعة لا تنحصر في العربية أو الفرنسية فإنها تفوق ذلك ما دام الفرد أراد التثقيف من وراء ذلك.

كيفية قضاء وقت الفراغ:

و قصد معرفة ما إذا كان الشباب يحب المطالعة أم لا فقد طرحنا السؤال لمعرفة ما إذا كان مشترك في إحدى المجلات، الجرائد أو المكتبات العامة، و كيفية قضاء أوقات الفراغ .

جدول يمثل الاهتمامات الثقافية لدى الشباب
(جدول رقم 19)

النسبة	التكرارات	الاشتراك في
00 %	00	جريدة
02 %	02	مجلة
36 %	36	مكتبة عامة
62 %	62	حالات أخرى
100 %	100	المجموع

فقد طرحنا سؤالاً على أفراد عينة البحث لمعرفة ما إذا كان لهم اهتمامات ثقافية أثناء قضاء أوقات فراغهم ، فلاحظنا خلال الإجابات التي تحصلنا عليها أن معظم أفراد عينة البحث لها اهتمامات أخرى غير ذلك المتعلقة بالاشتراك في جرائد أو مجلات ، إذ كانت إجاباتهم على التوالي 00 % بالنسبة للأولى و 2 % للثانية .

أما ترددهم على المكتبات العامة فقد قدرت بنسبة 36 % ، هذا يعني أن فئة ضئيلة لها اهتمامات التثقيف و المطالعة بالمكتبات العامة ، أما معظم أفراد العينة فقد يفضلون قضاء وقت فراغهم في إنجاز أعمال أخرى أو المكوث في البيت فقط ، و قد راعينا على طرح سؤالاً آخر على شبابنا و هو ترددهم على دور الشباب و الثقافة ، إذ أن الإعداد لبناء مجتمع متوازن له جذوراً حضارية و قدرة على مواجهة المستقبل بفرض العناية بالأساسيات الذي يقوم عليها هذا البناء ، ولا شك أن مرحلة الشباب تشكل هذا الأساس الداعم لبناء المجتمع ، والذي أصبحت المعرفة العلمية محكاً رئيسياً يحدد معايير تقدمه و تخلفه في ظل التغيرات العالمية الحديثة ، ومن الأمور الثابتة أن سعي الدولة عبر توفير و الاستغلال الكفء لمؤسساتها التربوية التعليمية والثقافية يسهم في تنمية شخصية متكاملة و القدرات الفكرية للشباب ، فتلك الشخصية هي التي تتعدد اهتماماتها و كفاءتها و تعرف كيف توازن بين متطلبات المعرفة و بين الحاجة إليها ، كما تستفيد من مواهب الشباب بما يعود عليهم وعلى المجتمع بالنفع من النواحي الفكرية ، الثقافية ، المعرفية و العلمية .

لذا فقد تمت معالجةنا لموضوع الدراسة من خلال طرح السؤال التالي:
هل يلعب المركز الثقافي دوراً فعالاً في تنمية و نشر المعرفة العلمية بين

الشباب؟ و لا يمكننا الاجابة على هذا السؤال إلا من خلال معرفتنا لمدى تردد الشباب على هذه المراكز الثقافية. فكانت الإجابة كالتالي:

- جدول يمثل التردد على دور الشباب و الثقافة:

(جدول رقم 20)

النسبة		التكرارات		التردد على دور الشباب	التردد على دور الثقافة
%01	%00	01	00	كثيرا	كثيرا
%03	%00	03	00	أحيانا	أحيانا
%26	%08	26	08	قليلا	قليلا
%92	%92	69	92	أبدا	أبدا
%100		100		المجموع	

يلاحظ من النسب الموضحة في الجدول أن فئة كبيرة من أفراد العينة لا تتردد بناتا سواء على دور الشباب أو دور الثقافة ، إلا بنسبة قليلة مقدرة بـ 08 % بالنسبة لدور الشباب و 04 % بالنسبة لدور الثقافة.

و مع ذلك بقي سؤالنا مطروحا على فئة البحث ، أين يقضي هؤلاء الشباب أوقات فراغهم؟.إذا كان في البيت ماهي الأعمال activités التي يمارسونها من أجل التمتع بقضاء وقت الفراغ؟.

- جدول يمثل السماع للمذيع:

(جدول رقم 21)

النسبة	التكرارات	السماع للمذيع
% 90	90	نعم

لا	10	% 10
المجموع	100	%100

فمن خلال طرحنا لهم ما إذا كانت لهم اهتمامات و أذواق موسيقية ، فأجاب معظم الأفراد و بنسبة 90 % إلى ميولهم للاستماع إلى الموسيقى ، أما 10 % الباقية فيفضلون الامتناع عن الإجابة s'abstenir .

- جدول يمثل أنواع القنوات التي تريد الاستماع لها
(جدول رقم 22)

نوعية القنوات	التكرارات	النسبة
قنوات جهوية	76	% 76
قنوات وطنية	04	% 04
قنوات خارجية	20	% 20
المجموع	100	%100

يتضح من خلال النسب المعلنة في الجدول أعلاه أن 76 % من أفراد العينة يفضلون الاستماع و الاستمتاع بالبرامج المقدمة بالقنوات الجهوية للوطن ، إذ أصبحت تقريبا كل ولاية تملك قناة خاصة و تتوفر ببث برامج حصرية وخاصة، و ترمج مواضيع تمسّ كل فئات المجتمع. فتنوع البرامج المبثّة طوال اليوم خصت التربية ، الدين، الصحة ، أحوال الدنيا...

أما 20 % من عينة البحث ، فضلت الاستماع إلى القنوات الخارجية ، ويعلمون إجاباتهم أنهم يهتمون خاصة بالأخبار العالمية.

وقد أكدوا في إجاباتهم على أن الاستماع للمذيع ليس في البيت و في وقت فراغهم فقط ، فمنهم من يستمتع في الاستماع إليه في العمل أو أثناء القيادة (السيارة) أو ...

- جدول يمثل أنواع القنوات التي تريد مشاهدتها
(جدول رقم 23)

النسبة	التكرارات	نوعية القنوات
16%	16	قنوات وطنية
48%	48	قنوات فرنسية
36%	36	قنوات عربية
30%	30	أخرى
100%	100	المجموع

عند طرحنا لهذا السؤال على أفراد العينة ،لاحظنا أن معظمهم يفضلون مشاهدة القنوات الفرنسية ، و قدرت النسبة بـ 48 % تليها 36 % ، وهذه الأخيرة تخص القنوات العربية . أما 30 % فتخص قنوات أخرى ، بما أن عصر العولمة و حصول كل بيت على لاقط للقنوات الفضائية parabole أو أكثر، فقد استطاع أفراد العينة الإستمتاع بمشاهدة ما يريدونه . أما القنوات الوطنية فقد حظيت بنسبة 16 % و يعللون إجاباتهم على أن القنوات الوطنية لا تقدم ما يريدون مشاهدته ، و هي دائما في تأخر - حسب رأيهم - لتقديم الجديد عن القنوات الأجنبية الأخرى.

- جدول يمثل البرامج المستحبة لدى المبحوث
(جدول رقم 24)

النسبة	التكرارات	نوعية البرامج
33 %	33	أفلام
20 %	20	النشرات الاخبارية
11 %	11	المنوعات الغنائية
02 %	02	المسرح
11 %	11	البرامج الثقافية
20 %	20	البرامج الرياضية
03 %	03	أخرى
100 %	100	المجموع

فقد لاحظنا في اختيار البرامج المستحبة لأفراد العينة أن معظمهم يفضلون الأفلام بنسبة 33 % أما مشاهدتهم للنشرات الاخبارية و الرياضة فقد قدرت لكل واحدة على السواء بـ 20 % تليها مباشرة مشاهدة البرامج الثقافية بنسبة 11 % ، أما البرامج الأخرى كالمسرح و المنوعات فحضا قليل جدا. ماذا يجذبه عند مشاهدة فلم أو مسلسل في التلفزة و لماذا ؟

(جدول رقم 25)

النسبة	التكرارات	
10 %	10	الممثل
10 %	10	الممثلة
30 %	30	القصة
01 %	01	طريقة الاخراج
49 %	49	أخرى
100 %	100	المجموع

بما أننا لاحظنا أن معظم أفراد العينة يفضلون مشاهدة الأفلام فقط ؟، طرحنا عليهم السؤال التالي: ماذا يجذبه عند مشاهدة فلم أو مسلسل في التلفزة ؟

و من خلال النتائج المتحصل عليها ، لاحظنا أن 49 % من مفردات العينة يودون قضاء وقت ممتع . تليها أن القصة المعروضة، قد أمتعتهم وقد قدرت نسبة من أجاب بـ 30 % ، و هناك من أفراد العينة من ينجذب إلى الممثل أو الممثلة التي تقوم بالدور ، و كانت الإجابة على السؤال 10 % لكل واحدة . أما طريقة الإخراج فلا تهمهم ،فإجاباتهم كانت ضعيفة جدا ، 01 % من أجاب أنه ينجذب إلى الاستمتاع بالمشاهدة.

الإهتمامات الثقافية:

ان العوامل المساهمة في تحديد مفهوم الشباب هي نفسها التي تتدخل في تحديد الاهتمامات الثقافية لدى هذه الشريحة من المجتمع . فالوضع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والمدني لدى هذه الفئة هو الذي يحدد نوع الاهتمامات.

إن الاهتمامات على المستوى العام هي كل ما ينشغل به الشباب عقليا. و وجدانيا مما له علاقة بالواقع الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والمدني في أبعاده التاريخية والمستقبلية من اجل توظيف هذا الواقع لتأمين مستقبل الشباب وحمايته من كافة الأخطار المادية والمعنوية حتى تتسنى له المساهمة في عملية التنمية الشاملة التي تنتظر منه. وهذا المفهوم يتحدد من خلال المستويات الآتية :

- المستوى العمري حيث نجدان اهتمامات الشباب سرعان ما تعرف تحولا من عمر لآخر ، فهي بعد سن المراهقة مباشرة تحمل معها مؤثرات تلك المرحلة ، وتسعى إلى ترجمتها على ارض الواقع، وبعد ذلك تتحول في اتجاه الرغبة في تحقيق الاندماج في المجتمع .

وهذه الأشكال من الاهتمامات تخضع كل فئة منها لمرحلة عمرية معينة أو تتسحب على مجموع مرحلة الشباب التي يختلف الدارسون حول بدايتها ونهايتها .

- المستوى العاطفي والنفسي ، وفيه نجد التفاعلات النفسية والعاطفية مع مؤثرات الواقع انطلاقاً من الشروط الذاتية والموضوعية التي يعيشها الشباب ولذلك فالاهتمامات الفردية والفئوية تكون رهينة بالوضعية العاطفية والنفسية للشباب . فبقدر ما يكون الشباب متوفراً على توازن نفسي أو عاطفي بقدر ما تكون اهتماماته متناسبة مع تلك الظروف وقابلة للترجمة إلى ممارسة مؤثرة ، ومحولة للواقع ومطورة له وترجمة لطموحات الشباب وتطلعاته ، فالظروف العاطفية والنفسية الناتجة عن المؤثرات الذاتية والموضوعية تلعب دوراً كبيراً في تحديد الاهتمامات التي ينشغل بها الشباب سواء كانت تلك الاهتمامات سلبية أو إيجابية .

- المستوى العقلي الذي يتحكم في قيمة الاهتمامات التي تحصل عند الشباب. و تلعب القدرات الذهنية دوراً كبيراً في الاستفادة من الخبرات، واكتساب المزيد من المعارف التي ترفع مستوى الاهتمامات لدى الشباب.

وبتحديدنا لمفهوم الشباب ، والاهتمامات يتبين لنا أن العلاقة بينهما قائمة ، وان الشباب موجود باهتماماته في أبعادها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والمدنية والسياسية كما أن الحديث عن الاهتمامات لا يحضر بكثافة إلا مع الشباب وعنده. والعلاقة بينهما علاقة تلازم ، بخلاف الأطفال الذين تفرض عليهم اهتمامات معينة ، والكهول ، والشيوخ الذين يجدون أنفسهم محاصرين باهتمامات محددة.

وتتنوع علاقة الشباب بالاهتمامات باعتبارها : علاقة تطلع وتحقيق الذات ، لان الشباب عندما يهتم بشيء معين يحلم بتحقيقه ، وهذا الحلم هو الذي يدفعه إلى العمل على تحقيق ما يهتم به سواء كان اقتصاديا أو اجتماعيا أو ثقافيا أو علميا أو سياسيا. وفي الحلم يكمن التطلع الذي له علاقة وطيدة بالرغبة في تحقيق الذات.

وطبيعة التطلع الذي يرغب الشباب في تحقيقه يختلف بحسب الانتماء الطبقي ، والمستوى التعليمي والثقافي لفئات الشباب المختلفة.

وتحضر عند الشباب مجموعة من الاهتمامات العامة والخاصة و الجماعية والتي تتحكم في حضورها الشروط الذاتية والموضوعية للأفراد والجماعات.

و لذلك رأينا أن نطرح أسئلة عن المبحوثين لمعرفة ماهية الاهتمامات الثقافية لديهم و مدى إقبالهم عليها و نسبة ممارستهم لها .

1. السينما:

هي نوع من أنواع الفنون ، فالسينما هي فن التصوير المتحرك و المعروف بالفن السابع. و سؤالنا هو . هل شبابنا يقبل على دور السينما و هل يتردد بصفة دائمة و ما نوع الأفلام أو البرامج الذي تجلبه لمثل هذه الأماكن؟

الإقبال على دور السينما

(جدول رقم 26)

النسبة	التكرارات	
%45	45	نعم

لا	55	55 %
المجموع	100	100 %

في الجدول أعلاه قد تفاوتت نسبة الإجابة عن هذا السؤال، و قد قدرت بـ 55 % ممن أجاب بـ "لا"، و لم تكتفي الباحثة بطرها لهذا السؤال فقط بل أرادت معرفة أسباب امتناعهم فمنهم من أجاب أنه لا يجد الوقت للذهاب لمثل هذه الأماكن مادامت التلفزة و القنوات الأجنبية تقدم ما يريد مشاهدته ، و هناك من يعلل إجابته بأن ما يشاهده في السينما يمكن رؤيته بوقت سابق على الأنترنت و ما عليه إلا تحميل الفلم كما يقول على الحاسوب أو على قرص مضغوط، أما النسبة الباقية ممن يترددون عن هذه الأماكن بـ 45 % فهم يستمتعون بذلك. أما بالنسبة لنسبة تترددهم فهي على النحو التالي : 22 % من يذهبون أحيانا لدور السينما ، 13 % كلما كان هناك الجديد ، أما النسبة الباقية فهي مقسمة على من امتنعوا عن ذكر على ما إذا كانوا مواظبون أم لا عن تترددهم لها.

2. المسرح:

هو أحد فروع الأداء و التمثيل الذي يجسد أو يترجم قصص أو نصوص مسرحية أمام المشاهدين باستخدام مزيج من الكلام أو.... الإيماء ... الموسيقى ... و الصوت على خشبة المسرح ذلك البناء الذي له مواصفات خاصة في التصميم.

(جدول رقم 27)

النسبة	التكرارات	التردد على المسرح
00 %	00	كثيرا
04 %	04	أحيانا
13 %	13	قليلا
83 %	83	

		أبدا
%100	100	المجموع

يتضح من خلال النسب الموجودة في الجدول أن 83 % من مفردات العينة لا يترددون عن المسارح و تعتبر أعلى نسبة ، فقليل ما يترددون عليها أو في بعض الأحيان و السبب في ذلك ربما يعود إلى تعويض وسائل الاتصال و الترفيه و أخذها حصة الأسد في حيات شبابنا . و مع ذلك قصدنا لطرح سؤال آخر ماذا عن لغة المسرح المفضلة لدى مفردات البحث بما أن معظم المسرحيات الشهيرة هي أعمال عالمية ، هذا لا ينفي أنه لا توجد أعمال وطنية فالمسرح الجزائري له وضعيته ومكانته في المجتمع .

3. الموسيقى:

الموسيقى جزء من حضارة البشر لكنها لغة ليست منطوقة فقط و إنما منغمة أيضا .. قد يظن البعض أنها أكثر للغة لوجود الموسيقى الشرقية والغربية ، و إنما هي لغة واحدة و يأتي الاختلاف فقط من اختلاف الشعوب واختلاف الآلات أيضا .

الموسيقى هي لغة التعبير العالمية ، و هي اللغة التي نسميها في كل شيء في الحياة في المنزل من التلفزيون و الكمبيوتر في العمل ، في رنات الهاتف المحمول ، في وسائل المواصلات...و الغناء و العزف نشاطات تثري حياة الشباب وتعزز مهارات التعلم وتعمق فهم التاريخ والثقافة.

فتحت وسائل الاتصال الحديثة لا سيّما الفضائيات والانترنت المجال أمام انتشار الموسيقى بشكل واسع وسريع بين مختلف البلدان، و بات الخيار أوسع

للشباب بانتقاء ما يحبونه إلى درجة قد يجد الشخص في هذه الموسيقى أو تلك جزءاً من قصّة يعيشها .

و من ضمن الأسئلة التي طرحناها على فئة المبحوثين حول الاهتمامات الثقافية و الشخصية لديهم ، ارتأينا لمعرفة ما إذا كانوا مهتمين بالموسيقى ليس للاستماع فقط بل حتى العزف على أحد الآلات و امتلاكها بما أنها تجسد ثقافته و اهتماماته .

جدول رقم (28) يمثل نوع الموسيقى التي يريد السماع إليها

نوع الموسيقى	التكرارات	النسبة
شرقية	33	%33
غربية	42	% 42
الامتناع عن الإجابة	25	% 25
المجموع	100	%100

من خلال الإجابة التي تلقيناها نجد أن معظم أفراد العينة و المقدرين بـ 42 % مهتمين للاستماع للموسيقى الغربية خاصة العلمية و هم أيضا يرون في الموسيقى الحديثة أمثال ; Hip Hop و R'nB نوع من التجديد و مواكبة العصر و ما يتم تحديثه ، و هذا ما يدل على أن لوسائل الاتصال الفضل في سهولة انتشارها ، هذا مقابل 33 % من يفضل الموسيقى الشرقية (أي العربية

على وجه العموم و منها أيضا الجزائرية، المحلية...) أما الفئة البقية و المقدرة بـ 25 % فقد امتنعت عن الاجابة.

أما لما طرح لهم السؤال ما إذا كانوا يمتلكون آلة موسيقية فقد أجاب معظم أفراد العينة بالنفي ماعدا 25 % من أجاب بال من أجاب بالإيجاب ، أما 49 % من أفراد العينة يتقنون العزف على الأقل على نوع واحد من الآلات الموسيقية خاصة "العود" و "الدربوكة" و "البوق".

ممارسات الترويح و الاهتمامات الشخصية لدى الشباب:

الترويح ، نشاط يختاره الفرد، غالباً يكون بعد تعب وجهد " معاناة جسدية"، أو بعد حزن " معاناة نفسية" ، فيزيل التعب ويبدله إلى نشاط، ويزيل الهم والغم ويبدله إلى فرح وسرور، وهو مفيد للفرد إما عقلياً بالمعرفة، وإما جسمانياً بالرياضة بأنواعها، وإما نفسياً، وهو الوقت الذي يبقى من اليوم بعد ساعات العمل والنوم والمأكل والملبس . أي أنه الوقت الفائض من اليوم بعد أداء مستلزمات الحياة الضرورية مثل العمل والنوم والغذاء وقضاء الحاجات الشخصية أي يتحرر فيه الإنسان من أي التزامات أو واجبات .

وله الحرية المطلقة في قضاء وقت فراغه بالكيفية التي يرتضيها وفقا لميوله ورغباته حيث تتاح فيه الفرصة للفرد لكي يعوض أوجه النقص في حياته وبشبع

جزءاً من حاجاته ويعبر من خلاله عن نفسه تعبيراً كاملاً دون التأثير بأي قيود أو ضغوط خارجية.

وفي هذا المجال طرحت الباحثة جملة من الأسئلة حول كيفية قضاء وقت الفراغ و كيفية الترويح عن النفس ضمن الممارسات اليومية للشباب في الوسط الحضري ، كانت أهم الإجابات كالتالي:

أبرزت نتائج الدراسة أن شباب ضواحي العاصمة يقبل على المطالعة بنسبة تفوق 70% وأن الوسائل التكنولوجية لم تحد من إقباله على المطالعة. لكن معظم شباب العينة يقبل على مطالعة الصحف اليومية بنسبة تفوق 62% مقابل 38% بالنسبة لمطالعة الكتب، كما أن الإناث يطالعن أكثر من الذكور، وتتركز نوعية المطالعة على القصص والروايات أكثر من المجالات الأخرى. كما أن مطالعة الصحف والكتب العلمية ممارسة ذكورية مقابل مطالعة المجالات التي هي ممارسة أنثوية.

جدول يمثل اهتمام الشباب بالرياضة
جدول رقم (29)

النسبة	التكرارات	ممارسة نشاط رياضي
58%	58	نعم
42%	42	لا
100%	100	المجموع

من خلال المعطيات لدينا في الجدول السابق نلاحظ أن أغلبية المبحوثين يمارسون نشاط رياضي و ذلك بنسبة %58 مقابل 42 % . إن اهتمام الشباب (فتيات و ذكور على حد سواء) باللياقة و الرشاقة البدنية أصبح من الأنشطة اليومية لديهم و المبرمجة في جدول أعمالهم اليومي. لا يمكن أن يتتبعوا الموضة دون رشاقة . و هذا ما سوف نلمسه فيما بعد عندما نطرح سؤالنا حول تسريحة الشعر و اللباس.

جدول يمثل إهتمام الشباب بجمع الطوابع
جدول رقم (30)

النسبة	التكرارات	هواية جمع الطوابع البريدية
%11	11	نعم
%89	89	لا
%100	100	المجموع

نلاحظ أن 11 % من أفراد العينة مهتمون بمثل هذه الأنشطة مقابل نسبة عالية منهم و مقدرة بـ 89 % . و تعليهم في ذلك أن هناك أشياء أخرى باتت تجمع كالسيارات الصغيرة ذات الماركات العالمية (voitures miniatures)...

السفر هو الانتقال من مكان إلى آخر في رحلة لأسباب متعددة: فقد تكون قصد سياحة، تجارة، زيارة الأقارب ، هجره من بلد لآخر، الحج أو السفر لتلقي العلاج و غيرها من الأسباب . الهدف من طرحنا لمثل هذا السؤال هو معرفة مدى اهتمام الشباب بالسفر و ما له من فوائد في صياغة شخصية الشباب والأخذ بالمقولة الفرنسية المشهورة " السفر يوسع المدارك "، فكانت الإجابات كالتالي :

جدول رقم يمثل إهتمام الشباب بالسفر

جدول رقم (31)

أهتمام الشباب بالسفر	التكرارات	النسبة
نعم	73	%73
لا	27	% 27
المجموع	100	%100

لقد أبرزت لنا المعطيات الموجودة في الجدول أعلاه أن 73 % من مفردات العينة تأيد فكرة السفر و تحبذها ، و هي على علم أن للسفر فوائده في اكتساب المعرفة ، التعارف و كذا اكتساب الخبرة و الاتكال على النفس.

- اهتمام الشباب بإحياء الأعياد و التقاليد و ذلك من خلال المشاركة في أنشطة أو مناسبات كالوعدات مثلا إذ تعتبر هذه الأخيرة من أكثر الطقوس رواجاً في الجزائر و دول عربية أخرى . و الطقس " rite " بتعبير نور الدين طوالي " عبارة عن عادات و تقاليد مجتمع معين ، كما تعني كل أنواع الاحتفالات التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي"¹. و لما كانت الوعدة طقساً ، فإنها تستوجب احتفالاً جماعياً بمشاركة عدد من الأشخاص ، كما تحدد فترتها ومراسيمها و مكان تظاهراتها. و قد عرفت الجزائر مراسيم الوعدة منذ القرن السادس عشر... و يذكر الدكتور عدي الهواري انتشار **الوعدات** خاصة في الفترة الاستعمارية.²

و عليه طرحنا جملة من الأسئلة لأفراد العينة لمعرفة ما إذا كانوا لا يزالوا يحافظون على إحياء الأعياد و التقاليد المتوارثة عبر الأجيال ، و هل إحياء الوعدة ، يعني إعادة إنتاج واقع ثقافي على مستوى الوعي و الممارسة يتناقض مع منطق اشتغال الحياة المعاصرة ؟

جدول يمثل بإحياء الأعياد و التقاليد جدول رقم (32)

النسبة	التكرارات	إحياء الأعياد و التقاليد
%72	72	نعم

¹ نور الدين طوالي ، " الدين و الطقوس و التغيرات " ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 1988 ، ص 34 .

² عدي الهواري ، " سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، سياسة التفكير الاقتصادي - الاجتماعي (1830 - 1960) " ترجمة جوزيف عبد الله ، دار الحداثة بيروت ، الطبعة 1 ، 1983 ، ص 127 .

لا	15	15%
حالات أخرى	13	13%
المجموع	100	100%

يمثل لنا الجدول أن معظم أفراد العينة يوافقون و يجمعون الرأي على أن إحياء الأعياد و التقاليد و قد قررت الاجابة بـ 72 % مقابل 15 % من يرفضون تماما إحياء الأعياد و ممارسة التقاليد.

المشاركة في أنشطة أو مناسبات تنظم على المستوى المحلي حيث تقوم بعض الجمعيات بتنظيمها و تمويلها كالختان مثلا

جدول رقم (33)

المشاركة مع الجمعيات	التكرارات	النسبة
نعم	13	13%
لا	67	67%
حالات أخرى		
المجموع	100	100%

و كانت الإجابة كالتالي :

13 % فقط من أفراد العينة يوافقون على ختان أولادهم مع الجمعيات (يعني منظمة ممولة من طرف الجمعيات) بينما 67 % لا يوافقون و يفضلون ختان أطفالهم سواء في البيت حفاظا على التقاليد القديمة و أغلبيتهم يفضلون ختان أولادهم في المستشفيات و إحياء التقاليد (فردية) في البيت مع عائلتهم.

- تمسك المبحوث بإحياء الأعياد الوطنية و الدينية

جدول رقم (34)

النسبة	التكرارات	
%89	89	نعم
% 06	06	لا
		حالات أخرى
%100	100	المجموع

من خلال المعطيات التي حصلنا عليها نجد أن 89 % من مفردات العينة متمسكين بإحياء الأعياد الوطنية و الدينية مقابل 06 % من أجابوا ب لا و من هنا نلاحظ على الرغم أن أفراد العينة من الشباب إلا أنهم متمسكين بإحياء التقاليد الوطنية و الدينية . و ذلك من خلال الاحتفال بعيد الإستقلال مثلا ، المولد النبوي و غيرها من مواسم و أعياد.

- الاحتفال بعيد الميلاد

جدول رقم(35)

النسبة	التكرارات	
%66	66	نعم
% 22	22	لا
		حالات أخرى
%100	100	المجموع

من خلال الإجابات التي تلقيناها نجد أن معظم أفراد العينة و المقدرة بـ 66 % يحتفلون بعيد ميلادهم مقابل 22 % من يرفضون هذه الممارسة و من أجابوا ب نعم و قد عللوا إجاباتهم كالتالي :

هم يفضلون الاحتفال بعيد الميلاد مع العائلة و يرون في هذه الممارسة طريقة للقاء بما أن كثرة المشاغل قد أدت إلى انشغال أفراد الأسرة الواحدة و عدم اللقاء إلا في المناسبات مثل هذه.

- الاحتفال بعيد رأس السنة

جدول رقم (36)

النسبة	التكرارات	
80%	80	نعم
13%	13	لا
		حالات أخرى
100%	100	المجموع

فقد أجاب معظم أفراد العينة بـ نعم و قد قدرت النسبة 80 % مقابل 13 % من أجاب بـ لا لنفس الشيء بالنسبة للاحتفال بعيد رأس السنة ، فهم يفضلون اللقاءات العائلية و هي مناسبة بممارسات ثقافية و اجتماعية غريبة أصبحت تمارس بطريقة محلية.

- الحرص على زيارة الال في الأعياد (الفطر و الأضحى) و غيرها

جدول رقم (37)

النسبة	التكرارات	زيارة الأهل
55%	55	نعم

لا	13	% 13
حالات أخرى		
المجموع	100	%100

من خلال المعطيات المتحصل عليها نجد 55 % من أفراد العينة يفضلون زيارة الأهل في الأعياد (الفطر و الأضحى) أما 13% فيفضلون عدم الزيارة. أما الفئة المتبقية و المقدرة بـ فيفضلون إحياء الأعياد مع العائلة و يرون في هذه الممارسة طريقة للحفاظ على الموروث و ذلك من خلال إتباع الجيل القديم في الحفاظ على التقاليد القديمة المتوارثة عبر الأجيال.

الممارسات السمعية البصرية لدى الشباب:

فيما سبق طرحنا أسئلة على فئة المبحوثين لمعرفة كيف يقضي هؤلاء المبحوثين أوقات الفراغ و ذلك من خلال مشاهدتهم للتلفزة و ارتباطهم ببرامجها ، حيث تمثل التلفزة في ارتباطها بلاقط القنوات la parabole ظاهرة تأسست عليها عملية توجيه أغلب الممارسات الثقافية لدى الشباب الجزائري ..ومن أهم ظواهر المشاهدة، فتأتي في مقدمتها القنوات الفرنسية فالقنوات المصرية (ذات الطابع الموسيقي المنوعاتي) وتليها اللبنانية والسورية. كما تتابع نسبة تقارب 7% القنوات الإخبارية العربية (الجزيرة،العربية). وتعتبر الإناث من أكثر مشاهدة للقنوات اللبنانية ذات المضامين الموسيقية بالأساس بينما القنوات ذات التوجه الإخباري والإعلامي الموجه فهي ذات جمهور ذكوري في الغالب.

ورغم الإمكانيات التي يتيحها الانتماء إلى الوسط الحضري فإن شباب عينة الدراسة يعرف إقبالا واضحا في استعمال الانترنت، إذ تتجاوز النسبة 46%، وتتميز نسبة إقبال الشباب على هذه الوسيلة بالتفاوت الكبير بين الأحياء. ويقترن

هذا الضعف بضعف الاستعمال المنزلي للانترنت 20% مقابل انتشار الممارسة في المراكز العمومية للانترنت بنسبة تفوق 75%.

تشير الدراسة إلى وجود نسبة محترمة من أفراد العينة ممن يمتلكون عنوانا الكترونيا وذلك بنسبة تقارب 65%. كما تبين وجود ارتفاع في نسبة امتلاك الهاتف الجوال عند الشباب بنسبة تفوق 80%، وترتفع نسبة امتلاك الإناث للهاتف الجوال والاشتراك في الانترنت. ويضع أكثر من 94% ممن يستخدمون الهاتف الجوال لإجراء المكالمات بدرجة أولى. كما يلاحظ بروز كتابة الرسائل المتبادلة بين الشباب (sms) وهي ممارسة تعتمد رموزا و«لغات» جديدة.

ولاحظت الدراسة ظاهرة اللجوء إلى استعمال الحروف اللاتينية لإرسال رسائل بلغة عربية او دارجة، ويفسر عدم وجود حروف عربية بأغلب أجهزة الهاتف الجوال السبب الرئيسي في الاعتماد على اللغات الأجنبية وخاصة الفرنسية منها.

لقد كان يدّعي المقللين من شان الانترنت أنه مجرد موضة عابرة وستختفي ببطء عندما يملّ الناس من استخدامها، حيث اعتبر خبراء الكمبيوتر الأمريكيون من أكثر منتقدي الانترنت حيث سخروا من مقولة أن الانترنت ستبلغ يوماً ما كل أشكال التواصل البشري وأنّ أوجها قليلة من الحياة اليومية تتطلب استخدام الكمبيوتر والشبكات الرقمية والاتصال الضخم، فهي غير ذات قيمة بالنسبة إلى ممارسة شؤون الحياة اليومية⁽¹⁾.

¹ محمد نصر مهنا، "النظرية العامة للإعلامية: الفضائيات العربية والعلومة الإعلامية والمعلوماتية"، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2003، ص503.

غير أن الواقع أثبت عكس ذلك، فقد ازداد التعامل بالانترنت ووظف في جميع مجالات وأنشطة الحياة.

الممارسات الثقافية المستحدثة لدى الشباب:

إن اللباس في معناه هو كل ما يرتدي الإنسان لتغطية جسمه ، و هي مقتصرة على الإنسان فقط ، وهي سمة من سمات المجتمعات البشرية كلها تقريبا. كما له اعتبارات وظيفية (مثل الحاجة إلى الدفاء والحماية من عناصر الطبيعة) ، كما له اعتبارات الاجتماعية على حسب المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد. كما أن اللباس أيضا يؤدي مجموعة من الوظائف الاجتماعية والثقافية ، مثل التمييز الفردية والمهنية والجنسية والحالة الاجتماعية ، على سبيل المثال ، قد تحدد رموز السلطة المدنية ، مثل الشرطة وأفراد الجيش ، أو أنها قد تحدد الفريق أو جماعة أو الانتماءات السياسية.

- أما تسريحات الشعر ففي الآونة الأخيرة فقد أصبح شبابنا يولي اهتمامات خاصة بذلك، و قد أوضحت الدراسة الميدانية ما يلي : فبالنسبة للباس فهناك حضور ملحوظ للباس المستورد الذي تفوق على المنتجات الوطنية خصوصا الأحذية والسراويل. وبينت الدراسة أن الشباب الحضري يولي عناية خاصة في ممارساته اليومية بالمظهر والهيئة واللباس. فنسبة 45 % تفضل الحلاقة العادية وباقي النسب تتوزع بين تسريحة الرياضيين و الفنانين.

- أما في مجال السلوك الغذائي، يلاحظ تأثر شريحة الشباب بالدعاية الإعلامية للمنتجات الغذائية الأجنبية. أما المأكولات المفضلة فقد طغت الأكلات المستوردة على الأكل خارج المنزل، ويتضح ان الشريحة الشبابية ، تعرف إقبالا على الأكلات السريعة الأجنبية خارج المنزل مثل " hamburger&pizza "

التواصل بين الجيل القديم و الشباب:

المعني بالتواصل الثقافي هو تبادل الثقافات ،الرئيسة أو فروعها وأنساقها، الاتصال بعضها البعض تحاورا و تعارفا و تلا قحا. وهذا التواصل قد يكون تواسلا أفقيا يتم بين ثقافات متزامنة أو بين أقاليم ثقافة معينة وقد يكون تواسلا راسيا يتم بين الأجيال المتعاقبة لثقافة ما أو بين فئاتها أو طبقاتها المترتبة اجتماعيا.

فالتواصل الثقافي يعزز نمو الثقافة و تطورها و تجدها من خلال تبادل الأفكار و تشجيع الإبداع. وهو ، وخاصة التواصل الثقافي الراسي، يؤمن التراكم أو تواصل البناء الثقافي ويتيح تأصيل ما هو جديد و مبتكر تأكيدا للتناسق الثقافي . ومن خلال النمو والتجدد و التأصيل تتمكن الثقافة من مقاومة عوامل الفناء والزوال و تتنامى قدرتها على البقاء والاستمرار من خلال احتفاظها بالقدرة على الإيفاء باحتياجات أهلها.

ويعود التواصل الثقافي على المجتمع بفوائد عدة يمكن أن نشير منها هنا إلى أن التواصل الثقافي يعزز المشترك الثقافي بين الأطراف المشاركة و هو ما يساهم في تعزيز تماسك المجتمع و وحدته وتقارب المجتمعات المتواصلة ثقافيا وتعايشها.

إن مفهوم الأجيال يعبر عن حالة عمرية ومسافة زمنية تفصل بين جيل وآخر وهذا هو المفهوم البيولوجي للجيل كما يمكن الحديث عن الجيل ضمن إطار فترة زمنية طويلة تصل الى ثلاثين عاماً كجيل الآباء وجيل الأبناء ، والعنصر الأساسي الذي يميز كل جيل عن الآخر هو الثقافة أي وجود نمط معين من التفكير والقيم والرغبات والطموحات وبمعنى آخر وجود نظرة معينة إلى العالم والمجتمع والحياة العامة وهذه الأفكار والقيم والرغبات التي تحدد هوية كل جيل وتميزه عن الآخر ، وفي هذا الإطار أوضحت دراسة أكاديمية بعنوان ما المقصود بصراع الأجيال ؟ إنه ليس هناك اتفاق في تحديد التخوم بين جيل وآخر ، فلهذه العلاقة أبعاد عديدة تربوية واجتماعية ونفسية وثقافية.

أما الباحثة فقد طرحت جملة من الأسئلة على أفراد العينة الشبابية من أجل توضيح هذه المسألة . فكانت الأسئلة متعلقة بالحياة اتجاه الوالد عند التدخين ،

وكذا التعود على قيم دينية كالصوم في غير رمضان ، التعاون بين الأصدقاء و الجيران و إحياء العادات القديمة" كالتوزيع¹ مثلا .

وعليه فقد توصلت نتائج الدراسة إلى أن نسبة 65% من مفردات العينة أقبلت على الإجابة بالإيجاب ، و من هنا يتضح لنا أن المجتمع الجزائري لازال يتمسك بشبابه بنوع من الحشمة و الوقار نحو الأولياء أو للجيل السالف مع أن النسبة قليلة.

أما روح التعاون بين الأفراد لازلت باقية و لكن اتخذت أشكالاً و أنماطاً أخرى فنرى أن التوزيع لذي أفراد الحضر تلاشت تماما ، و لكن لازلت في البوادي والأرياف.

أما المحافظة على القيم الدينية كالصوم في غير شهر رمضان ، فقد أوضحت الدراسة أن 52% من أفراد الشباب المستجوبين أجابوا بنعم ، إلا أن هذه النسبة تبقى متوسطة.

¹من بين العادات الجميلة في الجزائر "التوزيع" و هي عملية تضامنية , يدعو صاحب الحاجة أقرابه, جيرانه و احبابه لمعاونته في حاجته بدون مقابل .الاعمال الذي نحتاج فيها الى التوزيع: الحصاد, بناء مسكن, النسيج,قتل الكسكس(تحضير الكسكس), الغزل, القرداش(عملية خاصة بتحضير الصوف)

خاتمة

حاولت الدراسة استعراض أهم المنطلقات النظرية والمنهجية للبحث في مظاهر التحضر و التغيير الاجتماعي المتعلق بالممارسات الثقافية لدى الشباب ، و ذلك باستعراض لأهم النتائج التي استاقتها الدراسة الميدانية التي أقيمت على إحدى المجتمعات الجزائرية .

إن التطور سنة الحياة ، و التطور العمراني يمهّد و يواكب التطور الاجتماعي الذي يعكس مناحي عيش الأفراد و سلوكياتهم و أدبياتهم ، و من هنا نفهم أن المحافظة على الموروث في إطار الاستخدام الحديث و الاستمرارية هو الشاهد على عادات الفرد و أعرافه و أنماط معيشته و سكناه ، فالتطور و التغيير لا يمسان بمفهوم الحفاظ على الموروث. فالتطور يتم ضمن أوليات تحفظ ما هو قابل للحياة و ما تداعى و ذهب وظيفته و فائدته.

وهذا التطور والتغيير ما أوضحتها الدراسة ، أن شكل التغيير الذي حدث في الدول الغربية لا يمكننا تكراره بنفس الصورة ، لأن هذه المجتمعات تكشف عن الاختلاف في البناءات الاجتماعية و الخصائص الثقافية و الإيديولوجية التي اختلفت بها .

و بناء على هذه التصورات كشفت لنا الدراسة الميدانية عن بعض المتغيرات المتصلة بالمظاهر الحضرية.

و من أهم الاستنتاجات التي تؤكد على تفنّد العديد من الظواهر الجديدة بحكم التحولات الاجتماعية والاقتصادية و الثقافية التي يعرفها المجتمع الجزائري على وجه الخصوص.

و عموما يمكن القول أن الاستنتاجات الكبرى التي خلصت إليها هذه الدراسة تتمثل في كون مجتمع الدراسة هو شباب متفاعل مع عصره و حركية

المجتمع الذي ينتمي إليه ، و بدأ ذلك جليا في تأثره بالوسائل الثقافية المنتشرة بفضل الفضائيات و الصناعات الثقافية الالكترونية، و هذا يعتبر مؤشر إيجابي ، وهو ذال على الإنخراط في العصر وعدم الانغلاق.

كما بينت الدراسة أن الممارسات الثقافية للشباب تتأثر بمستوى عيش الأسرة و كذا المستوي التعليمي للوالدين و هذان الأخيرين لهما الفضل في الاختيار و التوجيه سواء في المسار الحياتي أو الدراسي على حد سواء.

أما علاقة الشباب بالترفيه و الممارسات الثقافية لديهم له علاقة وطيدة بالمحيط السكاني الذي يعيش فيه ، و هذا ما أكدته الاختلافات بين انتماء الشباب و الحي السكني الذي ينتمي إليه.

كما أظهرت الدراسة أن الشباب الحضري مدمن على القنوات الفضائية الأجنبية : الفرنسية منها دون العربية.و إقبالهم بدرجات متميزة و متفاوتة على استخدام الإنترنت الذي أصبح لغة العصر ، أما استخدام الجوال فذلك بنسبة عالية .و كذلك الارتياح على المقاهي أو « les salons de thé » و الاقبال على الألبسة و الأكلات الأجنبية .

فيلاحظ أن تأثر شريحة الشباب بالدعاية الإعلامية للمنتجات ذات الماركات العالمية سواء في الألبسة أو حتى المنتجات الغذائية و الأكلات الأجنبية.

كما بينت الدراسة أن الشباب الحضري يولي عناية خاصة في الممارسات اليومية بالمظهر و اللباس و الهيئة و تسريحة الشعر، وتأثر معظمهم بتسريحة الرياضيين و الفنانين.

فبذلك تؤكد الدراسة على انفتاح الشباب الحضري الجزائري على الحضارة المعاصرة و بمواكبة منتجاتها الثقافية المرتبطة خاصة بوسائل الإتصال الحديثة .

إن اتجاه مجتمع البحث نحو التحضر قد ارتكز على بعض المتغيرات المادية و كذلك الاجتماعية و التفاعل الاجتماعي للأفراد و التكيف مع مجتمع الذي ينتمي إليه و ما اكتسبه من أعراف و تقاليد ، و بدا ذلك جليا في تغير بعض العادات الاجتماعية الممارسة و امتزاجها إلى حد ما بالطرق الجديدة في إحيائها ، هذا لا يعني أن الفرد الجزائري قد ابتعد تماما عن عاداته بل هناك عادات لا زالوا يحافظون عليها.

الملاحق

الملحق رقم : 01 نموذج إستمارة البحث
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

رقم الاستمارة.....:

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان
كلية العلوم الاجتماعية والعلوم إنسانية
قسم الثقافة الشعبية

استمارة بحث بعنوان:

الممارسات الثقافية في الوسط الحضري

دراسة أنثروبولوجية في أقصى مدن الساحل الغربي الجزائري

لتحضير أطروحة دكتوراه في الثقافة الشعبية تخصص أنثروبولوجيا
إعداد الطالبة :
آمال يوسف
تحت إشراف:
أ.د شاييف عكاشة

أ.د رمضان محمد

في إطار الدراسة العلمية التي نحن بصدد إعدادها نقدم لكم هذه الاستمارة، و نرجو
منكم وضع
أمام الاختيار المناسب مع التوضيح أكثر إن تتطلب الأمر ذلك، على أن يكون
المجيب (x) العلامة
على هذا الاستبيان المعني لا غير.
ملاحظة : كل ما يرد في هذه الاستمارة من معلومات سيبقى سريا و لن يستخدم إلا
لأغراض البحث العلمي

-السنة الجامعية 2011- 2012-

السؤال 1: السن :

السؤال 2: الجنس :

[1] ذكر [2] أنثى

السؤال 3: الحالة العائلية

[1] أعزب [2] متزوج

[3] أرمل [4] مطلق

السؤال 4: المهنة (المهنة بالتدقيق)

.....

السؤال 5: هل تتبع أي تكوين أو دراسة؟

[1] نعم [2] لا

السؤال 6: في أي مستوى؟

السؤال 7: المستوى الدراسي

[0] لاشيئ

[1] الابتدائي غير مكمول

[2] المتوسط غير مكمول

[3] التمهيين

[6]

[5] المتوسط مكمول

[4] الابتدائي مكمول

الجامعي

[7] أخرى

السؤال 8: هل تتقن لغات أجنبية ؟

[3] أسبانية

[2] ألمانية

[1] فرنسية

[6] أخرى

[5] ايطالية

[4] انجليزية

السؤال 9: مهنة الأب

.....

السؤال 10: مستوى الوالد الدراسي

[0] لاشيئ

[3] دراسات عليا

[2] المتوسط

[1] الابتدائي

[4] أخرى

السؤال 11: مهنة الأم

.....

السؤال 12: مستوى الدراسى للأم:

[0] لاشيئ

[1] الابتدائي [2] المتوسط [3] دراسات عليا

[4] أخرى

السؤال 13: الحي السكني

-

-

-

نوعية المسكن

السؤال 14: أين تسكن خلال الصيف؟

[1] مع العائلة [2] وحدك [3] مع الأصدقاء

السؤال 15: أين تسكن خلال السنة؟

[1] مع العائلة [2] وحدك [3] مع الأصدقاء [4] داخلي

السؤال 16: هل لك غرفتك الخاصة؟

[1] نعم [2] لا

الممتلكات الثقافية الخاصة

السؤال 17: هل لك ممتلكات خاصة؟ (ثقافية)

[1] مدياع [2] أشرطة [3] radio cassette [4] tourne

disque [5] chaine hifi [6] تلفزة

[7] parabole [8] vidéo [9] [10] caméra vidéo

ordinateur [11] appareil photos

السؤال 18: هل لك مكتبة خاصة؟

[1] نعم [2] لا (اذا كان نعم [1] -10 [2] + 10]

[3] 20+ [4] 50+)

السؤال 19: هل أنت مشترك في :

[1] جريدة [2] مجلة [3] مكتبة عامة

السؤال 20: هل تتردد على دور الثقافة ؟

[1] كثيرا [2] أحيانا [3] قليلا [4] أبدا

السؤال 21: هل تتردد على دور الشباب؟

[1] كثيرا [2] أحيانا [3] قليلا [4] أبدا

السؤال 22: في هذه الآونة هل أنت عضو في أحد المنظمات الشبابية أو في أحد النوادي أو جمعيات ثقافية؟

[1] الكشافة [2] الشباب العلمي [3] مدرسية [4] مسرح [5]
رياضية [6] ثقافية علمية [7] أخرى

الكتب والمجلات:

السؤال 23: كم كتابا اشتريته هذه السنة؟.....

[0] كتاب مر للسؤال 26

السؤال 24: أين اشتريت كتبك؟

[1] مكتبة [2] بائع الكتب على الرصيف [3] في الأكشاك [4] في سوق
الكتاب [5] في أماكن أخرى

السؤال 25: ما هي أنواع الكتب الذي تقرأها؟

[1] قصص [2] تاريخية [3] فلسفية [4] سياسية
[5] دينية [6] فنية [7] أفلام كرتون [8] علمية [9]
أخرى

السؤال 26: هل تقرأ مجلات أو جرائد؟

[1] كثيرا [2] أحيانا [3] مرات قليلة [4] أبدا

السؤال 27: بأي لغة تريد قراءتها؟

[1] عربية [2] فرنسية [3] أخرى

المذياع والتلفاز.

السؤال 28: هل تستمع للمذياع؟

[1] نعم [2] لا

السؤال 29: ما هي القنوات التي تزيد الاستماع لها؟

[1] قنوات جهوية

[2] قنوات وطنية

[3] قنوات خارجية

السؤال 30: رقم القنوات التي تريد مشاهدتها ترقمها عدديا؟

[1] القناة الوطنية

[2] قنوات فرنسية

[3] قنوات عربية

[4] أخرى

السؤال 31: ما هي الحصص التلفزية التي تريد مشاهدتها؟

[1] أفلام [2] النشرات [3] المنوعات [4] المسرح [5] الثقافية

[6] الرياضية [7] أخرى

السؤال 32: ما هي المسلسلات التي تريد رآيتها؟

[1] الممثل [2] الممثلة [3] القصة [4] طريقة الإخراج

السينما:

السؤال 33: هل تتردد على دور السينما !

[1] مرة (1) في الأسبوع [2] مرتين أو أكثر في الأسبوع [3] مرة كل ثلاث أشهر
[4] مرة في السنة [5] قليلا (أحيانا) [6] أبدا

السؤال 34: ما هي أنواع الأفلام الذي تريد مشاهدتها؟

[1] شرطة [2] karaté [3] حرب [1] خوف [2] أمريكية [3] عاطفية
[4] خيال [8] اجتماعية [9] أخرى

السؤال 35: كيف تختار أفلامك؟

[1] حسب الممثلين [2] حسب المخرج [3] الإعلان الموجود في دار السينما [4] حسب
النقد [5] مع أصدقاء [6] مع الأسرة [7] أخرى

السؤال 36: إذا وضعت في اختبار انتحار أفلام جزائرية أم اجنبية؟ ولماذا

المسرح

السؤال 37: هل تتردد على المسارح؟

[1] دائما [2] مرات قليلة [3] أحيانا [4] أبدا

السؤال 38: هل تفضل المسرح باللغة العاملة أو باللغة الفصحى

[1] اللغة العامية [2] أو الفصحى

الموسيقى.

السؤال 39: هل تمتلك آلة موسيقية ؟

[1] العود [2] قيثارة [3] دربوكة [4] قانون [5] كمنجا [6] بندير

[7] ناي [8] أخرى .

السؤال 40: على أي آلة موسيقية تجيد العزف؟

[1] العود [2] قيثارة [3] دربوكة [4] قانون [5] كمنجا [6]

بندير [7] ناي [8] أخرى

السؤال 41: ماهي الأنواع الموسيقية تريد السماع لها؟

[1] المحلية [2] الوطنية [3] الشرقية [4] الغربية

أوقات الفراغ.

السؤال 42: أين تقضي أوقات فراغك؟

[1] المقهى [2] البيت [3] عند احد الأصدقاء [4] في دور العرض [5] ملاعب

الكرة [6] الشارع

[7] أماكن أخرى

السؤال 43: هل تمارس رياضة؟ ما هي؟

[1] رياضة فردية [2] رياضة جماعية [3] لعبة الاوراق [4] الشطرنج

[5] كرة الطاولة [6] ألعاب أخرى

السؤال 44: هل تلعب [لعبة الرياضي] مثلا؟

السؤال 45: هل تجمع؟

[1] طابع بريدي Timbres [2] النقود القديمة [3] بطاقة بريدية [4] أشياء

أخرى.

السؤال 46: هل سافرت إلى الخارج من قبل؟

[1] نعم [2] لا

السؤال 47: هل شاركت في رحلات مع أصدقاء داخل التراب الوطني؟

[1] نعم [2] لا

إحياء الأعياد و التقاليد :

السؤال 48: هل شاركت في أنشطة أو مناسبات التي تنظم على المستوى المحلي !

[1] نعم [2] لا

في حالة نعم اذكرها:

السؤال 49: هل تحتفل بعيد ميلادك؟

[1] دائما [2] أحيانا [3] مرات قليلة [4] أبدا

السؤال 50: مع من تحتفل به؟

[1] مع العائلة [2] أصدقاء [3] وحدك [4] حالات أخرى

السؤال 51: هل العائلة متمسكة بإحياء الأعياد

- الوطنية

- الدينية

السؤال 52: هل تحتفل بعيد رأس السنة؟

[1] نعم [2] لا

السؤال 53: في الأعياد الدينية (فطر وأضحى) هل تتردد على عائلتك؟

[1] نعم [2] لا

السؤال 54: هل تتبع في لباسك الموضة؟

[1] نعم [2] لا [3] حالات أخرى

السؤال 55: هل تجبذ اللباس التقليدي المحلي و الوطني؟

[1] نعم [2] لا [3] حالات أخرى

السؤال 56: هل تجبذ التسريجات الذي يقوم بها الشباب ؟ (تباع الموضة)

[1] نعم [2] لا [3] حالات أخرى

السؤال 57: هل تدخن ؟

[1] نعم [2] لا

السؤال 58: هل تدخن أمام الوالدين ؟ علل إجابتك غذا كان لا

[1] نعم [2] لا

قائمة المصادر

و المراجع

المراجع و المصادر باللغة الـ :

- القرآن الكريم .

- ابراهيم بن يوسف ، إشكالية العمران و المشروع الإسلامي، مطبعة أولاد داوود الجزائر، 1992 .
- ابراهيم، حازم وآخرون " الارتقاء بالبيئة العمرانية للمدن"، مركز الدراسات التخطيطية والمعمارية، القاهرة 1986 .
- ابن خلدون ، "المقدمة" نسخة محققة ، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت ، لبنان 2002
- أبو القاسم سعد الله- مدن المغرب العربي في الأدب الجغرافي العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر.
- أبو القاسم سعد الله. تاريخ الجزائر الثقافي في دار المغرب الإسلامي بيروت ح5 ط 1. 1998.
- أجيرون (شارل روبيرت)، تاريخ الجزائر المعاصر، ترجمة عيس عصفور منشورات عويدات - بيروت- 1990.
- أحمد أبو زيد ، "عن الانثروبولوجيا و الفلكلور" ، من مقدمة كتاب دراسات في الفلكلور ، دار الثقافة للطباعة و النشر ، القاهرة 1972
- أحمد النكلاوي ، الانسان و التحديث ، مكتبة نهضة الشرق ، لبنان بت.
- احمد كمال وآخرون ، "علم اجتماع -دراسة بنائية وظيفية للمجتمع حضري" - دار الجيل للطباعة القاهرة 1976 .

- أسعد السحمراني " مالك بن نبي " مفكرا إصلاحيا - " دار النفائس - بيروت، لبنان - الطبعة الأولى 1984 -
- أكبر، جميل : "عمارة الأرض في الإسلام" - دار القبلة - جدة 1992 .
- البشير مقببس ، "مدينة وهران ، دراسة جغرافية العمران" المؤسسة الوطنية للكتاب - الجزائر 1983
- بوشنافي بوزيان ، التحضر و الثقافة الحضرية بالمغرب" منشورات الحوار، ط1 1988
- التركي الحمد : "الثقافة العربية في عصر العولمة" ، الطبعة الثالثة ، دارالفكر للنشر بيروت 2003 .
- جهينة سلطان سيف العبسي ، التحديث في المجتمع القطري المعاصر ، دار العودة بيروت ، 1999 .
- جهينة سلطان سيف العبسي ، التحديث في المجتمع المعاصر ، شركة كاظمة للنشر و التوزيع و الترجمة ، الكويت 1979.
- حسين عبد الحميد أحمد رشوان، المدينة (دراسة في علم الاجتماع الحضري)، الاسكندرية: مؤسسة شباب الجامعة، 2006
- حميد خروف وبلقاسم سلاطينية واسماعيل قيرة، الإشكالات النظرية والواقع، قسنطينة: دار البعث، 1999
- خليل أحمد خليل ، معجم مفاهيم علم الاجتماع ، ط1 معهد الإنماء العربي ، بيروت 1996 ..

- د حسين عبد الحميد أحمد رشوان، الثقافة : دراسة في علم الاجتماع الثقافي ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية ، 2006.
- د.فتحي ابو عيانة ، "دراسات في الجغرافيا البشرية" ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1987.
- د.محمد الجوهرى وآخرون: دراسات في علم الاجتماع الريفي والحضري، دار الكتاب بيروت ط 1. 1971.
- د.محمد حسن غامري- الانثروبولوجيا الحضرية مع دراسة عن التحضر في مدينة العين أبو ظبي ط 1. دار المعارف الجامعية، الاسكندرية 1984.
- دلال ملحس استيتية ، التغير الاجتماعي والثقافي، ط 1 دار وائل للنشر والتوزيع ، الاردن 2004 ،
- ر.بودون ،ف.بوريكو ، المعجم النقدي لعلم الاجتماع ، ترجمة سليم حداد ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ط 1 1986.
- رالف لينتون، شجرة الحضارة ، ترجمة أحمد فخري ، المدن و الأقاليم ، ج 1 ، أنجلو المصرية ، القاهرة.
- رشيدة برادة : "المدرسة المغربية كما يراها المراهقون الشباب" الطبعة الأولى 2009.

- سليمان علي الدلمي ، محمد عبد المحسن عبد الله، التغير الاجتماعي والتحديث في المجتمع العربي الليبي ، تالة للطباعة والنشر ليبيا. ط1 2001.
- سناء الخولي ، مدخل الى علم الاجتماع ،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ، مصر 1987 .
- السيد عبد العاطي السيد : "صراع الأجيال ، دراسة في ثقافة الشباب" دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، 1990 .
- السيد عبد العاطي السيد ، "التصنيع و المجتمع ، دراسة تطبيقية في علم الاجتماع الصناعي" ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1986
- السيد عبد العاطي ، علم الاجتماع الحضري، ج1، الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، 1990
- سيد قطب : في ظلال القرآن الكريم ، الطبعة الثانية عشرة ، جدة، دار العلم للطباعة والنشر، الجزء السادس، 1406هـ، 1986.
- عادل مختار الهواري ، التغير الاجتماعي والتنمية في الوطن العربي ، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية 1993.
- عاطف عطية ، البيئية والإنسان ،دراسة في جغرافية الإنسان - دار المختار ات - بيروت 2002.
- عاطف عطية البيئية والإنسان ،دراسة في جغرافية الإنسان، جروس برس لبنان 1997.

- عاطف عطية، المجتمع الدين والتقاليد ، بحث في اشكالية العلاقة بين الثقافة والدين والسياسة ، جروس برس -لبنان 1993.
- عاطف وصفي ، الانثروبولوجيا الثقافية مع دراسة ميدانية للجالية اللبنانية الإسلامية بمدينة ديربورن الأمريكية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، 1971 .
- عبد الباسط حسن ، أصول البحث الاجتماعي .مكتبة وهبة ، القاهرة ، ط 5 1986.
- عبد الطيف بن أشنهو ، الهجرة الريفية في الجزائر، المطبعة التاريخية. الجزائر 1986.
- عبد العزيز رأس مال " كيف يتحرك المجتمع و نتائج ذلك على العلاقات الاجتماعية ، -دراسة سوسيولوجية- ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر- الطبعة الأولى 1993 -
- عبد الغني عماد ، سوسيولوجيا الثقافة ،مركز دراسات الوحدة العربية - بيروت - ط 1 - فبراير 2006 .
- عبد القادر جغلول- مقدمات في تاريخ المغرب العربي القديم و الوسيط- دار الحداثة- بيروت- 1982.
- عبد اللطيف بن أشنهو، تكون التخلف في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب 1979

- عبد الله عامر الهمالي ، التحديث الاجتماعي ، الدار الجماهيرية للنشر و التوزيع ، ليبيا 1986.
- عدي الهواري ، "سياسة الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، سياسة التفكيك الاقتصادي- الاجتماعي(1830 - 1960)" ترجمة جوزيف عبد الله ، دار الحداثة بيروت ، الطبعة 1 ، 1983.
- علي عبد الرازق جليبي وآخرون ، علم الاجتماع الثقافي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية .دت.
- فادية عمر الجولاني ، التغير الاجتماعي :مدخل للنظرية الوظيفية لتحليل التغير ، دار الاصلاح للطباعة والنشر ، الدمام 1984 .ص 34 .
- فتحي محمد أبو عيانة، السكان و العمران الحضري، دار النهضة العربية بيروت، 1984
- فردريك معتوق ، المجتمع والتاريخ، جروس برس المعرفة ، لبنان، 1991
- فهيم، حسين قصة الأنثروبولوجيا - فصول في تاريخ الإنسان، عالم المعرفة الكويت 1986
- لوريس الراعي : التغير الاجتماعي والاقتصادي في مجتمع بدو . طرابلس ،لبنان ، دار جروس برس، 1978.
- مالك بن بني : "مشكلة الثقافة" ، الطبعة الثانية ، بيروت دار الفكر 1959.
- مالك بن نبي، "المسلم في عالم الاقتصاد"، دار الفكر- دمشق 1985 عن ط 1979.

- مالك عبید ابو شهیوة ومحمود خلف ، صدام الحضارات وإعادة بناء النظام العالمي - الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع - مصر 1999.
- محمد الجوهری ، "الفلكلور و الدراسات علم الاجتماع الريفي" ، في دراسات علم الاجتماع الريفي و الحضري ، القاهرة ، دار الكتب الجامعية، 1986 .
- محمد أحمد الزعبي " التغير الاجتماعي " مطبعة الداودي - دمشق ، سوريا ، الطبعة .الرابعة . 2000
- محمد أحمد الزعبي ، التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي و علم الاجتماع الاشتراكي ، دار الطليعة ، بيروت 1978.
- محمد أحمد الزعبي، " التغير الاجتماعي بين علم الاجتماع البرجوازي و علم الاجتماع .الاشتراكي " - مطبعة الداودي- دمشق ، سوريا - الطبعة الرابعة، 2000 .
- محمد أحمد بيومي ، علم الاجتماع الثقافي ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية . 2002 .
- محمد التريكي وخالد بوريد: "المعمار والممارسة الاجتماعية"، المعهد التكنولوجي للفنون والهندسة المعمارية، تونس، 1989.
- محمد الجوهری ، بعض قضايا المنهج الأنثروبوجي ، القاهرة 2007
- محمد السويدي : بدو الطوارق بين الثبات و التغير، دراسة أنثروبولوجية في التغير الاجتماعي، ديوان الامطبوعات الجامعية، الجزائر 1986

- محمد السيد محمد الزعبلوي "تربية المراهق بين الإسلام وعلم النفس"، الطبعة الرابعة، الرياض، مؤسسة الكتب الثقافية، مكتبة الثوبة.
- محمد الهادي العروق، النمو الحضري في الشرق الجزائري - رسالة دكتوراه، قسم الجغرافيا، جامعة الإسكندرية- 1989 .
- محمد الهادي عفيفي، في أصول التربية . الأصول الثقافية للتربية، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة . 1980 .
- محمد بن عبد الله الدويش : تربية الشباب - الأهداف والوسائل - الطبعة الأولى، الرياض دار الوطن النشر والتوزيع 1423هـ، 2002
- محمد عاطف غيث، "علم الاجتماع الحضري"، مدخل نظري، دار النهضة العربية بيروت .بت. ص 85 .
- محمد عبد المنعم نور، الحضارة و التحضر، دراسة أساسية لعلم الاجتماع الحضري، مكتبة القاهرة الحديثة - ط1- 1970.
- محمد نصر مهنا، "النظرية العامة الإعلامية: الفضائيات العربية والعولمة الإعلامية والمعلوماتية"، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2003 .
- مصطفى الخشاب، "الاجتماع الحضري"، مكتبة أنجلو المصرية، القاهرة 1976
- مصطفى الخشاب، الاجتماع الحضري، أنجلو المصرية، ط2 1982.

- مصطفى بوتفنوشت ، " العائلة الجزائرية ، التطور و الخصائص الحديثة -
ترجمة دمري أحمد - ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر - الطبعة الأولى
1984 .
- مصطفى دنشلي ، مقدمة إلى علم الاجتماع العام ، مكتبة الفقيه بيروت
2002.
- مصطفى عمر التير ، التممية و التحديث في المجتمع الليبي ، مطبعة جامعة
قاريونس ، ليبيا 1980.
- مغنية الأزرق - نشوء الطبقات في الجزائر ، دراسة في الاستعمار و التغيير
الاجتماعي السياسي - ترجمة سمير كرم - مؤسسة الأبحاث العربية - الطبعة .
العربية الأولى - بيروت ، لبنان 1980 .
- ناصر الدين سعيدوني ، مقالات في تاريخ الجزائر ، الديوان الوطني - للمنشورات
الجامعية - الجزائرية - 1984
- نور الدين طوالي ، " الدين و الطقوس و التغيرات " ، ديوان المطبوعات
الجامعية ، الجزائر 1988.
- النوري قيس : آفاق التغيير الاجتماعي النظرية و التتموية ، مطبعة جامعة بغداد
1990
- النوري قيس ، الانثروبولوجيا الحضرية ط1 مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية
والتنشر والتوزيع .الاردن 2001

القواميس :

- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مجمع اللغة العربية. القاهرة .
- معجم لسان العرب لأبن منظور ، دار المعارف القاهرة .
- معجم مقاييس اللغة لابن فارس دار الفكر . لبنان

المجلات و الدوريات و الملتقيات:

- "الشباب العربي ورؤى المستقبل"، وهو كتاب مشترك ، صادر عن مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة : "المستقبل العربي" رقم 48 بيروت 2006 .
- أحمد زايد، "دراسات في علم الاجتماع" - مركز البحوث والدراسات الاجتماعية -كلية . الآداب -جامعة القاهرة.2003 .
- جمال غريد ، العامل الشائع ، انسانيات 1 1997
- علي شعباني ، "الشباب وثقافة الشباب بين التغير والثبات" ، وقائع الندوة الدولية التي انتظمت ببيت الحكمة يومي 11 - 12 أكتوبر 2010 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ،تونس.

- محمد رمضان ، " الشباب ثقافة " وقائع الندوة الدولية التي انتظمت ببيت الحكمة يومي 11 - 12 أكتوبر 2010 ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس
- محمود عبد الفضيل " تضاريس الخريطة الطبقيّة في الوطن العربي: نظرة إجمالية نقدية" مركز دراسات الوحدة العربية - جامعة الأمم المتحدة - بيروت، لبنان - بدون رقم طبعة- - 1987 .
- مراد مولاي الحاج ، " الغزوات في ظل التحولات السوسيو ثقافية"، مجلة إنسانيات، مركز البحث في الأنثروبولوجية الإجتماعية و الثقافية - وهران - الجزائر العدد 5 .
- مقدمة الماكرو ديناميكا الاجتماعية :النمذجة الرياضية لتطور المنظومة العالمية قبل -سبعينيات القرن الماضي- مجلة كلية الآداب لجامعة القاهرة - مجلد 68- سنة 2008) .الجزء الثاني
- المنجي الزبيدي : " مقدمات لسوبولوجيا الشباب " ، الكويت ، المجلس الوطن للثقافة والفنون والآداب عالم الفكر ، العدد 3 المجلد 30 ، يناير - مارس 2002 .

الأطروحات و الرسائل الجامعية:

- سيدي محمد النقادي ، التصميم العمراني لمدينة تلمسان و دلالاته الاجتماعية ، اشرف د. عبد الحميد حاجيات ، رسالة ماجستير قسم الثقافة الشعبية تلمسان ، 1991.
- طرشاوي بلحاج ، "تأثير الممارسات الاجتماعية على العمران" رسالة لنيل شهادة الدكتوراه قسم الثقافة الشعبية شعبه الفنون 2007.
- محمد رمضان ، "أنماط التكيف الاجتماعي و الثقافي في الأحياء الجامعية، دراسة ميدانية" ، رسالة لنيل شهادة الماجستير تخصص أنثروبولوجيا ، معهد الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان 1995.
- يوسف أمال ، "الممارسات الثقافية في الوسط الحضري: دراسة ميدانية في البناء الاجتماعي لمدينة الغزوات" رسالة لنيل شهادة الماجستير في الانثروبولوجية ، قسم الثقافة الشعبية. 2001

المراجع باللغة الأجنبية :

- 1) –.BOURDIEU Pierre "**Algérie 60**" Edition minuit – PARIS – 1977
- 2) ALKINSON Charles Francis , **The Decline of the West** , édition Knopf , New York 1970
- 3) BENAMRANE Djilali, **crise de l’habitat- perspectives et développement socialiste**, S.N.E.D 1980.
- 4) BOURDIEU Pierre p., & Sayed : **« Le Déracinement »** édition de minuit , paris 1964.
- 5) BOURDIEU Pierre : "**La jeunesse n’est qu’un mot** " une question de sociologie de minuit , ED Paris, 1984
- 6) BOUTEFNOUCHET Mustapha ; " **système social & changement social en Algérie**" , opu Alger 1986
- 7) Bulletin de la SOC de GEO et D’ARCH. D’eau Tome XLV.
- 8) Bulletin de la SOC de GEO et D’ARCH. Tome XLI. 1939
- 9) Canal, **les villes de l’Algérie, "Nemours"** Paris 1888
- 10) CAVALLI A. : **L’allongement de la jeunesse** , Arles . ed. Actes-sud 1993
- 11) DAHMANI B. **Planification et Aménagement du territoire.** OPU Alger 1984
- 12) DEBESSE Maurice : "**L’adolescence** " P.U.F2007
- 13) DMS III Manuel diagnostique et statistique des troubles mentaux. Masson, Paris. (V 62-89)

- 14) DUNCAN Michell : **Dictionary of Sociology**, Rouledge & Kegan Paul édition – London – 1988.
- 15) FOX Richard, **anthropology' s urban process in horizon of anthropology** , Eds Sol Tax & Leslie Freeman Aldine publishing Co , Chicago , 1977 .
- 16) GALLAND Olivier : **Sociologie de la jeunesse** ; ed. A. Colin Paris 1997
- 17) HASNAOUI Mohamed. **L'habitat dans le développement Algérien.**
Colloque sur l'habitat précaire et les bidonvilles à l'est Algérien, OPU Alger
Mai 1983.
- 18) HENIN Stéphane, **Aménagement rural en Algérie Encyclopédie Universalis** . 2000
- 19) Le TOURNAU Roger – **villes romaines à travers l'Algérie** 1947
- 20) LUCAS phillipe , VATIN jean claude , **L'Algérie des Anthropologues**
François maspéro 1975
- 21) MAUGER G. : **« Fruit de la passion, les 20-30ans se mettent à table »**,
Les éditions ouvrières. Paris, 1986
- 22) MAUSS Marcell & DURKEIM E , **Note on the Notion of Civilisation** ,
édition Lafayette , paris 1981 , vol 29
- 23) MAYNE Richard , **history of civilizations** , new york , penguin press,
1994
- 24) MEYER Mireille et autres **"des migrants et des villes : mobilité et insertion"** : Travaux et documents de L'I.R.E.M.A.M N° :6 Aix en
Provence 1988.
- 25) MUMFORD Lewis , **the culture of cities** , University of Massachussetts
1989 . 7th edition
- 26) Nemours : B.C.E.O.M. Equipement urbains Octobre 1959.

- 27) PARK Robert, **The city ; Investigation of human behaviour in the urban environnement**, in richard sennet edition , essays on the culture of cities , NY Meredith Co 1969.
- 28) PDAU– phase3. Année 1995
- 29) RAHMANI Chérif , **Croissance urbaine en Algérie**, O.P.U Alger, 1982.
- 30) REPETTI Massimo , **L'anthropologie urbaine et l'anthropologie urbaine en Afrique** , gallimard paris 1970
- 31) SARI Djilali, **problèmes démographique de l'Algérie** Machrrek N° 63 1978
- 32) SARI Djilali." **Ghazaouet, les mutations socio-économique et spatiales en Algérie**" . O.P.U Alger edit 1993
- 33) TANGNESS, **the study of culture** , Chaudler & charp publisher ,sans année
- 34) WALLERSTEIN Immanuel , **Géopolitics and Géoculture : Essay on the Changing World System** (cambridge university) , édition La Maison des Sciences de l'Homme, Paris 1991.

فهرس الجداول:

الصفحة	عنوان الجدول
163	جدول رقم : (01) توزيع فرد عينة الدراسة حسب الجنس
164	جدول رقم : (02) توزيع فرد عينة الدراسة حسب السن
165	جدول رقم : (03) يمثل الحالة العائلية للمبحوثين:
166	جدول رقم : (04) يمثل تقسيم أفراد العينة حسب المهنة
167	جدول رقم : (05) يمثل أفراد العينة حسب المستوى الدراسي
168	جدول رقم : (06) تقسيم أفراد العينة حسب إتقان اللغات الأجنبية
172	جدول رقم : (07) مهنة و خصوصيات أولياء المبحوثين
173	جدول رقم (08) المستوى الدراسي للأم
175	جدول يمثل نوعية الحي السكني (09) رقم جدول
177	السنة خلال سكن المبحوث (10) جدول رقم
178	جدول رقم (11) سكن المبحوث خلال الصيف :العطلة)
179	جدول رقم (12) يمثل ما إذا المبحوث له غرفة خاصة
181	جدول رقم (13) يمثل ما إذا المبحوث له مكتبة خاصة
182	جدول رقم (14) يمثل عدد الكتب الذي بحوزة المبحوث
182	جدول رقم (15) يمثل عدد الكتب المشتريه من طرف المبحوث خلال السنة
183	جدول رقم (16) يمثل مكان شراء الكتب
184	جدول رقم (17) يمثل نوعية الكتب التي يقرأها المبحوث
185	جدول رقم (18) يمثل لغة القراءة
186	جدول رقم (19) يمثل الاهتمامات الثقافية لدى الشباب

188	جدول رقم (20) يمثل التردد على دور الشباب و الثقافة
189	جدول رقم (21) يمثل السماع المدياع
189	جدول رقم (22) أنواع القنوات التي يستمع لها المبحوث
190	جدول رقم (23) يمثل أنواع القنوات التي يشاهدها المبحوث
191	جدول رقم (24) يمثل البرامج المستحبة لدى المبحوث
192	جدول رقم (26) نوعية البرامج
196	الإقبال على دور السينما (27) رقم جدول
197	جدول رقم (28) التردد على المسرح
199	جدول رقم (29) يمثل نوع الموسيقى التي يريد السماع إليها
201	جدول رقم (30) يمثل اهتمام الشباب بالرياضة
202	جدول رقم (31) يمثل إهتمام الشباب بجمع الطوابع
203	يمثل إهتمام الشباب بالسفر (32) جدول رقم
204	جدول رقم (33) يمثل بإحياء الأعياد و التقاليد
205	جدول رقم (34) المشاركة مع الجمعيات
206	و الوطنية الأعياد بإحياء المبحوث تمسك (35) رقم جدول الدينية
207	جدول رقم (36) الاحتفال بعيد الميلاد
208	جدول رقم (37) الاحتفال بعيد رأس السنة
209	جدول رقم (38) الحرص على زيارة الاهل في الأعياد (الفطرو و الأضحى (و غيرها

فهرس المحتويات

	الإهداء
	الشكر
أ	مقدمة
07	الفصل الأول
07	أولا : إشكالية الدراسة
08	ثانيا : أهمية الدراسة
08	1 - المجتمع المحلي و الدراسات الأنثروبولوجية
16	2 - الاهتمامات الأولى لدراسة الأنثروبولوجية الحضرية
31	3 - الدراسات الأنثروبولوجية للثقافة الحضرية
35	ثالثا : أهداف الدراسة
36	رابعا : أهمية البحث
38	خامسا : المصطلحات
82	سادسا : الدراسات السابقة
88	خلاصة
	الفصل الثاني : التفسير العلمي للتحضر و الحضرية
90	أولا : تطور المجتمعات البشرية : من البدايات الأولى إلى التمدن
94	ثانيا : المدينة كمجال للدراسة
109	ثالثا : عوامل التغير و التحضر

	الفصل الثالث: الثقافة الحضرية في المجتمع الجزائري
113	أولاً : الاهتمامات العلمية لدراسة المجتمع الجزائري
127	ثانياً : سمات التحضر في المجتمع الجزائري
142	ثالثاً : البناء و الثقافي في مدينة الغزوات
157	<u>خلاصة</u>
	الفصل الرابع : المعايير الميدانية للممارسات الثقافية في الوسط الحضري
161	أولاً : إجراءات الدراسة الميدانية
161	• منهج الدراسة
161	• عينات الدراسة
169	• تقنيات الدراسة
170	• الأدوات الإحصائية
172	ثانياً : تفسير و عرض نتائج الدراسة
216	خاتمة
	الملاحق
	المراجع
	فهرس الجداول
	فهرس المحتويات

الملخص:

يرتبط موضوع الممارسة الثقافية من المنظور السوسيولوجي بمحددات اجتماعية تنحصر في تعامل الشباب مع ما يتاح من مادة ثقافية لا بمعناها الأنثروبولوجي بل بمعنى التعامل مع المادة الثقافية حيث لم تعد الثقافة اليوم خاضعة لوسائل تقليدية في النشر والانتشار بل أصبحت متأثرة بالتكنولوجيات الحديثة.

إن الممارسة الثقافية في الوسط الحضري في ظل مجتمع المعرفة يعد مدخلا هاما لتسليط الأضواء على المشهد الثقافي والاجتماعي في عالم جد متحول- بين الأجيال وخاصة لدى الشباب باعتبار هذه الفئة تشكل و زنا ديمغريا هاما و الأكثر اقتدارا في الانخراط في ظل المنظومة الجديدة التي بدأت تتشكل رهاناتها في العديد من المجالات الاجتماعية المختلفة لتظهر ملامحها على أنماط السلوكيات في اتجاه التكيف مع متطلبات المرحلة.

الكلمات المفتاحية: الممارسة الثقافية- الشباب- المجتمع الحضري- الثقافة - التحضر

Résumé :

Le sujet de pratique culturelle, de point de vue socio-anthropologique, avec des déterminants sociaux , se contentera du traitement des jeunes avec la culture. Cette dernière qui n'est plus soumise à des moyens traditionnel et qui est devenue influencée par de nouvelles technologies.

Les pratiques culturelles dans le milieu urbain sont des éléments très importants pour mettre en évidence le paysage culturel et le mode social très variable entre les générations en particulier chez les jeunes.

Mots clés : pratique culturelle- jeunes- société urbaine – culture- urbanisation

Abstract :

The anthropology of youth has been overshadowed by the much larger and more visible project of the sociology of youth. It is here that youth cultures and practices are most widely studied.

Cultural practices in urban areas are very important to highlight the cultural landscape and the social mode varies between generations in particular among young.

Keywords: cultural practice –youths -urban society – culture -urbanization